بسم الله الرحمن الرحيم



نهاية العالم

أشراط الساعة الصغرى والكبرى

مع صور وخرائط وتوضيحات

ح محمد بن عبدالرحمن العريفي ، ١٤٣٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العريفي ، محمد بن عبدالرحمن
نهاية العالم استقراء لأشراط الساعة الصغرى والكبرى مع صور توضيحات. / محمد بن عبدالرحمن العريفي.ـ الرياض ، ١٤٣٠ هـ
... ص ؛ ... سم
ردمك : ٠ -٢٩٢٨ – ٠٠ – ٩٧٨-٦٠٣
١ – علامات القيامة أ ـ العنوان
ديوي ٢٤٣ ١٤٣٠ / ٤٥٤٢

رقم الإيداع : ٤٥٤٢ / ١٤٣٠
ردمك : ٠-٢٩٢٨ – ٠٠ – ٩٧٨-٦٠٣

الطبعة العاشرة
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار التدمرية

الرياض ـ ص.ب: ٢٦١٧٣ ـ الرمز البريدي: ١١٤٨٦
هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ ـ ٤٩٢٥١٩٢ ـ فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM
المملكة العربية السعودية

لماذا نتكلم عن أشراط الساعة

كل أمر يبحثه الإنسان ويتحدث عنه لا بدّ أن يكون له ثمرات يجنيها من بحثه وعمله.

فهل البحث في أشراط الساعة ومعرفتها له ثمرات نعيشها في حياتنا؟

أم هو مجرد معلومات يضيفها المرء إلى رصيده الثقافي دون أن يكون له تأثير في الواقع؟

الجواب:

أنه قد ورد في القرآن والسنة ذكر أشراط الساعة؛ ولهذا فوائد عديدة يجدها الإنسان في حياته، من ذلك:

١ تحقيق الإيمان بالغيب، وهو ركن من أركان الإيمان الستة، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[٢].

والإيمان بالغيب يعني الإيمان بكل ما أخبر به الله ﷻ، أو أخبر به رسوله ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق، وصدق.

ومن ذلك أشراط الساعة، مثل خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل.

٢ وفي معرفة أشراط الساعة حث النفس على طاعة الله والاستعداد ليوم القيامة؛ ففيه إيقاظ الغافلين، وحثهم على التوبة، وعدم الركون إلى الدنيا، وهذا ما فعله المصطفى ﷺ مع من حوله حينما علم بقرب أحد أشراط الساعة، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قام من الليل وقال «ويل للعرب من شر قد اقترب. اليوم فتح من سد يأجوج ومأجوج.. الحديث» وفيه «أيقظوا صواحب الحجر يصلين فربَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة».

٣ أن فيها بيانًا لأحكام شرعية ومسائل فقهية.

ففي قصة مكوث الدجال في الأرض، يوم كسنة ويوم كشهر، سأل الصحابة النبي ﷺ عن أيام الدجال الطويلة التي يمكث فيها على

(١) البقرة: ٣

(٢) رواه البخاري ومسلم.

الأرض، فقالوا: «أتكفي في اليوم الواحد منها صلاة يوم؟!» فقال النبي ﷺ: «لا، اقدروا له قدره». فاستفدنا من ذلك كيف يصلي المسلمون المقيمون في بلدان يستمر فيها النهار أو الليل أشهرًا.

٤ معرفة النبي ﷺ بأشراط الساعة، وهي أمور غيبية لا تُدرَك بالظن والتخمين، فيه دلالة على صدق رسالته، وأنه رسول من عند الله ﷻ فهو سبحانه عالم الغيب والشهادة، قال ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾[1].

٥ أن معرفتنا لأشراط الساعة يفيدنا في التعامل معها بالطريقة الشرعية؛ حتى لا يلتبس علينا أمرها. مثل إخبارنا عن الدجال بالتفصيل، ووصف عينه وجبينه والأشياء التي معه؛ حتى لا نقع في فتنته بل نعرف أنه دجال.

٦ التهييء النفسي لما سيكون مستقبلا، بخلاف ما إذا كان الأمر مفاجئًا.

٧ فتح باب الأمل؛ لأن من أشراط الساعة ما فيه نصر للإسلام، ونشره في الأرض، وأن دين اليهود والنصارى سيزول؛ وذلك بناء على البشارات النبوية بالتمكين للإسلام، وظهوره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

٨ إشباع الرغبة الفطرية في الإنسان، التي تتطلع لاستكشاف ما غاب عنه ومعرفة ما يحدث في المستقبل من وقائع وأحداث. مع تحقيق الشارع ﷻ للأخبار الصادقة في شأن هذه المغيبات.

---

(١) الجن: ٢٦-٢٧

وإذا كان الإسلام سد طرق الدجالين الذين يدّعون الاطلاع عليها، كالمنجمين، والعرافين، والكهّان ونحوهم، إلا أنه أطلعنا من خلال الوحي على كثير من هذه الأحداث المستقبلية وهي أشراط الساعة.

٩ أن الإيمان بأشراط الساعة يقوي الإيمان ويزيده؛ فوقوع مثل هذه العلامات يؤكّد صدق الدين الذي أنت عليه.

إلى غير ذلك من الثمرات التي لها تأثير في حياتنا..

قواعد في التعامل مع أشراط الساعة

ألف العلماء قديمًا وحديثًا في أشراط الساعة، ولا تزال المؤلفات تصدر، والبرامج التلفزيونية والإذاعية ومواقع الإنترنت كلها تتحدث عن أشراط الساعة بين فينة وأخرى.. وقد وقع لبعض المتعاملين مع نصوص أشراط الساعة شيء من الخلط والاضطراب.

فرأيت أن أورد هنا عددًا من القواعد في التعامل مع أشراط الساعة والنصوص الشرعية الواردة فيها.

الاقتصار على نصوص القرآن والسنة الصحيحة في الاستدلال:

وذلك لأنهما المصدر الذي يمكن منه معرفة الغيبيات ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[1]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[2]، فقد يخبر الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ ببعض المغيبات لمصالح دينية، ومنها أشراط الساعة، وهي غيب مستقبلي.

أما معرفة أشراط الساعة من خلال الاسرائليات، أو الرؤى والمنامات، أو تنزيل الأحداث السياسية على أنها من أشراط الساعة من غير دليل على ذلك، فلا يصح.

وكذلك لا بدّ أن يكون النص المستدل به صحيحًا، سواء كان منسوبًا إلى النبي المعصوم ﷺ، أو أحد من الصحابة الكرام.

وقد اتخذت أشراط الساعة بابًا للإثارة والتجارة لترويج مبيعات الكتب، وجلب القراء وتكثيرهم بذكر الغريب والشاذ والمكذوب والأوهام والأحلام، ومن أطرف ما قرأت في ذلك ما ذكره أحد المؤلفين قال: «في أثر عزيز، من مخطوطة نادرة من القرن الثالث الهجري بدار الكتب الإسلامية، بكتبخانة الترك باسطنبول ما رواه أبو هريرة وابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وفي رواية خاف أن يحدث بها أبو هريرة، ولما أحس الموت خاف أن يكتم علما فقال لمن حوله: في نبأ علمته عما هو كائن في حروب[3] آخر الزمن، فقالوا: أخبرنا ولا بأس جزاك الله خيرا، فقال:

(١) النمل: ٦٥

(٢) الجن: ٢٦-٢٧

(٣) من وجوه معرفة الكذب عند المحدثين غرابة التركيب، ووجوه التصريف اللغوي، فلفظة «حروب» التي ذكرها الكاتب لا يستعملها الصحابة في كلامهم على هذا الجمع.

وفي عقـود الهجـرة بعد الألف وثلاثمائة، عد خمسًـا أو سـتًا يحكم مصر رجل يكنى (ناصر)، يدعوه العرب (شجاع العرب)، وأذله الله في حرب وحرب، ومـا كان منصورًا، ويريـد الله لمصر نصرًا له حقًا في أحب شـهوره - وهو له -؛ فأرضـى مصر رب البيت والعرب لأسمر سـادا، أبوه أنـور منه، لكنه صالح لصوص المسجد الأقصى بالبلد الحزين.

وفي عراق الشـام رجل متجبر... و... سفياني، في إحدى عينيه كسل قليل، واسمه من الصدام، وهو صدام لمن عارضه، الدنيا جمعت له في (كوت) صغير دخلها وهو مدهون، ولا خير في السفياني إلا بالإسلام، وهو خير وشر، والويل لخائن المهدي الأمين.

وفي عقـود الهجرة الألف وأربعمائـة، واعقد اثنين أو ثلاثًا... يخرج المهدي الأمين، ويحارب كل الكون، يجمعون له - الضالين والمغضوب عليهم والذين مـردوا علـى النفاق - في بلاد الإسـراء والمعـراج عند جبل مجـدون، وتخرج لـه ملكة الدنيا والمكـر، زانية اسمها (أمريكا) تراود العـالم يومئذ في الضلال والكفـر، ويهود الدنيا يومئـذ في أعلى عليين، يملكـون كل القدس والمدينة المقدسـة، وكل البـلاد تأتي من البحر والجـو إلا بلاد الثلـج الرهيب وبلاد الحر الرهيب، ويرى المهدي أن كل الدنيا عليه بالمكر السيئ، ويرى الله أشد مكـرًا، ويرى أن كل كون الله له، إليه المرجع والمصير، وكل الدنيا شـجرة له أن يملكها فرعًا وجذرًا؛ فيرميهم الله بأكرب رمي، ويحرق عليهم الأرض والبحر والسماء، وتمطر السماء مطر السوء، ويلعن أهل الأرض كل كفار الأرض، ويأذن الله بزوال كل الكفر».(١)

(١) كشف المكنون في الرد على كتاب هرمجدون (٥٨)، وانظر المهدي وفقه أشراط الساعة (٦٣٦).

مراجعة العلماء الثقاة في هذا الباب:

الواجب على من وقع في نفسه شيء في هذا الباب ألا يتعجل في إظهاره قبل عرضه على أهل العلم: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾[1]، وقال عَزَّقَجَلَّ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣﴾[2]، وقد كانت هذه طريقة السلف الصالح، ومن ذلك ما جاء في خبر أبي الطفيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كنت بالكوفة، فقيل: خرج الدجال! فأتينا على حذيفة بن أسيد وهو يحدث، فقلت: هذا الدجال قد خرج! فقال: اجلس، فجلست. فأتى علي العريف[3]، فقال: هذا الدجال قد خرج وأهل الكوفة يطعنونه. قال: اجلس فجلس، فنودي إنها كذبة صباغ. فقلنا: يا أبا سريحة ما أجلستنا إلا لأمر فحدثنا. قال: إن الدجال لو خرج في زمانكم لرمته الصبيان بالخذف، ولكن الدجال يخرج في بغض من الناس[4]، وخفة من الدين، وسوء ذات بين؛ فَيَرِدُ كلَّ مَنْهَلٍ؛ فتطوى له الأرض طيَّ فروة الكبش... » الحديث[5]

حدثوا الناس بما يعقلون:

يتساهل عدد من المتحدثين في أشراط الساعة، بسرد الأحاديث والكلام عن الأشراط مع عامة الناس، أو حديثي الإسلام ممن قد لا تستوعب عقولهم ما يسمعون.

(١) الأنبياء: ٧

(٢) النساء: ٨٣

(٣) العريف: هو القيّم بأمور الجماعة من الناس، والمسؤول عن شؤونهم. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

(٤) أي تباغض وحسد ينتشر بينهم.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك برقم: ٨٦٥٧ وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، قال الشيخ مصطفى العدوي: (وفي بعض رجاله كلام يسير، ففي إسناده معاذ ابن هشام فيه كلام ينزل بحديثه إلى درجة الحسن وفيه قتادة مدلس وقد عنعن إلا أن الراوي عنه هو هشام بن أبي عبدالله الدستوائي، وهو من أروى الناس عنه ومن أثبت الناس فيه) انظر: الصحيح المسند من الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٥٠٧). ورواه عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن قتادة مرسلًا، وهو الصواب.

ومـن المقرر أنه ليس كل مـا يُعلمُ يُقال، ولا كل صحيح صالح للنشـر، لقصور العقول أحيانا عن تحمله، أو لسوء التعامل معه، أو لعدم تنزيل الكلام منازله الصحيحة، فعن علي رضي الله عنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟»[1].

وفي روايـة: «أيهـا الناس، تحبون أن يكذب الله ورسـوله؟ حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون»[2].

وقال ابن مسـعود: «ما أنت بمحـدث قوما حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[3].

(١) رواه البخـاري ١٢٧، قال الشـاطبي معلقا عليـه: (فجعل إلقاء العلم مقيدا، فرب مسـألة تصلح لقوم دون قوم) الموافقات ٥/٣٦.

(٢) رواه مسلم في مقدمة الصحيح ١/٧٦.

(٣) رواه: مسلم: في المقدمة/ باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

قواعد لتنزيل نصوص أشراط الساعة على الواقع

ظهرت في أزمان من الفتور سابقة ولاحقة محاولات متعددة في تنزيل أحاديث أشراط الساعة على الواقع، والجزم بذلك كما تقدم.

لذا رأيت أن أسوق عدد١٠٣ من القواعد في تنزيل نصوص أشراط الساعة على الواقع:

القاعدة الأولى: لسْنا مُطالبين بتنزيل أحاديث أشراط الساعة على الواقع:

لما كان الإنسان بفطرته حاضرًا بجميع حواسه ليومه وساعته، تشدّه الأحداث بما لا تشدّ غيره من اللاحقين له، الذين لا تحضر حواسّهم ومداركهم جميعها لأحداث ماضيهم، يعظم الحاضر أحداث زمانه ويهولها، وصغائر المصائب الحاضرة أعظم من كبائرها الغابرة، كما قيل:

يـــا زمـــانًا بكـــيت منـــه فلما صرت في غيره بكيت عليـه

لذا فالشاهد يُنزل أشراط الساعة ومقدماتها على يومه وليله وما يشاهده، وإن مضى في التاريخ ما هو أعظم منها، لقلة أثرها عليه، أو للجهل بها أصلًا.

ويسـوغ الاجتهاد لأهل العلم والمعرفة والورع في أشراط الساعة وتنزيلها، كما اجتهد عمر رضي الله عنه، بأن ابن صياد هو الدّجال، مع شهود النبي ﷺ ولم ينكر عليه.

ولكن إن لزم من هذا الاجتهاد انشقاق الصف المسلم، أو كان لهذا الاجتهاد تبعات شـرعية ولوازم مردّها الدليل، مُنع الإنسـان من ذلك وزُجر إلا ببيّنة. كلزوم القتال والفتنة أو اسـتباحة العرض أو شق الصف، فهذا لا يجوز إلّا بدليل مستقلّ من الوحي.

بعض الناظرين في أحاديث أشراط الساعة مُوْلَع باستقصاء التاريخ الماضي والحاضـر، ويتكلّف بتنزيل الأحاديث التي أخبرت بأحداث وأمور مسـتقبلية وأشراط الساعة على وقائع وأحداث.

فيقرأ مثلا: «يوشك أن لا يُجبى للعراق قفيز[1] ولا درهم..»[2]؛ فيقول هذه العلامـة من علامات السـاعة وقعت عـام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، يـوم حوصر العراق اقتصاديا من قبل أمريكا (العجم).

وهذا وإن كان محتملًا جدًا، إلّا أن هذه الطريقة في تنزيل الأحاديث على وقائع الحياة فيها شيء من القصور والمزالق، خاصة مع الجزم بها.

(١) القفيز: نوع من المكاييل، كان يستعمله أهل العراق، كما نستعمل نحن اليوم (كيلوغرام، رطل، ..).

(٢) عن أبى نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله فقال: «يوشك أهل العراق أن لا يُجبى إليهم قفيز ولا درهم. قلنا من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذاك. ثم قال: يوشـك أهل الشـأم أن لا يُجبى إليهم دينار ولا مُدى. قلنا من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم» [رواه مسلم]. والمُدى: جمع مدية وهي السكين.

وأعظم من ذلك ما حدّده بعض العلماء لعُمْر الدنيا، فقال بعضهم ٩٠٠ سنة، وقال آخرون ١٠٠٠ سنة، استنادًا لبعض الأحاديث، وممن اشتهر عنه ذلك الإمام السيوطي، والسّخاوي وغيرهما.

إذن.. الجزم بأن هذه العلامة، وقعت عام كذا وكذا يقينًا جازمًا، لا يجوز إلا بقرائن شرعية واضحة بيّنة، كما نزّل كثيرون أحاديث المهدي على أشخاص معينين، وجزموا بأن فلانًا هو المهدي، وما تبع ذلك من فتن وسفك دماء، وخروج على الولاة.

ومن أمثلة ما كُتب في ذلك:

ما ذكره صاحب كتاب (أسرار الساعة): أن الدجال يُعطى الرئاسة في إيران قبل ظهور المهدي، ثم بين أنه محمد خاتمي، ولقّبه (آية الله جورباتشوف)[١].

وآخرُ في كتابه (المسيح الدجال) يجزم بأن المهدي المنتظر هو: صدام حسين الرئيس العراقي الأسبق[٢].

وأمين محمد جمال في كتابه (هرمجدون) يزعم أن السفياني الذي ورد في بعض الأحاديث هو صدام حسين.

وفي كتاب (أشراط الساعة وهجوم الغرب) زعم المؤلف أن السفياني هو الملك الحسين ملك الأردن الأسبق[٣].

وهذه الدعاوى لا يصح الجزم بها. أما إذا اجتمعت القرائن الواضحة على أن هذه العلامة الواردة في الحديث، تنطبق تمام الانطباق على الحادثة المعينة،

(١) كتاب (أسرار الساعة) لمؤلفه فهد السالم.

(٢) وقد قُتل صدام عام ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م. في العاشر من شهر ذي الحجة، ومؤلف كتاب المسيح الدجال: هو سعيد أيوب.

(٣) توفي الملك حسين ملك الأردن عام ١٤٢٠ هـ الموافق ٧ / ٢ / ١٩٩٩ م، ومؤلف كتاب (أشراط الساعة وهجوم الغرب: هو فهد السّالم.

وصار الأمر واضحًا لا شك فيه، فلا بأس في تنزيل الحديث على ذلك، مع إمكانية تنزيل الحديث على غيرها من الوقائع المشابهة لها، أو الأكثر وضوحا منها.

ومن أمثلة ذلك:

١ ما رواه مسلم أن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - في قصة مقتل ابنها عبد الله بن الزبير، قالت وهي تخاطب الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي قاد الجيش القاتل لابن الزبير: «أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا[١]، فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا إخالك إلا إياه»، قال: «فقام عنها ولم يراجعها».

قال النووي: «وَقَوْلهَا فِي الْكَذَّاب: (فَرَأَيْنَاهُ) تَعْنِي بِهِ الْمُخْتَار بْن أَبِي عُبَيْد الثَّقَفِيّ، كَانَ شَدِيد الْكَذِب، وَمِنْ أَقْبَحه اِدَّعَى أَنَّ جِبْرِيل ﷺ يَأْتِيه، وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ الْمُرَاد بِالْكَذَّابِ هُنَا الْمُخْتَار بْن أَبِي عُبَيْد، وَبِالْمُبِيرِ الْحَجَّاج بْن يُوسُف، وَاَللَّه أَعْلَم»[٢].

٢ ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى[٣]»، وقد خرجت هذه النار، وقيل إنها بقيت ثلاثة أشهر وكان نساء المدينة يغزلن على ضوئها.

قال أبو شامة واصفًا الواقعة: «لما كانت ليلة الأربعاء ٣ / جمادى الآخرة / ٦٥٤هـ[٤]، ظهر بالمدينة المنورة دويٌّ عظيم، ثم زلزلة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة من الشهر المذكور، ثم ظهرت نار عظيمة في الحَرّة قريبة من بني قريظة

(١) المبير: القاتل السّفاح، كثير القتل..

(٢) شرح مسلم للنووي (٨ / ٣٢٨).

(٣) هي مدينة حوران الآن بالشام.

(٤) يوافقه ٢٩/٥/١٢٥٦م.

نبصرها من دورنا من داخل المدينة، وكأنها عندنا نار عظيمة سالت أودية بالنار إلى وادي شظا مسيل الماء، وهي ترمي بشرر كالقصر»[1].

قال النووي: «وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نار عظيمة من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بخروجها»[2]

قال الحافظ ابن حجر بقوله: «والذي ظهر لي أن النار المذكورة هي التي ظهرت بنواحي المدينة، كما فهمه القرطبي وغيره»[3].

٣ ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذب، وتتقارب الأسواق، ويتقارب الزمان، ويكثر الهرج». قيل: وما الهرج؟ قال: «القتل»[4].

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله- في تعليقه على فتح الباري: «الأقرب تفسير التقارب المذكور في الحديث بما وقع في هذا العصر من تقارب ما بين المدن والأقاليم، وقصر زمن المسافة بينها؛ بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة، وما إلى ذلك والله أعلم».

القاعدة الثانية: ليس شرطًا أن يكون وقوع أشراط السّاعة قريبًا من قيامها فقد تتقدم عليها بزمن طويل.

أشراط الساعة هي علامات تدل على تقارب وقوعها، سواء كانت هذه العلامة قريبة من ساعة وقوعها، أو بعيدة عنها.

---

(١) انظر التذكرة، للقرطبي (ص: ٥٢٧).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٨ / ٢٨)..

(٣) فتح الباري (٢٠ / ١٢٨).

(٤) أي كثرة القتل وإراقة الدماء بغير حق.

فمثلاً قال ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين. ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى»[١]، وهذا يدل أن بعثته ﷺ وموته[٢] هي علامات لقرب قيام الساعة، وإن كانت غيرها من العلامات التي وقعت بعدها أقرب زمنا إلى الساعة منها.

ويمكن أن نقسم أشراط الساعة من حيث وقت وقوعها إلى أقسام:

- منها ما وقع واضحًا تمامًا كما أخبر النبي ﷺ، كما في بعثته وموته، وظهور مدعي النبوة ...
- ومنها: ما وقعت أوائله، ولا يزال يزداد، كما في تقارب الأسواق، وانتشار الكتابة، وكثرة الهرج (القتل)[٣].
- ومنها ما لم يقع بعد، وسوف يقع، كخروج الدابة، والدجال[٤].

القاعدة الثالثة: خطورة التنزيل الخاطئ لأحاديث أشراط الساعة على الواقع:

١- أنه قول بغير علم ورجم بالغيب:

لأنك إذا جزمت بأن العلامة الواردة في الحديث وقعت في كذا وكذا.. افتقر هذا إلى بيّنة أو قرينة من الشرع أو النظر، ولا بيّنة فيه، ولا قرينة، ولا يليق بمؤمن صادق أُمر بالتحري أن يطلق لسانه في أمور الشريعة وأخبارها بما لا علم له به.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) كما سيأتي بيانه في العلامة رقم (١) و(٢) من العلامات الصغرى.

(٣) ستأتي هذه العلامات برقم (٦٨) و(٥٥) و(١٦) من العلامات الصغرى.

(٤) ستأتي هذه العلامات برقم (٨) و(١) من العلامات الكبرى.

٢- القيام بعمل غير مشروع أو ترك العمل المشروع:

فبعض الناس قرأ كتبًا تكلّمتْ عن خروج المهدي، وجزم مؤلفوها بأن المهدي هو فلان؛ فصار بعض القراء ينتظرون المهدي، ويرتبون أمورهم على ظهوره؛ فمنهم من اشترى فرسًا وسيفًا استعدادًا للملاحم والسنوات القادمة.

ومنهم من ترك الزواج وبناء البيت؛ بناءً على أن خروج الدجال قاب قوسين أو أدنى.. إلى غير ذلك.

٣- أن يؤول إلى مفاسد كبرى كتكذيب الله ورسوله ﷺ:

كما لو جُزم مثلاً أن المقصود بالمهدي هو فلان، ثمّ تبيّن خلاف ذلك، فقد يؤدي هذا بالناس إلى التكذيب بأحاديث المهدي، ومثل ذلك الجزم بغيرها من العلامات دون يقين تامٍ بصحّة تنزيلها على الواقع.

معنى أشراط الساعة

الأشراط:

جمع شَـرَط، والشـرط العلامة، وأشراط السـاعة أي علاماتها وأسبابها، فهي العلامات التي يكون بعدها قيام الساعة[١].

والساعة:

الوقـت الذي تقوم فيـه القيامة، وسميت السـاعة لأنها تفاجـئ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة[٢].

(١) انظر الصحاح للجوهري (٣ / ١٣٦)، وغريب الحديث لابن الأثير (٢ / ٤٦٠).
(٢) انظر غريب الحديث لابن الأثير (٢ / ٤٦٠).

أقسام أشراط الساعة

أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الأشراط والعلامات الصغرى وهي نوعان:

النوع الأول: الأمارات البعيدة:

وهـي التي ظهـرت وانقضت، وهـي علامات صغـرى، لبعد زمـن وقوعها عن قيام السـاعة، مثل بعثة النبي ﷺ، وانشـقاق القمـر، وخروج نار عظيمة بالمدينة[1].

(١) ستأتي هذه العلامات برقم (١) و(٣) و(١٣).

النوع الثاني: الأمارات المتوسطة:

وهـي التي ظهرت ولم تنقض بـل تتزايد وتكثر، وهي كثـيرة جدًا، وهي علامات صغرى أيضًا كما سيأتي، منها: أن تلد الأمة ربتها، وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان، وخروج دجالين ثلاثين يدّعون النبوة[1].

القسم الثاني: العلامات الكبرى:

وهي التي تعقبها الساعة إذا ظهرت، وهي عشر علامات ولم يظهر منها شيء.

قال حذيفة: «اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر:

١ الدخان

٢ والدجال

٣ والدابة

٤ وطلوع الشمس من مغربها

٥ ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام

٦ ويأجوج ومأجوج

وثلاثة خسوف:

٧ خسف بالمشرق

٨ وخسف بالمغرب

٩ وخسف بجزيرة العرب

١٠ وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»»[2]

(١) ستأتي هذه العلامات برقم (١٩) و(٢١) و(١١).

(٢) رواه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد. وانظر هذه العلامات في الجزء الثاني (أشراط الساعة الكبرى).

وجاء في بعض الأحاديث الأخرى ذكر المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض على ما سيأتي ذكر الأحاديث في ذلك[1].

(١) سيأتي تفصيل هذه العلامات برقم (١٣١) و(١٢٦) و(١٢١) من أشراط الساعة الصغرى.

العلامات الصغرى

القسم الأول: علامات وقعت:

١ بعثة نبينا محمد ﷺ

٢ وفاة نبينا محمد ﷺ

٣ انشقاق القمر

٤ انقراض الصحابة الكرام

٥ فتح بيت المقدس

٦ موتان كقُعاص الغنم

٧ كثرة ظهور الفتن بأنواعها

٨ ظهور القنوات الفضاية

٩ إخباره ﷺ عن موقعة صِفّين

١٠ ظهور الخوارج

١١ خروج أدعياء النبوة الدجالين الكذابين

١٢ شيوع الأمن والرخاء

١٣ ظهور نار من الحجاز

١٤ قتال الترك

١٥ ظهور رجال ظلمة يضربون الناس بالسّياط

١٦ كثرة الهَرْج (القتل)

١٧ ضياع الأمانة ورفعها من القلوب

١٨ اتباع سُنن الأمم الماضية

١٩ ولادة الأمة ربتها

٢٠ ظهـور النسـاء الكاسـيات العاريات

٢١ تطاول الحفاة العراة رعاة الشاء بالبنيان

٢٢ تسليم الخاصة

٢٣ فُشُوُّ التجارة

٢٤ مشاركة المرأة زوجها في التجارة

٢٥ سيطرة بعض التجار على السّوق

٢٦ شهادة الزور

٢٧ كِتمان شهادة الحق

٢٨ ظهور الجهل

٢٩ كثرة الشُّح والبُخل

٣٠ قَطِيعة الرحِم

٣١ سُوء الجوار

٣٢ ظُهور الفُحش

٣٣ تخوين الأمين، وائتمان الخائن

٣٤ هلاك الوُعُول وظهور التُحُوت

٣٥ عدم المبالاة بمصدر المال من حرام أم من حلال

٣٦ أن يُتّخذ الفيءُ دولًا

٣٧ أن تكون الأمانة مَغنمًا

٣٨ أن لا تَطيب نفوس الناس بإخراج زكاتهم (والزكاة مغرمًا)

٣٩ تعلُّم العِلم لغير الله

٤٠ طاعة الزوجة وعقوق الأم

٤١ إدناء الأصدقاء وإقصاء الآباء

٤٢ رفع الأصوات في المساجد

٤٣ سيادة الفسّاق على القبائل

٤٤ يكون زعيم القوم أرذلهم

٤٥ إكرام الرجل اتقاء شره

٤٦ استحلال الحِرً

٤٧ استحلال الحرير للرجال

٤٨ استحلال الخَمر

٤٩ استحلال المعازف

٥٠ تَمني الناس الموت

٥١ مجيء زمان يُصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا

٥٢ زخرفة المساجد والتباهي بها

٥٣ زخرفة البيوت وتزيينها

٥٤ كثرة الصواعق عند اقتراب الساعة

٥٥ كثرة الكتابة وانتشارها

٥٦ اكتساب المال باللسان والتباهي بالكلام

٥٧ انتشار الكتب غير القرآن

٥٨ زمان يكثُر فيه القراء ويقل الفقهاء والعلماء

٥٩ التماس العِلم عند الأصاغِر

٦٠ موت الفجأة

٦١ إمارة السفهاء

٦٢ تَقارُب الزمان

٦٣ أن ينطق الرويبضة

٦٤ أن يُصبح أسعد الناس بالدنيا لُكَع بن لُكَع

٦٥ اتخاذ المساجد طرقا

٦٦ غلاء المهور ثم ترخص

٦٧ غلاء الخيل ثمّ ترخص

٦٨ تقارب الأسواق

٦٩ تداعي الأمم على الأمة الإسلامية

٧٠ تدافُع الناس عن الإمامة في الصلاة

٧١ صِدق رؤيا المُؤمن

٧٢ كثرة الكذب

٧٣ وقوع التناكر بين الناس

٧٤ كثرة الزلازل

٧٥ كثرة النساء

٧٦ قِلة الرجال

٧٧ ظُهور الفاحشة والمُجاهرة بها

٧٨ أخذ الأُجرة على قراءة القرآن

٧٩ أن الناس يكثُر فيهم السّمن

٨٠ ظهور قوم يَشْهدون ولا يُسْتَشهدون

٨١ ظهور قوم يَنْذرون ولا يَفُون

٨٢ أن القوي يأكل الضعيف

٨٣ ترك الحكم بما أنزل الله

٨٤ كثرة الروم وقِلة العرب

القسم الثاني: علامات لم تقع بعد:

٨٥ استفاضة المال وكثرته بين الناس

٨٦ إخراج الأرض كنوزها

٨٧ ظهور المسخ

٨٨ ظهور الخسف

٨٩ استباحة القذف

٩٠ مطر لا تُـكِـنُّ منه بيوت المَدَر

٩١ نزول المطر من السماء ولا تُنبت الأرض شيئًا

٩٢ فتنة تستنظف العرب

٩٣ كلام الشجر نُصرة للمسلمين

٩٤ كلام الحجر نُصرة للمسلمين

٩٥ قتال المسلمين لليهود

٩٦ يحسر الفرات عن جبل من ذهب

٩٧ مجيء زمان يُخَيَّر الرجل فيه بين العجز والفجور

٩٨ عودة جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا

٩٩ ظهور فتنة الأحلاس

١٠٠ ظهور فتنة السراء

١٠١ ظهور فتنة الدّهيماء

١٠٢ مجئ زمان السجدة فيه تَعْدُل الدنيا وما فيها

١٠٣ انتفاخ الأهلة

١٠٤ مجيء زمان لا يبقى أحد إلا لحق بالشام

١٠٥ الملحمة الكبرى بين المسلمين والروم

١٠٦ فتح القسطنطينية (فتحًا آخر غير فتح محمد الفاتح)

١٠٧ أن لا يُقسم الميراث

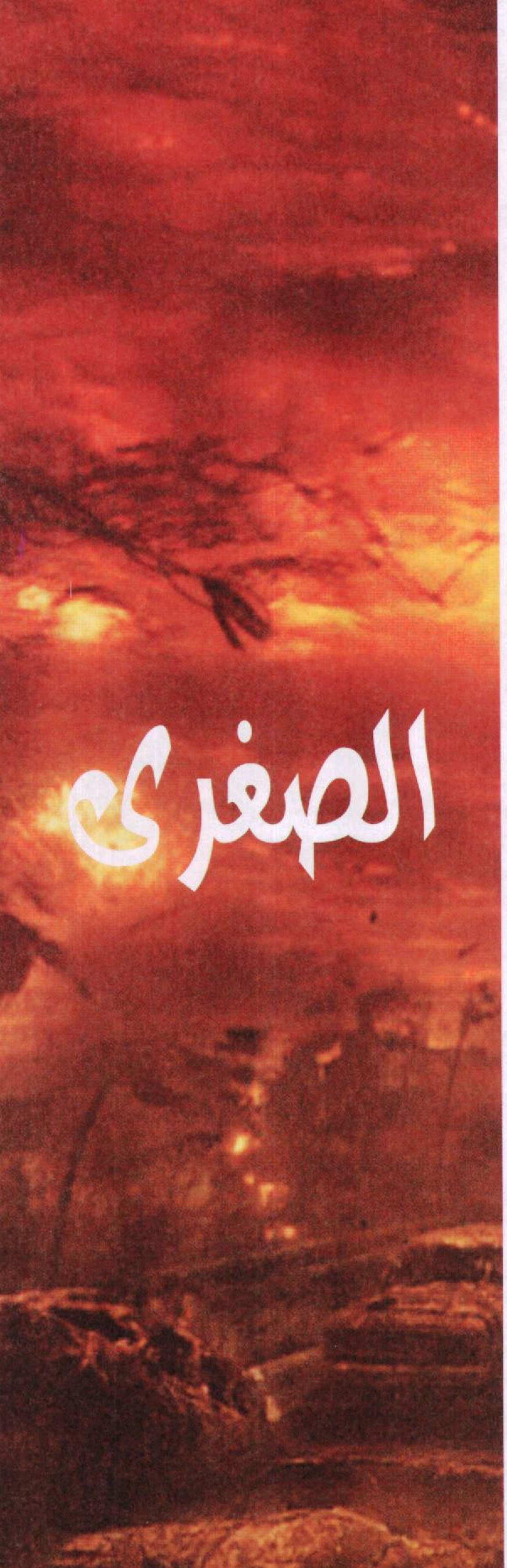
١٠٨ أن لا يَفرح الناس بغنيمة

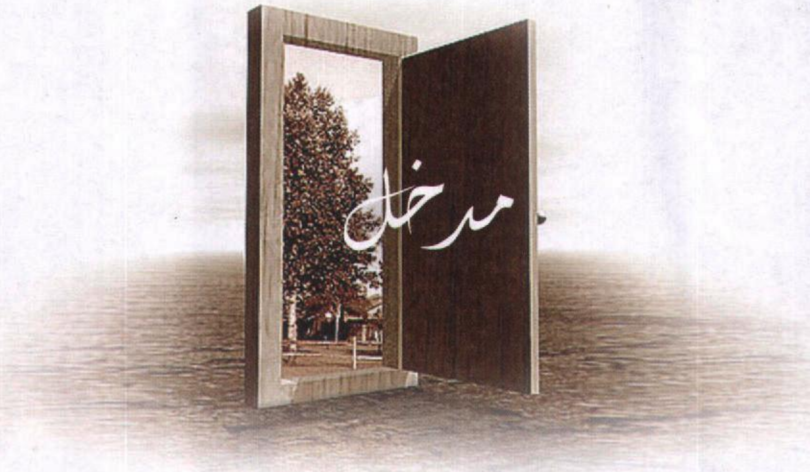
١٠٩ عودة الناس إلى الأسلحة والمركوبات القديمة

١١٠ عمران بيت المقدس

- ١١١ خراب المدينة وخلوها من السكان والزائرين
- ١١٢ نفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد
- ١١٣ زوال الجبال من أماكنها
- ١١٤ خروج رجل من قحطان يطيعه الناس
- ١١٥ خروج رجل يقال له الجهجاه
- ١١٦ تكلّم السباع والجمادات
- ١١٧ تكلّم طرف السوط
- ١١٨ تكلّم شراك النعل
- ١١٩ إخبار فخذ الرجل بأخبار أهله
- ١٢٠ لا تقوم الساعة حتى يَدْرُسَ الإسلام
- ١٢١ رفع القرآن من المصاحف والصدور
- ١٢٢ جيش يغزو البيت يُخْسف بأوله وآخره
- ١٢٣ ترك الحج لبيت اللّه الحرام
- ١٢٤ عودة بعض قبائل العرب لعبادة الأصنام
- ١٢٥ فناء قبيلة قريش
- ١٢٦ هدم الكعبة على يدي رجل من الحبشة
- ١٢٧ بعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين
- ١٢٨ ارتفاع مباني مكة

أشراط الساعة الصغرى





تقدم

أن أشراط الساعة كبرى وصغرى، والفرق بينهما أن الكبرى يعقبها قريبًا قيام الساعة، ويكون لها تأثير كبير، ويشعر بها جموع الناس، أما الصغرى فقد تتقدم على الساعة بزمن، وتقع في مكان دون مكان، ويشعر بها قوم دون قوم.

وسنبدأ هنا بذكر العلامات الصغرى، مستقريًا إياها من الآيات والأحاديث الواردة في ذلك متحريًا الدقة وصحَّة الأحاديث، وثبوت الآثار.

١

بعثة نبينا محمد ﷺ

أخـبـر ﷺ أن بعثتـه دليل وعلامـة على قرب السـاعة، وأنها أول أشـراط السـاعة الصغرى. عن سهل بن سـعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول ﷺ قال بأصبعيه هكذا الوسطى والتي تلي الإبهام: «بُعِثت والساعة كهاتين»[١]، وقال ﷺ: «بُعِثت في نَسَم الساعة»[٢]

قال القرطبي: «أولُها النبي ﷺ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بُعِث ليس بينه وبين القيامة نبي»[٣] ا.هـ



(١) رواه البخاري، ورواه مسلم من حديث أنس.

(٢) رواه الحاكم في الكنى، وقال الألباني "صحيح" كما في السلسلة الصحيحة (حديث رقم ٨٠٨)، ونَسم الساعة: أولها، والنّسم في الأصل أول هبوب الريح الضعيفة.

(٣) انظر التذكرة للقرطبي (١ / ٧١٠).

٢
وفاة نبينا محمد ﷺ

الفجيعة بموته ﷺ، هي من أوائل علامات قرب الساعة فقد قال عوف بن مالك: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم[١]، فقال: «اعدد ستًا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم[٢]، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا - أي يكثر المال عند الناس ويغتنوا حتى لا يكاد الرجل يفرح إلاّ بآلاف الدنانير- ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته،



ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر[٣]، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين، غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا[٤]»[٥].

ولقد كانت وفاته ﷺ من أعظم المصائب التي أصابت المسلمين، وأظلمت المدينة في عيون الصحابة - رضوان الله عليهم - عندما مات ﷺ.

فبموته ﷺ انقطع الوحي من السماء، وكان أول ظهور الفتن وارتداد بعض العرب عن الإسلام.

(١) قبة من أدم: أي خيمة من جلد.
(٢) هو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة.
(٣) بنو الأصفر: الروم، وهم اليوم الأوربيون والأمريكان.
(٤) رواه البخاري
(٥) سيأتي الكلام على هذه العلامات وشرحها تفصيلاً.

٣

انشقاق القمر

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾[١].



صورة نشرتها وكالات الفضاء لصورة شق واضح في وسط القمر

قال الحافظ ابن كثير: «قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات»[٢].

قال أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إن أهل مكة سألوا رسول ﷺ أن يريهم آية؛ فأراهم انشقاق القمر»[٣].

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا»»[٤].

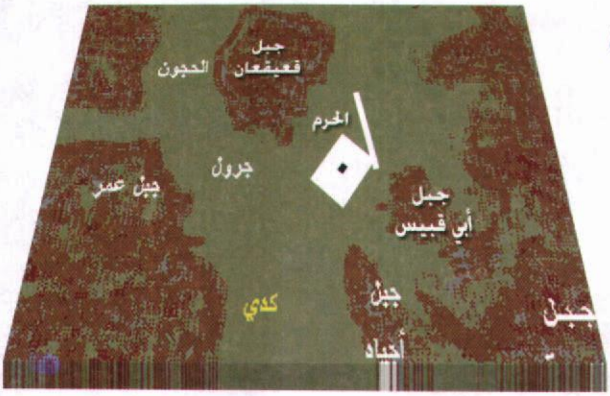
---

(١) القمر: ١-٢

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٧ / ٤٧٢).

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.



وقال ابن عباس رضي الله عنه: «اجتمع المشركون على رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين، نصفا على أبي قبيس، ونصفا على قعيقعان، وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما سألوا؛ فأمسى القمر نصفين: نصفا على أبي قبيس، ونصفا على قعيقعان، ورسول الله ﷺ يقول: «اشهدوا»»[1].



المسجد الحرام ويظهر خلفه جبل أبي قبيس

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوّة، والحديث في إسناده موسى بن عبد الرحمن، كذاب، وللحديث شواهد، وأوردته هنا استئناسًا بمن ذكره من أهل العلم.

٤

انقراض الصحابة الكرام رضي الله عنهم

أصحاب رسول الله ﷺ هم خير هذه الأمة بعد نبينا ﷺ، وفي حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[١].

ففي هذا الحديث:



- قرن ذهاب الصحابة رضي الله عنهم بذهاب أمارتين للساعة، ذهاب النجوم، ونزول الشهب، وموت الرسول ﷺ.
- أنه ثبت في الأحاديث أنه يذهب الصالحون الأول فالأول فتقوم الساعة على شرار الخلق.

(١) رواه مسلم.

٥

فتح بيت المقدس

عندما بُعِث النبي ﷺ كان بيت المقدس تحت وطأة النصارى الروم، والروم دولة قوية متمكّنة، وقد بشر النبي ﷺ بفتح بيت المقدس، وعدّ ذلك من أشراط الساعة، كما في حديث عوف بن مالك أن النبي ﷺ قال: «اعدد ستا بين يدي الساعة».. وذكر منها «فتح بيت المقدس»[(١)].



المسجد الأقصى

وقد فُتح بيت المقدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة (١٦هـ - ٦٣٧م)، وطهّره من الكفر وبنى فيه مسجدًا.

وقد فُتح بيت المقدس مرتين مرة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومرة في زمن الدولة الأيوبية؛ فتحه صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله- (عام ٥٨٣هـ - ١١٨٧م).

وستُفتح القدس بإذن الله على يد فئة مؤمنة، حتى أن الشجر والحجر ينطق قائلًا: «يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله»[(٢)].

وسيأتي ذكر بعض المعارك الواقعة حول بيت المقدس وقتال المسلمين لليهود[(٣)].

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) انظر علامة رقم (٩٥) من العلامات الصغرى.

٦

موتان كقُعَاص الغنم

هذا من علامات الساعة، والموتان هو لفظ مبالغة من الموت، أي يقع موت كثير جدًا، أشبه ما يكون بالوباء الذي يقضي على الناس جماعات جماعات.



وقد قيل إن هذا وقع في طاعون عمواس. والطاعون هو: بثور أو أورام تظهر في الجسم مع التهاب شديد ومؤذٍ جدًا، وهو مرض فتاك شديد العدوى.

وعمواس: هي قرية بفلسطين قرب بيت المقدس[1].



موقع قرية عمواس

وعن عوف بن مالك قال ﷺ: «أعدد ستًا بين يدي الساعة وذكر فيه: موتان يأخذ فيكم كقُعَاص الغنم»[2].

فكان حدث في الأمة زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح القدس (عام ١٦هـ) انتشار مرض الطاعون - وذلك في سنة (١٨ هـ) - في أرض الشام ؛ فمات خلق كثير بلغ خمسة وعشرين ألف رجل من المسلمين.

(١) انظر معجم البلدان (٤ / ١٧٧).

(٢) رواه البخاري.

ومات بسببه جماعات من سادات الصحابة، منهم: معاذ بن جبل، وأبو عبيدة، وشرحبيل بن حسنة، والفضل بن العباس بن عبد المطلب وغيرهم، رضي الله عنهم أجمعين.

وقُعَاص الغنم هو داء يأخذ الدواب؛ فيسيل من أنوفها شيء ؛ فتموت فجأة، وقد شبه النبي ﷺ الموتان بقُعَاص الغنم لأن الطاعون يظهر قرحة في البدن تسيل، ثم يموت منها المصاب.

٧

كثرة ظهور الفتن بأنواعها

وهذا من أشراط الساعة التي بدأت تتضح في هذا الزمان وأصبح المرء محاطًا بأنواع الفتن:



فتنة النظر الحرام من خلال ما يعرض في القنوات الفضائية والمجلات، ومواقع الإنترنت، وما يتناقله الناس من صور ومقاطع فيديو محرمة عبر الهواتف المحمولة وغيرها، فهذه فتن من تركها ونجى منها مخافة الله وتعظيمًا له؛ أورثه الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه.

وفتنة المال الحرام، كأموال الربا، والرشاوي، وبيع البضائع المحرمة من خمور وملابس محرمة وغير ذلك.

وآكل المال الحرام لا يستجيب الله دعاءه، وتوعده بالنكال.

وفتنة اللباس الحرام سواء من الرجال أو النساء.

وكثرة وقوع الناس في الفتن، حتى صار التقي النقي غريبًا بينهم.

والفتن جمع فتنة، وهي الاختبار والابتلاء، واستعملت في كل شيء مكروه.

وقد أخبر ﷺ بمجيء الفتن العظيمة التي يلتبس فيها على المسلم الحق، وكلما ظهرت فتنة قال المؤمن: هذه مهلكتي ثم تنكشف، ويظهر غيرها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا»[1].

ومعنى الحديث:

الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذُّرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة، كتراكم قِطَعِ الليل المظلم لا المقمر.

ووصف ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي مؤمنًا ثم يصبح كافرًا أو عكسه؛ وهذا لعظم الفتن، ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب.

---

(١) رواه مسلم.

٨

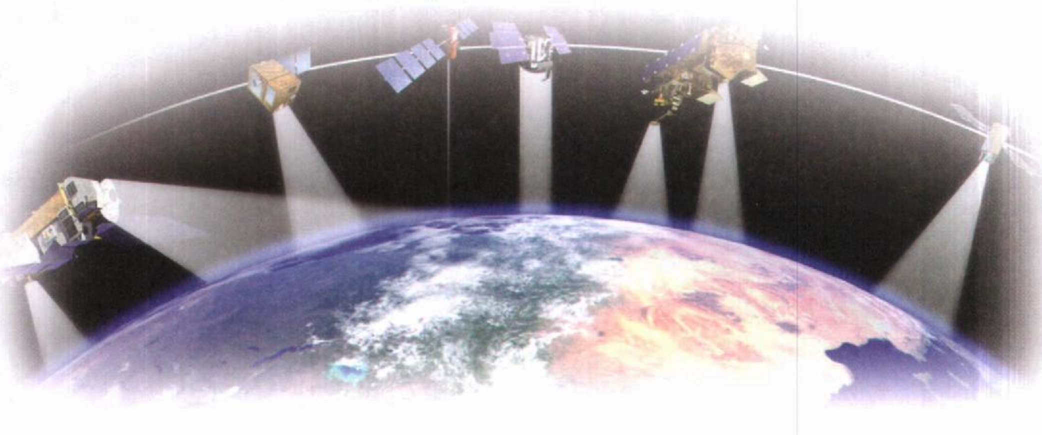
ظهور القنوات الفضائية

يسبح في الفضاء اليوم ما لا يقلّ عن ثلاثة عشر ألف قناة فضائية، فيها فتن وبلاء، وقد جاءت الإشارة إلى الفتن عمومًا في الحديث السابق «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل..»، وقد جاء ما يشير إلى فتن القنوات وشرها، فقد روى ابن أبي شيبة في مصنّفه بسند صحيح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «ليوشكن أن يُصبَّ عليكم الشرّ من السماء حتى يبلغ الفيافي، قال: قيل: وما الفيافي يا أبا عبد الله؟ قال: الأرض القفر».



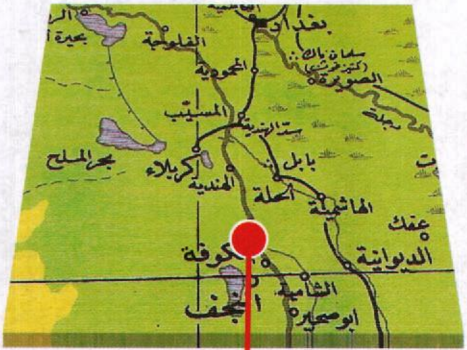
والعرب تطلق لفظ «السماء» على كلّ ما على الإنسان، وفي لسان العرب «السماء كلّ ما علاك فأظلّك».

والتلفاز اليوم يستقبل ما تمطره الأقمار الصناعية عليه من فتن ومجون، حتى الخيام في القفار والصحاري، لم تسلم من هذه الفتنة.



٩

إخباره ﷺ عن موقعة صِفّين



موقع معركة صفين

ومن أشراط الساعة أن النبي ﷺ أخبر بحروب ومعارك تقع، سواء بين المسلمين والكفار، أو بين المسلمين أنفسهم، ومن ذلك: معركة صِفّين، وهي معركة وقعت بين علي ومعاوية بعد مقتل عثمان -رضي الله عنهم جميعًا- سنة (٣٦ هـ)، وهي من أشراط الساعة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة**»[(١)].

ذكر موقف أهل السنة من الفتنة بين الصحابة

تنبيه

الصحابة رضي الله عنهم بشر ليسوا أنبياء، فيقع من الصحابة ما يقع من بقية الناس من اجتهادات وأخطاء وخصومات بل .. ومعارك .. وقد أجمع أهل السنة قاطبة على أن الصحابة أبرُّ الناس وأصلحهم وأقربهم إلى هدي النبي ﷺ ووجوب الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم والسكوت عما حصل بينهم من خلافات ، وعدم البحث والتنقيب عن خلافاتهم، أو نشرها بين العامة؛ لما لها من أثر سيئ في إثارة الفتنة وإيغار الصدور عليهم، وسوء الظن بهم.

ومسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، هو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم.

(١) متفق عليه.

١٠

ظهور الخوارج



ومن علامات الساعة خروج بعض الفرق المخالفة لمنهج النبي ﷺ وصحابته الكرام، ومن هؤلاء فرقة الخوارج، وهم قوم كانوا من جماعة علي رضي الله عنه يقاتلون معه، ثم خرجوا عن طاعته بعد مسألة التحكيم بينه وبين معاوية رضي الله عنه، وانحازوا إلى قرية قرب الكوفة اسمها حروراء.

ومن معتقداتهم:

١ تكفير مرتكب الكبيرة (مثل: الزاني، وشارب الخمر، ..) وأنه يخلد في النار، وهذا ضلال مبين، والحقّ أن المسلم إذا ارتكب هذه الكبائر لا يكفر، لكنه يكون عاصيًا فاسقًا بفعلها، وعليه التوبة والإقلاع عن معصيته.

٢ تكفير علي ومعاوية -رضوان الله عليهما- وكثير من الصحابة الذين رضوا بالتحكيم، رضي الله عنهم جميعًا.

٣ الخروج على الحكام الفسّاق الذين لم يثبت وقوعهم في الكفر.

ويدَّعون العلم، ويُجهدون أنفسهم بالعبادة، ويجهلون أحكام كتاب الله، ومن هؤلاء: ذو الخويصرة الذي قال فيه النبي الله ﷺ: «يمرُقون من الدين كما يَمْرُق السهم من الرَّميَّة»[١].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «يخرج آخر الزمان قوم أحداث الأسنان[٢]، سفهاء الأحلام[٣]، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم[٤]، يقولون من قول خير البرية[٥]، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميَّة»[٦].

بداية ظهور الخوارج:

بعد انتهاء معركة صفين، واتفاق أهل الشام والعراق على التحكيم بين الطائفتين، ورجوع علي رضي الله عنه إلى الكوفة؛ فارقه الخوارج، وكانوا عددهم في جيشه ثمانية آلاف رجل، وقيل ستة عشر ألف رجل، ونزلوا حروراء.

---

(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا (أي يوزع مالًا على الناس)، أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل. فقال ﷺ: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبتَ وخسرتَ إن لم أكن أعدل». فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال ﷺ: «دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه (أي ريش السهم) فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم (والمراد هنا: أنهم يخرجون من الإسلام ببعض أفعالهم دون أن يشعروا، كما أن الصياد يرمي صيده كظبي أو غزال فيصيب السهم هذا الغزال ويخرق جسده ويخرج من الناحية الأخرى فيظن الصياد أنه لم يصبه وهو قد أصابه)، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه (أي: ما بين مرفقه وكتفه) مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر (أي مثل قطعة اللحم تضطرب وتتحرك)، ويخرجون على حين فرقة من الناس» متفق عليه.

(٢) أي صغار السن.

(٣) المراد به صغار العقول

(٤) أي لا يفهمونه ولا يعملون بما فيه.

(٥) أي يروون الأحاديث ولا يفهمون معناها.

(٦) متفق عليه .

فأرسل علي رضي الله عنه إليهم ابن عباس رضي الله عنه فناظرهم[١]؛ فرجع بعضهم إلى

(١) قصة مناظرة ابن عباس للخوارج:

قال عبد الله بن عباس: لما اعتزلت الخوارج دخلوا دارًا وهم ستة آلاف، وأجمعوا على أن يخرجوا، ويقاتلوا علي بن أبي طالب. فكان لا يزال يجيء إنسان فيقول: يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك.

فيقول: دعوهم، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون.

فلما كان ذات يوم أتيته صلاة الظهر فقلت له: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة -يعني أخرها- لعلي أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم.

فقال: إني أخاف عليك.

فقلت: كلا.

وكنت رجلًا حسن الخلق لا أؤذي أحدًا، فأذن لي، فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن، وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار.

فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهادًا؛ جباههم قرحة من السجود، وأياديهم كأنها ثفن الإبل، وعليهم قمص مرحضة مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر فسلمت عليهم.

فقالوا: مرحبًا بابن عباس ما جاء بك؟!

فقلت: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم.

فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشًا ؛ فإن الله عز وجل يقول: (بل هم قوم خصمون).

فقال اثنان أو ثلاثة: لنكلمنه.

فقلت: هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله والمهاجرين والأنصار، وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم منهم أحد، وهو أعلم بتأويله.

قالوا: ثلاثًا.

قلت: هاتوا .

قالوا: أما إحداهن، فانه حكّم الرجال في أمر الله، وقد قال الله عز وجل: (إن الحكم إلا لله) فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل؟!

فقلت: هذه واحدة، وماذا؟

قالوا: وأما الثانية، فإنه قاتل وقتل، ولم يسبِ، ولم يغنم، فإن كانوا مؤمنين فَلِمَ حل لنا قتالهم وقتلهم، ولم يحل لنا سبيهم؟!

قلت: وما الثالثة؟

قالوا: فإنه محا عن نفسه أمير المؤمنين، فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمير الكافرين.

قلت: هل عندكم غير هذا؟

قالوا: كفانا هذا.

قلت لهم: أما قولكم حكّم الرجال في أمر الله، أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض هذا، فإذا نقض قولكم أترجعون؟

قالوا: نعم.

قلت: فإن الله قد صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب، وتلا هذه الآية: (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدًا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم).

وفي المرأة وزوجها: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها).

طاعة علي رضي الله عنه خليفة المسلمين وبقي بعضهم على ضلاله، فخطبهم علي رضي الله عنه في مسجد الكوفة، فتنادوا من جوانب المسجد: «لا حكم إلا لله». وقالوا أيضا: أشركتَ وحكمت الرجال، ولم تحكم كتاب الله.

فقال لهم علي رضي الله عنه: لكم علينا ثلاث: أن لا نمنعكم من المساجد، ولا من رزقكم في الفيء، ولا نبدؤكم بقتال ما لم تُحدِثوا فسادًا.

ثم إنهم تجمعوا وقتلوا من مر بهم من المسلمين؛ فقتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت، وشقّوا بطن زوجته. فلما علم علي رضي الله عنه سألهم: من قتله؟ فأجابوا قائلين: كلنا قتله. فتجهز علي لقتالهم والتقى معهم في موقعة النهروان فهزمهم شر هزيمة.

فنشدتكم بالله، هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم، وفي حقن دمائهم أفضل، أم حكمهم في أرنب وبضع امرأة، فأيهما ترون أفضل؟!

قالوا: بل هذه.

قلت: خرجت من هذه؟

قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة -رضي الله عنها-؟، فوالله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام، ووالله لئن قلتم لنسبينها، ونستحل منها ما نستحل من غيرها؛ لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين؛ لأن الله عز وجل قال: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم).

أخرجت من هذه؟

قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون: أن النبي يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو فقال لعلي رضي الله عنه أكتب لهم كتابًا فكتب لهم علي: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله فقال المشركون: والله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك. فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنك تعلم أني رسول الله امح يا علي اكتب «هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله» فوالله لرسول الله خير من علي وقد محا نفسه.

فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا". رواه عبد الرزاق في المصنف، والحاكم في المستدرك وصححه على شرط مسلم.

١١

خروج أدعياء النبوة الدجالين الكذابين

من أمارات الساعة وأشراطها خروج الدجالين الكذابين، الذين يدعون النبوة، ويثيرون الفتنة بأباطيلهم، وقد أخبر النبي ﷺ أن عدد هؤلاء قريب من ثلاثين.

فقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله»[١].

وقد وقعت هذه العلامة من علامات الساعة، فخرج كثير من أدعياء النبوة قديمًا وحديثًا، ولا يستبعد أن يظهر دجالون آخرون إلى أن يظهر الدجال الأعور الكذاب -نعوذ بالله من فتنته- فقد خطب رسول الله ﷺ يومًا فقال: «إنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا آخرهم الأعور الكذاب»[٢].

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»[٣].

كما أخبر النبي ﷺ عن ظهور سبعة وعشرين مدعيًا للنبوة، منهم أربع نسوة، كلهم يدعي أنه رسول الله.

فعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «في أمتي كذابون دجالون، سبعة وعشرون، منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي»[٤].

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد بسند صحيح.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وهو حديث صحيح.

(٤) رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار ورجال البزار رجال الصحيح.

وقد ظهر من هؤلاء عدد كبير في الماضي:

١ فادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ الأسود العنسي في اليمن؛ حيث ارتدّ عن الإسلام، وادعى النبوة، وكانت ردته أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ، وقد تحرك بمن معه من المقاتلين، واستولى على جميع أجزاء اليمن خلال ثلاثة أشهر أو أربعة، فبعث النبي ﷺ رسالة إلى المسلمين في اليمن، يحثهم على مقاتلته؛ فاستجابوا وقتلوه في منزله، بمعاونة زوجته التي تزوجها قسرًا بعد أن قتل زوجها، وقد كانت مؤمنة بالله ورسوله ﷺ، وبمقتله ظهر الإسلام وأهله في اليمن، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ، وكان قد أتى إليه الخبر في ليلته من السماء فأخبر أصحابه، وقد دامت فترة ملك هذا الكذاب من حين ظهوره إلى أن قتل ثلاثة أشهر، وقيل أربعة أشهر.

٢ ومنهم طليحة بن خويلد الأسدي، وقد قاتله المسلمون مرارا، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، ولحق بجيش المسلمين، وأبلى في الجهاد في سبيل الله بلاء حسنا، واستشهد بنهاوند رضي الله عنه.

٣ ومنهم مسيلمة الكذاب، وكان يزعم أن الوحي يأتيه في الظلام، وقد أرسل إليه أبو بكر الصديق جيشًا بقيادة خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم فاستقبلهم مسيلمة بجيش كان قوامه أربعين ألف مقاتل، ودارت بينهم معارك حاسمة، كانت الدائرة فيها على مسيلمة وجيشه، وقتل مسيلمة بيد وحشي بن حرب رضي الله عنه، وانتصر الحق وارتفعت راية التوحيد.

٤ ومنهم سجاح بنت الحارث التغلبية، كانت من نصارى العرب، وقد ادعت النبوة بعد موت الرسول ﷺ؛ فالتف حولها أناس كثير من قومها وغيرهم، وغزت بهم القبائل المجاورة، وسارت حتى وصلت اليمامة، والتقت بمسيلمة وصدقته، وتزوجها، ولما قتل مسيلمة رجعت إلى بلادها، وأقامت في قومها بني تغلب، ثم أسلمت وحسن إسلامها، وانتقلت بعد ذلك إلى البصرة وماتت بها.



خالد بن الوليد — عكرمة بن أبي جهل — سويد بن مقرن

خالد بن سعيد — عمرو بن العاص — حذيفة الغطفاني

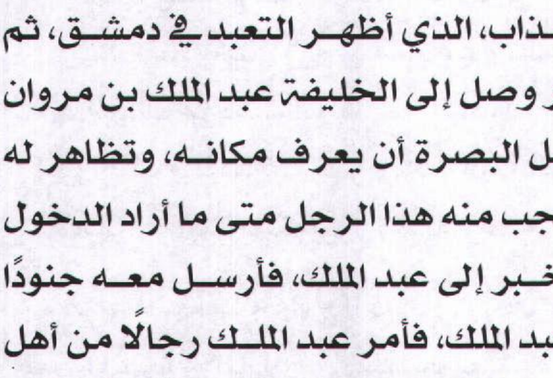
عرفجة بن هرثمة — شرحبيل بن حسنة

العلاء بن الحضرمي — المهاجر بن أبي أمية

حروب الردة

٥ وأما في عصر التابعين وما بعده، فظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي تظاهر بالتشيع أوّلاً، فالتف حوله جماعة كثيرة من الشيعة، وزعم أن جبريل عليه السلام ينزل عليه، وقد دارت بينه وبين مصعب بن الزبير عدة معارك قُتِلَ فيها المختار.

٦ ومنهم الحارث بن سعيد الكذاب، الذي أظهر التعبد في دمشق، ثم زعم أنه نبي، ولما علم أن الخبر وصل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان اختفى، فاستطاع رجل من أهل البصرة أن يعرف مكانه، وتظاهر له بالتصديق فأمر الحارث ألا يُحْجب منه هذا الرجل متى ما أراد الدخول عليه، فأوصل هذا الرجل الخبر إلى عبد الملك، فأرسل معه جنودًا وقبضوا عليه، وجيء به إلى عبد الملك، فأمر عبد الملك رجالًا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويُعلِموه أن هذا من الشيطان؛ فأبى أن يقبل منهم ويتوب؛ فقتله.



٧ وفي العصر الحديث قبل أكثر من قرن، ظهر بالهند رجل يُدْعى (ميرزا غلام أحمد القادياني)، ادعى النبوة، وكان يزعم أنه يتلقى الوحي من السماء، كما زعم أن الله عز وجل أخبره بأنه سيعيش ثمانين سنة، وصار له أتباع؛ فانبرى له العلماء وردوا عليه، وبينوا أنه دجال، منهم العالم الكبير ثناء الله الآمرتسري، وكان أشد العلماء عليه.


ميرزا غلام أحمد القادياني

حتى إنه في عام (١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م) تحدى القادياني الشيخ ثناء الله، بأن الكاذب المفتري من الرجلين سيموت، ودعا الله أن يقبض المُبْطِل في حياة صاحبه، ويسلط عليه داء الطاعون، يكون فيه حتفه، وبعد سنة أصيب القادياني بدعوته.

وقد ذكر أبو زوجته نهايته بقوله: لما اشتد مرضه أيقظني؛ فذهبت إليه ورأيت ما يعانيه من الألم، فخاطبني قائلًا: أصبت بالكوليرا، ثم لم ينطق بعد هذا بكلمة صريحة حتى مات.

وهكذا يستمر خروج الكذابين واحدًا بعد الآخر، حتى تستوفي عدتهم التي أخبرنا الصادق المصدوق نبينا محمد ﷺ، حتى يكون آخرهم المسيح الدجال، الذي يخرج في آخر الزمان - نعوذ بالله من فتنته - وينزل عيسى بن مريم عليه السلام للقضاء عليه وعلى فتنته[1].

إشكال

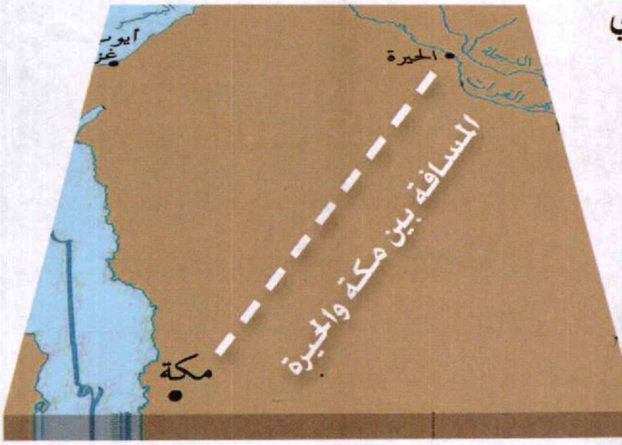
قد يستشكل البعض بأن النبي ﷺ أخبر أن مدعي النبوة ثلاثون، بينما التاريخ والواقع يشهدان أن العدد أكبر من ذلك.

والجواب: أن هؤلاء الثلاثين هم الذين يكون لهم شهرة ودولة وأتباع، أما غيرهم ممن ليس له كذلك، فلا يُعد من الثلاثين.

(١) سيأتي الكلام عن الدجال، والمسيح ابن مريم عليه السلام في العلامات رقم (١)، (٢)، من العلامات الكبرى.

١٢
شيوع الأمن والرخاء

عاش المسلمون زمنًا في مكة والمدينة، وهم ما بين قتال الأعداء وترقّب لحروب ومعارك، فأخبر النبي ﷺ أنه مع تقدم السنين، واقتراب الساعة سيكثر الأمن ويعم الرخاء، فقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق[١]، وحتى يكثر الهرج». قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «القتل»[٢]



ويؤيده قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه: «يا عدي هل رأيت الحيرة[٣]». قلت: لم أرها وقد أُنبِئْتُ عنها. قال: «فإن طالت بك حياة لترين الظعينة - أي المرأة - ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحدًا إلا الله»[٤].

وسيكثر المال ويفيض - بإذن الله -، ويعم العدل مكان الظلم والجور على زمن المهدي وعيسى عليه السلام، والله أعلم[٥].

(١) يعني لا يخاف من قُطّاع طريق ولا لصوص، وإنما يخاف أن يضل الطريق ويضيع فقط، أما على نفسه وماله فهو آمن...

(٢) رواه أحمد في المسند وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح، وأوله في صحيح مسلم.

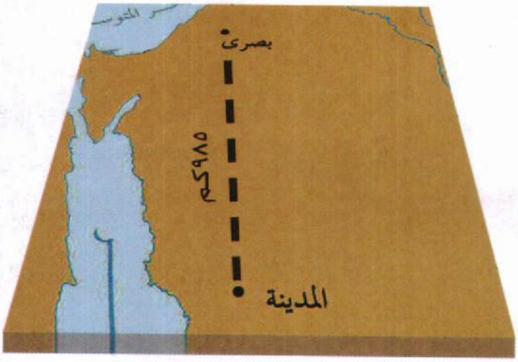
(٣) مدينة في العراق على ثلاثة أميال من الكوفة.

(٤) رواه البخاري.

(٥) سيأتي تفصيل ذلك في العلامات رقم (١٣١) من العلامات الصغرى، ورقم (٢) من العلامات الكبرى.

١٣
ظهور نار من الحجاز

مـن علامات السـاعة التي أخبر عنها رسـول الله ﷺ، خـروج نار من أرض الحجـاز من جوار المدينـة المنورة، وقد نصَّ بعض العلمـاء والمؤرِّخين على أن هذه العلامة عام ٦٥٤ هجرية.



قال الحافظ ابن كثير متحدثًا عنها:

«كان ظهـور النار مـن أرض الحجاز، والتي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى[١]، كما نطق الحديث، فقد قال رسـول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار مـن أرض الحجـاز، تضيء لها أعناق الإبل ببصـرى»[٢]. وقيل إن النار بقيت ثلاثة أشـهر وكانت نسـاء المدينة يغزلن على ضوئها»[٣]



آثار الحمم المتدفقة من بركان حرة رهط عام ٦٥٤هـ وموقعها من المدينة المنورة

قال أبو شـامة واصفا الواقعة: «لما كانـت ليلـة الأربعـاء ٣ / جمـادى الآخـرة / ٦٥٤ هـ[٤]، ظهـر بالمدينة المنـورة دوي عظيـم، ثـم زلزلـة رجفـت منهـا الأرض والحيطـان

(١) مدينة حوران في سوريا.

(٢) رواه البخاري.

(٣) البداية والنهاية (١٣ / ١٩٩).

(٤) يوافقه ٢٩/٥/١٢٥٦م.



والسقوف والأخشاب والأبواب ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة من الشهر المذكور. ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة - موضع في المدينة - قريبة من بني قريظة، نبصرها من دورنا من داخل المدينة، وكأنها عندنا نار عظيمة سالت أودية بالنار إلى وادي شظا مسيل الماء، وهي ترمي بشرر كالقصر»[(١)]



جبل المليساء (الملسا)

بركان حرة رهط الخامد، والذي كانت آخر ثوراته عام (٦٥٤هـ - ١٢٥٦م) والتي سبقتها عدد من الهزات الأرضية العنيفة والانفجارات الشديدة، واستمر النشاط البركاني بحسب المصادر التاريخية حوالي اثنين وخمسين يوماً، وانساب الصهير منه إلى مسافة ٢٣ كم إلى الشمال من مركز البركان، حيث وصلت حدوده إلى الطرف الجنوبي لمطار المدينة المنورة الحالي، وتوقف انسياب الصهير على مسافة ١٢ كم من المدينة المنورة، ثم تحول إلى الشمال، ويبلغ ارتفاعه ٩١٦ مترا عن سطح البحر.

(١) انظر التذكرة (ص: ٥٢٧).

١٤
قتال التُرك

تقدم أن من علامات الساعة، حروب ومعارك أخبر النبي ﷺ أنها تقع بين المسلمين وغيرهم، ومن ذلك وقوع معركة بين المسلمين والترك[١]، وقد حصل ذلك القتال في عصر الصحابة، في أول خلافة بني أمية، وهزموا الترك وغنموا منهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف[٢]، كأن وجوههم المِجان المطرقة[٣]، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر[٤]»[٥]



الترس : وهو الذي يمسكه المقاتل في يده ليتقي به ضربات السيوف والفؤوس



صورة لرجل وطفلة من المغول ونلحظ فيها دقة الوصف الوارد بالحديث

---

(١) كان الترك ثنتين وعشرين قبيلة وقد بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وبقيت واحدة وهي الترك سموا بذلك لأنهم تُركُوا خارجين عن السدّ لم يغلق عليهم مع بقية القبائل . " انظر: مرقاة المفاتيح (١٥ / ٣٩٢).

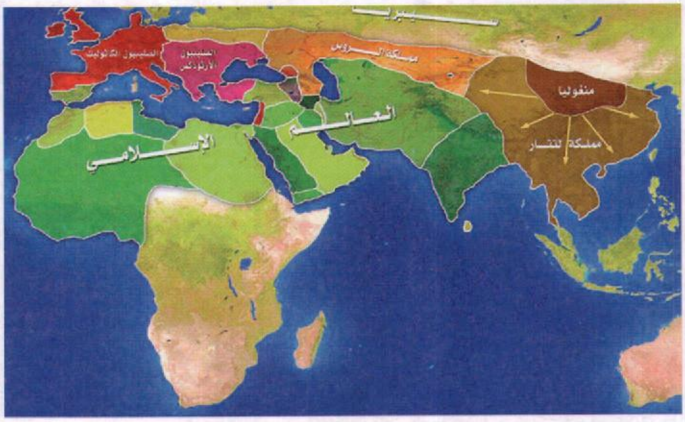
(٢) أي انخفاض قصبة الأنف وانفراشه.

(٣) المجن الترس، شبه وجوههم بالتّرس (وهو ما يحمله المقاتل في يده يتقي به ضربات السيوف)؛ أي مستديرة، وبالمطرقة؛ لغلظها وكثرة لحمها

(٤) أي من جلود فيها شعر الحيوانات غير مدبوغة.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

والمـراد بهـم والله أعلم التتار المغـول الذين اجتاحوا البلاد الإسـلامية عام (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م)، وسفكوا الدماء، لكنهم أخيرًا دخلوا في الإسلام.



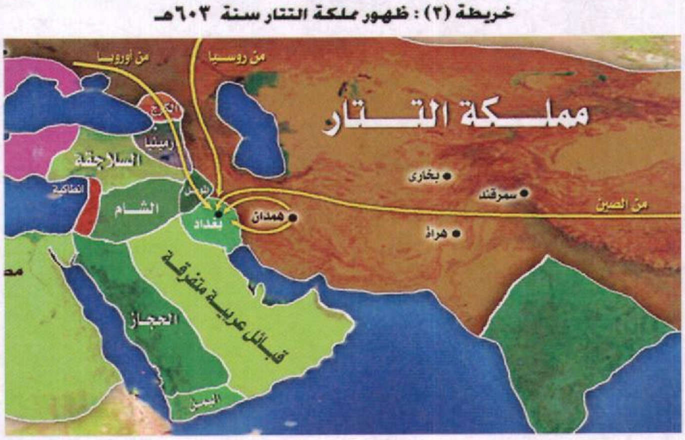
خريطة (٢) : ظهور مملكة التتار سنة ٦٠٣هـ



رسم لفارس مغولي



من الزي المغولي القديم



خريطة (١٢) : جيوش التتار المشتركة في حصار "بغداد"



لوحة قديمة لمقاتل مغولي



خريطة (١٥) : مملكة التتار بعد احتلال الشام



لوحة قديمة لجنكيز خان. موحد قبائل التتار

١٥
ظهور رجال ظلمة يضربون الناس بالسّياط



ومن علامات الساعة التي أخبر بها نبينا الكريم ﷺ، أعوان الحكام الظلمة، الذين يجلدون الناس بالسياط التي تشبه أذناب البقر، من السياط بأنواعها الجلدية والكهربائية والمطاطية وأغصان الشجر وغيرها.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يكون آخر الزمان، رجال معهم سياط كأذناب البقر، يغدون في سخط الله، ويروحون في غضبه»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «صنفان من أمتي لم أرهما.. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس..»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن طالت بك مدة أوشكت أن ترى قومًا، يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر»[٣].

وهذا الحديث وإن لم يكن فيه التصريح بأنهم يضربون الناس، إلا أن وضعهم بالسخط واللعنة، قد يشير إلى كثرة اعتدائهم وظلمهم.

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم

١٦

كثرة الهَرْج (القتل)

مـن علامات الساعة التي ذكرها رسـول الله ﷺ، كثـرة القتل، حتى إن الرجل يقتل الرجل لا يدري لِمَ قتله، ولا المقتول لم قُتِل.

عـن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «والذي نفسـي بيده، لا تذهب الدنيـا حتى يأتي يوم لا يدري القاتل فيـم قَتَل، ولا المقتول فيم قُتِل». فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «الهرج القاتل والمقتول في النار»[1].

وقـد بـدأ الهرج بمقتـل عثمـان رضي الله عنه، وصارت الحـروب تكثر دون أسـباب مقنعة، وذهب ضحيتها الألوف من الناس. مع ظهور الأسـلحة المدمرة اليوم التي تخدم هذه الحروب الطاحنة.



قنبلة هيروشيما قتلت نحو ١٤٠,٠٠٠ شخص كأثر مباشر للإنفجار وما تبعه من تداعيات

وهذه إحصائية لقتلى بعض الحروب:

١ الحرب العالمية الأولى: ١٥ مليون قتيل.
٢ الحرب العالمية الثانية: ٥٥ مليون قتيل.
٣ حرب فيتنام: ٣ ملايين قتيل.
٤ الحرب الأهلية الروسية: ١٠ ملايين قتيل.
٥ الحرب الأهلية الأسبانية: ١٢ مليون قتيل.
٦ الحرب العراقية الإيرانية (حرب الخليج الأولى): مليون قتيل.
٧ غزو العراق: أكثر من مليون قتيل.

وهذه الحروب، وإن كان بعضها لا ينطبق عليه الحديث «لا يدري القاتل فيم قتل..» إلّا أني أوردتها لبيان انتشار القتل وكثرته.

(١) رواه مسلم

١٧
ضياع الأمانة ورفعها من القلوب

إن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب هو عماد بقاء الأمة وصلاح البلاد والعباد ونهضة الحضارة، فإذا ضاعت الأمانة انقلبت الموازين، وفسدت سرائر الناس، وتولى مقاليد الأمور غيرُ الأَكْفاء؛ فسادت الفوضى. وهذا ما أخبر عن وقوعه النبي ﷺ.

وسبب ضياع الأمانة فساد سرائر الناس.

قال حذيفة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن؛ فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة».

ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال ﷺ: «ينام الرجل النَّومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوَكْت[1]، ثم ينام النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل المجل[2]، كجمر دحرجته على رجلك فنفط[3]، فتراه منتبرا[4] وليس فيه شيء - ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله - فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا. حتى يقال للرجل: ما أجلده! ما أظرفه! ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان».

(١) الوَكْت: جمع الوكتة وهو الأثر اليسير في الشيء كالنقطة فيه، ومعنى الحديث يكون لها أثر في قلبه.

(٢) المجل: قشور رقيقة يجتمع فيها ماء تحت الجلد من أثر العمل تشبه البثر.

(٣) أي وَدِمَ وامتلأ والمعنى أنه أنذر برفع الأمانة وأن الموصوف بالأمانة يُسلبها حتى يصير خائنًا بعد أن كان أمينًا.

(٤) أي مرتفعًا.

قال حذيفة: ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلمًا ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيًا أو يهوديًا ليردنه على ساعيه[١] وأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا"[٢].

فإذا فسدت سرائر غالبية الناس، ووُكِّل الأمر لغير أهله، فضاعت الأمانة؛ اقتربت الساعة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يُحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يُحدث. فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: «أين - أُراه - السائلُ عن الساعة»؟ قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «فإذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّد الأمرُ إلى غير أهله؛ فانتظر الساعة»[٣].

وهذه العلامة منطبقة في واقعنا اليوم تمام الانطباق، فترى كثيرًا من المسئوليات في الوزارات، والجامعات، والمناصب في المجتمع، التي تتعلق بها مصالح الناس، لا يُعيَّن فيها الأقدرُ الأصلح، الأكثر أمانة ومراعاة لمصالح الناس، وإنما يعيّن فيها من له معرفة بالمسئول الكبير، أو له مصالح مشتركة مع من يؤيده، وما شابه ذلك..

نعم.. «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

---

(١) أي وليَّه أو وكيله.

(٢) متفق عليه

(٣) رواه البخاري

١٨
اتباع سنن الأمم الماضية

مـن أعظم الفتن التي ابتُلي بها المسـلمون، فتنة التقليد الأعمى، والتشـبه المقيت بعادات وأخلاق اليهود والنصارى، أو غيرهم من الكافرين.

وقد أخبر النبي الكريم ﷺ بأن فريقًا من أمته سيقلدون الأمم الضالة من اليهود والنصارى في عاداتهم وطبائعهم وحياتهم،

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «لا تقوم السـاعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع». فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: «ومَن الناس إلا أولئك»[١].

وقـد وقـع معظم ما أنذر بـه ﷺ، وسـيقع بقية ذلك كمـا في حديث أبي سـعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «لتتبِعُن سـنن الذين من قبلكم شـبرا بشـبر وذراعا بذراع؛ حتى لو دخلـوا في جحر ضـب لاتبعتموهم». قلنا: يا رسول الله: آليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»[٢].

قـال القاضـي عياض رحمه الله: «الشـبر والـذراع ودخـول الجحر تمثيل للاقتداء والتقليد لهم»[٣].

وتقليد اليهود والنصارى المذموم، ليس المقصود به أن نتبادل معهم التجارب العلمية، ونستفيد من مخترعاتهم والتراتيب الإدارية وغيرها. مما لا يخالف ديننا.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) انظر فتح الباري (٢٠ / ٣٨٧).

إنما التقليد المذموم أن نقلدهم في لباسهم، وعاداتهم، وكيفية تعاملاتهم الاجتماعية، من اختلاط ونزع حجاب، أو أنظمتهم المالية المخالفة لديننا، كالربا ونحوه.

١٩
ولادة الأَمَةِ ربَّتها

من علامات الساعة أن تلد المرأة الأمة المملوكة ولدًا يكون له السيادة عليها، وذلك بأن يطأ الرجل الحرُّ أَمَتَه -أي جاريته المملوكة بملك اليمين- فتحمل منه، ثم تنجب ولدًا، فيصبح الولد شابًا حرًا، وأبوه حي وأمه لا تزال أمة مملوكة، فيكون الولد بمثابة السيد لأمه.

ففي حديث جبريل أنه سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال ﷺ: «و سأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها»[1].

وقيل المعنى: بأن الإماء يلدن الملوك؛ فتصير الأم من جملة الرعية والملك سيد رعيته.

(١) رواه مسلم.

٢٠

ظهور النساء الكاسيات العاريات

ومن علامات الساعة انتشار التبرج والسفور، وخروج نساء يظهرن بألبسة ضيقة، تصف أجسادهن، أو يظهرن بألبسة شفافة تُظْهر عوراتهن في الجلوس والمشي، فهن كاسيات من حيث الظاهر، لكنهن عاريات لضيق لباسهن وتجسد عوراتهن، وظهور مفاتنهن.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس[1]، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[2].

«مائلات»: أي منحرفات عن طاعة الله، غير مستقيمات على طاعته.

«مميلات»: أي ينحرفن بغيرهن، فهنّ فاسدات مفسدات.

«رءوسهن كأسنمة البخت»: أي تلبس فوق شعرها ما يجعل رأسها كأنه سنام بعير، مرتفعًا.

(١) تقدم الكلام عن هذه العلامة برقم (١٥).

(٢) رواه مسلم.

٢١

تطاول الحفاة العراة رعاة الشاء بالبنيان

من علامات الساعة التي ظهرت وأخبر عنها النبي ﷺ، تباهي الناس بالعمارات وزخرفة البيوت، بعد أن كانوا حفاة عراة يرعون الغنم.

وذلك بعد فتوحات المسلمين، وكثرة الخيرات والأموال، وشيوع التنافس على الدنيا.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل، ومجيئه لرسول الله ﷺ، وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان، وعن الساعة، أخبره ﷺ عن أماراتها، وذكر: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان»[1].



وفي رواية: «ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رؤوس الناس؛ فذلك من معالم الساعة وأشراطها». قيل يا رسول الله: ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟ قال: «العرب»[2].

(١) رواه مسلم

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٣ / ٣٣٢).

ولا شك أن بناء البيوت والعمارات ورفعها ليس حرامًا إذا كان فيه منافع، وليس للفخر والخُيلاء والكِبر.

والتطاول في البنيان يكون بتكثير طبقات البيوت ورفعها إلى فوق، ويكون بتحسين البناء وتقويته وتزويقه، ويكون بتوسيع البيوت وتكثير مجالسها ومرافقها.



وكل ذلك واقع في زماننا حين كثرت الأموال وبسطت الدنيا على الناس[1].

والمقصود أن رعاة الغنم من سكان البادية يتركون هذا، ويتجهون للتطاول في البنيان، والتنافس على وجه الكبر والفخر والخيلاء في بناء البيوت، والعمارات، والأبراج، فكلٌ يبني يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر.

والتطاول في البنيان اليوم عام في العرب وغيرهم، حتى بدأت الدول تتنافس في بناء الأبراج العالية، والتطاول والتفاخر بها.

(١) انظر إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة للشيخ التويجري (٢ / ١٦٢).

٢٢
تسليم الخاصة



شرع الله عَزَّ وَجَلَّ السلام ليكون علامة محبة ووصال بين الناس، فيسلّم الصغير على الكبير، والغني على الفقير، والعربي والأعجمي والأبيض والأسود.. أن تسلم على من عرفت ومن لم تعرف.

قال ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلَا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[١].

ومن علامات الساعة تسليم الخاصة، وهو أن لا يلقي الرجل السلام إلا على من يعرفه، ويدع السلام على من لا يعرف، مع أن السنة أن تفشي السلام على من عرفت ومن لم تعرف.

وعن أبي الجعد، قال: لقي عبدُالله رجلٌ، فقال: السلام عليك يا ابن مسعود. فقال عبدالله: صدق الله ورسوله، سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «إن من أشراط الساعة، أن يمر الرجل في المسجد، لا يصلي فيه ركعتين، وألا يسلم الرجل إلا على من يعرف»[٢].

وفي الصحيحين أن رجلًا سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

---

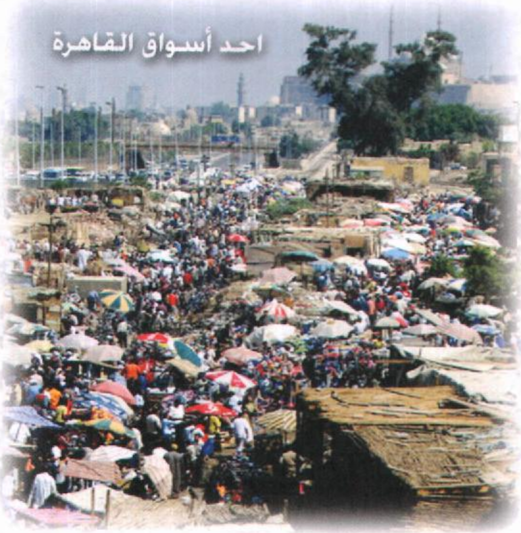
(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه، وصححه الألباني بطرقه كما في تعليقه على ابن خزيمة.

٢٣ ٢٤ ٢٥
فُشُوّ التجارة - مشاركة المرأة زوجها في التجارة - سيطرة بعض التجار على السّوق

وهو انتشارها واشتغال أكثر الناس بها لسهولة أمرها، حتى تشترك المرأة مع زوجها في إدارتها، وقد جاءت هاتان العلامتان في حديث واحد فقد قال ﷺ: «إن بين يدي الساعة: تسليم الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم»[1].

وعن عمرو بن تغلب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أشراط الساعة: أن يفشو المال ويكثر، وتفشو التجارة، ويظهر الجهل، ويبيع الرجل البيع، فيقول: لا، حتى أستأمر تاجر بني فلان، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب لا يوجد»[2].


احد أسواق القاهرة


احد الأسواق التجارية

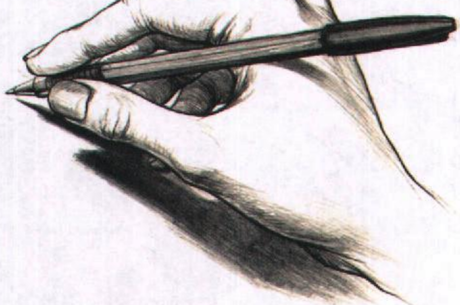
(١) رواه أحمد وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط، وقد روي من وجوه يُحمل بمجموعها.

(٢) رواه النسائي. وصححه الألباني في الصحيحة، وأصل فشوّ المال وكثرته، ثابت في الصحيحين.



وقول النبي ﷺ هنا «يبيع الرجل البيع، فيقول: لا، حتى أستأمر تاجر بني فلان، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب لا يوجد» يُفهم منه ان تجارًا كبارًا، ولعلَّهم أصحاب رؤوس الأموال، أو الوكلاء المعتمدون للسلع تصديرًا أو استيرادًا، لعلَّ هؤلاء يسيطرون على السّوق، ويتحكمون في الأسعار، فلا يستطيع التجار الصغار التصرف بتجارتهم إلا بإذنهم.

أو يشترط عند البيع إثبات الخيار لتاجر آخر.



وقوله ﷺ «ويلتمس في الحي العظيم الكاتب لا يوجد» مع إخباره ﷺ في أحاديث أخرى بانتشار الكتابة، يُفهم منه انتشار أجهزة الكتابة الحديثة مثل أجهزة الكمبيوتر، والهاتف المحمول، وأجهزة ترجمة الصوت إلى نصوص مكتوبة، وما شابه ذلك... فينشأ جيل لا يعرف الكتابة باليد أو لا يتقنها.

أو لعلّ المراد بالكتابة هنا، من يكتب عقد التجارة، ويتقن شروط البيع وأحكامه، فيكتب بين الناس احتسابًا غير طامع في مكافأة.(١)

---

(١) وهذا المعنى الأخير ذكره السندي في حاشيته على سنن النسائي.

٢٦
شهادة الزور



وشهادة الزور، هي أن يكذب الإنسان في شهادته على الآخرين، فيشهد أن فلانًا له حق على فلان زورًا وبهتانًا، وهي من كبائر الذنوب.

قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» ثلاثًا. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين». وجلس، وكان متكئًا فقال: «ألا وقول الزور»[1].

وانتشارها وتساهل الناس بها من علامات الساعة، كما ورد في الحديث السابق من قوله ﷺ: «إن بين يدي الساعة .. وذكر منها: شهادة الزور»[2].

وشهادة الزور ليست خاصة بالشهادة عند القاضي أو الحاكم، بل هي عامة في كلّ شهادة، كشهادة الناس بين بعضهم بعضًا، كالموظفين في الشركات والمؤسسات عند مسئوليهم، وشهادة الطلاب في المدارس والجامعات، وشهادة الأولاد عند والديهم.

وقد حذر النبي ﷺ من شهادة الزور أو اكل حقوق الناس بالحلف كذبًا أوبهتانًا، فقال: «من اقتطع حق مال مسلم بيمين كاذبة لقي الله وهو عليه غضبان» ثم قرأ ﷺ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾[3]»[4].

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وحسنه شعيب الأرناؤوط، وروي من وجوه يُحمل بمجموعها.

(٣) آل عمران: ٧٧

(٤) رواه البخاري.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئٍ مسـلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة» فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيبًا من أراك»[1].

٢٧
كتمان شهادة الحق

أمر الله عز وجل المسـلم أن ينصر أخاه ظالمًا أو مظلومًا، فتردّ الظالم عن ظلمه، وتسـتخرج حق المظلوم إن اسـتطعت، وحرم الله عز وجل كتمان الشـهادة الحق فقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾[2].



وفي آخر الزمان يأكل الناس حقوق بعضهم البعض، ويسـكت من يعرفون الحقيقة عن التصريح بها، ويسـكتون عـن الحـق مـع قدرتهـم علـى قولـه لكنهم يقدمون مصالحهم الشخصية على أداء الشـهادة، وهـذه من علامات السـاعة، كما في الحديث السابق من قوله ﷺ: «إن بين يدي الساعة.. وذكر منها: وكتمان شهادة الحق»[3].

(١) رواه مسلم.
(٢) البقرة: ٢٨٣
(٣) رواه أحمد وحسنه شعيب الأرناؤوط.

٢٨
ظهور الجهل

أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بتعلم العلم فقال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[١]؛ فصار ﷺ يتعلم ويعلّم الناس.

وذم ﷺ الجهل فقال: «إن الله يبغض كلَّ جعظري -أي الغليظ في طبعه- جوَّاظ -أي أكول-، سخّاب في الأسواق - أي يرفع صوته في الأسواق -، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة»[٢].

وأخبر أن من علامات الساعة فشوّ الجهل فقال ﷺ: «إن بين يدي الساعة لأيامًا يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل»[٣].

وفي رواية: «إن بين يدي الساعة لأيامًا يرفع فيها العلم، ويفشو فيها الجهل»[٤].

وقال: «يأتي على الناس زمان لا يُدرَى فيه ما صلاة؟ ما صيام؟ ما صدقة؟»[٥].

وقال: «بين يدي الساعة.. وذكر منها: ويظهر الجهل»[٦].

---

(١) طه: ١١٤

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، وحسنه الحويني في الفتاوى الحديثية.، وفي إسناده عبد الله بن سعيد، وثّقهُ بعض الحفاظ وحديثه مستقيم.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه الطبراني.

(٦) رواه أحمد وحسنه شعيب الأرناؤوط.

ومن تأمل حال الناس اليوم في كثير من بلدان الإسلام؛ وجد أنهم يعلمون ما يتعلق بمعاشهم ومصالحهم، فيعرف أحدهم كيف يتعامل مع الكمبيوتر، والهاتف المحمول، والسيارة وغير ذلك، بينما لو سألته: ما معنى (الله الصمد)؟.. ما معنى (غاسق إذا وقب)؟.. متى تسجد للسهو قبل السلام، أو بعد السلام؟.. لوجدت رأسه فارغًا..

نعم.. ويظهر الجهل.



حتى أن أحدهم سألني يومًا هل يجب الوضوء قبل صلاة النافلة أم أن الوضوء واجب لصلاة الفريضة فقط؟! فعجبتُ من سؤاله، وزاد عجبي عندما عرفتُ أنه طالب في المرحلة الثالثة الجامعية!

أضِف إلى ذلك جهل كثير من الناس بأحكام الطلاق والنكاح، والبيع والشراء والعبادات، مع شدة حاجتهم إليها. وأظنّ ذلك بسبب كثرة المُلهيات، واشتغال الناس بأمر معاشهم، وهجرانهم لحلق العلم، ومجالس العلماء، وقراءة الكتب الشرعية..

والله المُستعان.

٢٩ ٣٠ ٣١
كثرة الشّح والبُخل - قطيعة الرَحِم - سُوء الجِوار



من علامات الساعة شيوع أمراض نفسية تفتك بالمجتمع الإسلامي، منها الشح.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «من أشراط الساعة أن يظهر الشح»[١].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا يزداد الناس إلا شُحًا»[٢].

وقال ﷺ «يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويُلقى الشُحّ، ويكثر الهرج»[٣].

و «الشح»: بخل مع حرص، وكل ما يمنع النفس من بذل مال، أو معروف، أو طاعة.

و قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش، والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل، ويخوّن الأمين ويؤتمن الخائن، ويهلك الوعول، ويظهر التحوت». فقالوا: يا رسول الله وما الوعول وما التحوت؟ قال:

(١) رواه الطبراني في الأوسط.
(٢) رواه ابن ماجة من حديث أنس، وسنده ضعيف، وفيه محمد الجندي، وخبره منكر، أنكره النسائي وغيره.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه أحمد والحاكم في المستدرك وصححه.

«الوعول وجوه الناس وأشرافهم، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يُغلم بهم»[١].



وقد وقع ما أخبر به الرسول ﷺ، فنرى الفساد ظاهرًا بين كثير من الناس، كما نرى التقاطع وسوء الجوار حاصلًا بينهم، وحلَّ التباغضُ والتنافرُ بينهم محل المحبة والصلة والمودة، حتى إن الجار لا يعرف جاره، والقريب لا يعرف عن بعض أرحامه، هل هم من الأموات أم من الأحياء.

٣٢
ظهور الفحش

والفحش هو التساهل باللباس العاري، والألفاظ القبيحة التي يُستحيا منها، والسباب واللعان البذيء.. ولم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا.

ومن علامات الساعة ظهور الفحش، قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش..»[٢].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، والطبراني في الأوسط وصححه الألباني في السلسة الصحيحة برقم (٣٢١١).

(٢) تقدم تخريجه مع العلامة السابقة.

٣٣
تخوين الأمين، وائتمان الخائن

وهذا من علامات السـاعة، وقد تقدم أن من علاماتهـا رفع الأمانة[١]، وأن يُوسَـد الأمر لغير أهله، ومن علاماتها: تخوين الأمين؛ وهو أن يُشكّ فيه، ولا يوثق في أمانته وصدقه، بينما يوثق في الكاذب والمنافق المتملق المتزلف الخائن. قال ﷺ «والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى.. وذكر منها: ويخّون الأمين، ويؤتمن الخائن»[٢].

٣٤
هلاك الوعول وظهور التحوت


الآلاف يلتفون حول أحد المطربين ويحملونه على الأعناق

وهـذا مـن علامـات الساعة أن يموت أشراف النـــاس، وحكـماؤهم، وعقلاؤهم، وعلماؤهم، ثمّ يظهر بديل، فيظهر التحـوت وهـم جهـال الناس وغوغاؤهم، لأنه خلا لهم الجو..

(١) انظر علامة رقم (١٧).
(٢) تقدم تخريجه مع العلامة قبل السابقة.



قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى.. وذكر منها: ويهلك الوعول، ويظهر التحوت». فقالوا: يا رسول الله وما الوعول وما التحوت؟ قال: «الوعول وجوه الناس وأشرافهم، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم»[1].

وقد يكون ظهور التحوت باعتلائهم المناصب، وخدمة وسائل الإعلام لهم، وكثرة المطبّلين حولهم، والوعول النجباء العقلاء الناصحون محجوبون عن الناس، مُبعدون عن وسائل الإعلام.

فلا يشتهر بين الناس إلا من امتهن الغناء والرقص والبغاء، أما العالِم والمُخترِع والبارِز في طب وهندسة.. وما شابه ذلك فلا مكان له.

وهذه علامة ظاهرة بيّنة.

وإن كان الناس لا يزالون لهم إقبال على المحاضرات الدينية، وترى في أكثر البلدان إكرام المسلمين للعلماء والدعاة، وحرصهم على مجالس الذكر، ومتابعة البرامج الفضائية الدينية، والقنوات المحافظة تزيد يوماً بعد يوم، بل حتى إقبال غير المسلمين على المحاضرات الدينية أمر ملاحظ، وحصل به نفع كثير.

(١) رواه الحاكم في المستدرك والطبراني في الأوسط وصححه الألباني.

٣٥

عدم المبالاة بمصدر المال من حرام أم من حلال



إذا قل ورع المسلم قل دينه، وإذا قل دينه وقع في الشبهات، ثم يقع في الحرام فلم يعد يبالي بمصدر ماله، أهو من حلال أم من حرام؟، وقد وقع هذا في زماننا مصداقا لما قاله رسول الله ﷺ.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام»[1].

وإذا تأملت اليوم وجدت أن كثيرًا من الناس يتكالبون على جمع المال من كل وجه، حلال أو حرام.

من أجل ذلك انفرط العقد، وتساهل الناس بالوظائف والتجارات المحرمة، كالذي يتاجر ببيع الدخان أو الخمور أو بيع ملابس النساء العارية أو يتعامل بالربا أو يؤجّر محلاته لمن يمارس تجارة محرمة، وقد قال عز وجل: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[2].

والله طيب لا يقبل إلا طيبًا. وكل لحم نبت من سحتٍ وحرام فالنار أولى به.

(١) رواه البخاري.

(٢) المؤمنون: ٥١

وصار الذي يتحرّز ويتقي الشبهات غريبًا بين الناس، مثاليًا اكثر من اللازم، بل ربّما لا يستمرّ في منصبه او وظيفته إن كان لا يقبل الرشاوي، والنبي ﷺ يقول: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»[1].

نسأل الله الهداية والثبات على الدّين.

٣٦

أن يُتّخذ الفيءُ دولًا

الفيءُ هو ما يغنمه المجاهدون من مال وغيره، من غير قتال، إما بهرب العدو، أو استسلامه، ونحو ذلك، فهذه تُقسم كما أمر الله عز وجل بقوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡ﴾[2].

فأمر الله بقسمته كما شرع، حتى لايستحوذ عليه الأغنياء غالبين للفقراء..

وفي آخر الزمان يخالف الناس قسمة الله عز وجل، ويتقاسم الفيء الأغنياء والرؤساء يتداولونه بينهم.

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا اتُخذ الفيء دُولًا، والأمانة مغرمًا، ...»[3] وسيأتي بتمامه[4].

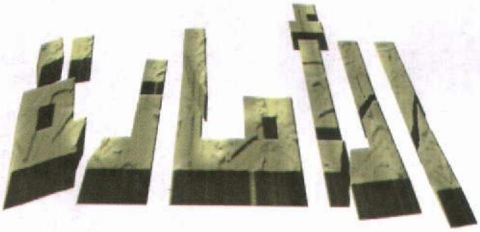
(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) الحشر: ٧
(٣) رواه الترمذي، وفي سنده مقال.
(٤) انظر العلامة رقم (٤٥) من العلامات الصغرى.

٣٧

أن تكون الأمانة مغنمًا

أمر الله ﷻ بحفظ الأمانة وردّها لأصحابها كما هي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[1].

وفي آخر الزمان ستُعطى الأمانة من مال أُوهِب للرجل ليحفظها فيعتبرها غنيمة يملكها ويجحد صاحبها ولا يردّها إليه.[2]



٣٨

أن لا تطيب نفوس الناس بإخراج زكاتهم (والزكاة مغرمًا)

الأصل أن تطيب النفس بإخراج زكاة المال والذهب وغيرها لأنها طُهرة للمال وقربة إلى الله ﷻ، وليست ضريبة ولا غرامة.

وفي آخر الزمان ينتشر الجشع والشحّ فيشعر بعض الأغنياء وهو يدفع زكاة ماله أنها غرامة تؤخذ رغمًا عنه، فيدفعها بدون طيب نفس فلا يؤجر عليها لعدم النية الصالحة في ذلك.

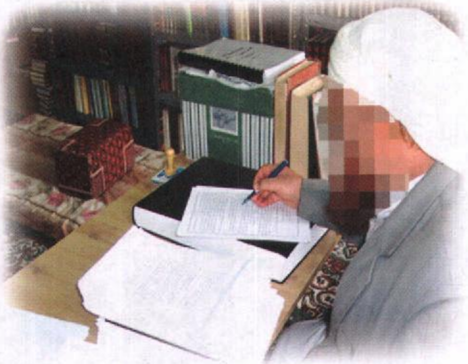
---

(١) النساء: ٥٨

(٢) هذه العلامة وما بعدها يجمعهما حديث واحد سيأتي في العلامة رقم (٤٥) من العلامات الصغرى.

٣٩

تَعلُّم العلم لغير الله



الأصل أن يتعبد الإنسان بتعلم العلم الشرعي ونشره وتعليمه، قال ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير»[١].

وفي آخر الزمان سيتعلم أقوام علم القرآن والسنة والفقه لغير وجه الله عز وجل، بل للظهور والشهرة وما شابه ذلك.

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا اتُخذ الفيء دُولًا، .. وتعلّم لغير الدين، ... »[٢] وسيأتي بتمامه[٣].

٤٠

طاعة الزوجة وعقوق الأم



وهذا من علامات الساعة، أن يعُق الرجل أمه ويقرّب زوجته ويطيعها في معصية أمه وعقوقها، او الأب في كثير من الأحيان، وهذ ظاهر اليوم، فترى الأم في كثير من الأحيان تسكن في بيت وحدها لا يكاد يراها

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) رواه الترمذي، وفي سنده مقال.
(٣) انظر العلامة رقم (٤٥) من العلامات الصغرى.



أبناؤهـا او يزورونهـا إلاّ قليـلًا، والزوجة والأبناء في عز وفسحة ونزهة وأسفار..

وإن سكنت الأم أو الأب مع الأولاد لم يكن لهما من الحظوة والاهتمام ما لغيرهما..

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قـال: «إذا اتُخـذ الفـيء دُولًا، .. وأطاع الرجـل امرأته وعقّ أمـه، وأدنى صديقه وأقصى أباه، ...»[1] وسيأتي بتمامه[2].

٤١
إدناء الأصدقاء وإقصاء الآباء



وهـذا مـن أمـارات السـاعة أيضًـا ومـن العقـوق، وهو أن تكون المجالسة والمؤانسة والابتهاج للأصدقاء والزملاء، ويُهمل الآباء.

وربّمـا كان اسـتمتاع الشـباب وأنسـه بمجالسة أصدقائـه أكثـر مـن أنسـه بمجالسة أبيه، خاصةً إن كان الأب كبير السـنّ، كثير اللـوم والتوجيـه والانتقاد، لكن مع ذلك ينبغي أن يعرف الولد لأبيه حقه ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾.

(١) رواه الترمذي، وفي سنده مقال.

(٢) انظر العلامة رقم (٤٥) من العلامات الصغرى.

٤٢

رفع الأصوات في المساجد

الأصل أن المساجد تكسوها السكينة والوقار، ومن علامات الساعة رفع الصوت، والجدال، والخصومات في المساجد.



٤٣

سيادة الفسّاق على القبائل

الأصل في الولايات والسيادة أن يتولى الأصلح الأعلم الأحكم، وسيأتي زمان يسود الفاسق ويرأس قومه، إما لكثرة ماله وعلاقاته، أو لبجاحته وجرأته، أو علوّ نسبه وحسبه.

٤٤

يكون زعيم القوم أرذلهم

وهذا مشابه لما قبله، وهو أن يتزعم على القوم إن كانوا في سفر، أو اجتمعوا في عمل، أو قضية، يتزعم عليهم ليس الأصلح والأحكم، وإنما الأرذل.

وذلك إمّا لفساد الزمان أصلًا، أو غلبة الأراذِل.

٤٥

إكرام الرجل اتقاء شره

وذلك لتزعُّم أهل الشرور وظهورهم، حتى يضطر الناس لإكرام الرجل وتصديره، وربما احترامه وتقبيل رأسه لاتقاء أذاه وشرّه، لشدة ظلمه واعتدائه.

ويشهد لهذه العلامات جميعًا ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اتُخِذ الفَئ دُوَلًا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرِم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وزلزلة وخسفًا ومسخًا وقذفًا وآيات تتابع كنظامٍ بالٍ قُطِع سلكه فتتابع»[1].

(١) رواه الترمذي، وقال حديث غريب، والحديث في إسناده رميح الجذامي، لا يُعرف، وله شاهد عن علي رضي الله عنه في إسناده الفرج بن فضالة، وآخر عند الطبراني عن عوف بن مالك، وفيه عبد الحميد بن إبراهيم.

٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩

استحلال الحِرَّ والحرير والخَمْر والمَعازِف

من المحرمات الواضحة التي لا يجهل حرمتها مسلم: الزنا، وشرب الخمر، والمعازف الماجنة، ولبس الحرير للرجال، وقد أخبر النبي ﷺ أن فريقًا من أمته سوف يستحلون هذه المحرمات آخر الزمان، وعدّ ذلك علامة لقرب قيام الساعة.

ومعنى استحلالهم لهذه المحرمات، أحد شيئين:

١ اعتقاد حل هذه الأمور، وأنها ليست حراما.

٢ أو اعتياد فعلها وانتشارها بين الناس حتى تصبح لا تنكرها الألسن ولا القلوب، فلا يستشعر الناس حرمتها أثناء فعلهم لها.



استحلال الحرير للرجال

عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليكوننّ من أمتي أقوام يستحلون الحِرَّ[١] والحرير والخمر والمعازف. ولينزلن أقوام إلى جنب عَلَم[٢] يروح عليهم بسارحة لهم[٣]، يأتيهم -

(١) الحر: بكسر الحاء: الفَرْج.
(٢) أي عند جبل عالي.
(٣) هي الغنم التي تسرح في النهار في مراعيها وتعود ليلًا لمكانها.

يعنى الفقير- لحاجة فيقولوا ارجع إلينا غدا، فيُبيّتهم[(١)] الله ويضع العِلم[(٢)]، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»[(٣)].

وقد تساهل عددٌ من بلدان المسلمين اليوم بالزنا والخمر، فأصبحت دور الزنا والدعارة تُحمى باسم القانون، وتَصدُر للبغايا المتهنات الزنا بطاقات رسمية.



انتشار تجارة الخمور في الدول الإسلامية

أما الخمر فبلغ الأمر الآن ببيعها جهارًا نهارًا وإقرار بعض الدول العربية والإسلامية التجارة بها في الأسواق.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعْزِف على رءوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير»[(٤)].

ومن أخطر المعاصي اليوم أيضًا ما بُليَ به الكثير من الناس من استماع الأغاني وآلات الطرب وهذا من أعظم الأسباب في مرض القلوب وصدها عن

(١) يهلكهم الله ليلًا.

(٢) أي يوقع الجبل العالي على رؤوسهم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن بإسناد صححه ابن القيم.

ذكر الله وعن الصلاة، وعن استماع القرآن الكريم والانتفاع به، كما قال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[1].



وفسر أهل العلم ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ بأنه الغناء وآلات اللهو.

وقد قرن النبي ﷺ سماع المعازف بالزنا وشرب الخمر فقال: «ليكونن من أمتي أقوام يَستحِلُّون الحِرَّ والحرير والخمر والمعازف».



ومن شدة انتشار المعازف اليوم أُنشِئَت لها قنوات فضائية خاصة تقدم الأغاني بأنواعها، وكذلك قنوات إذاعية مخصصة للمعازف والغناء، لمدة ٢٤ ساعة في اليوم، لا تقطع لا بأخبار ولا قرآن، وهذا من علامات الساعة ومن دلائل صدق خبره ﷺ، فيجب على المسلم أن يَحذَر من ذلك..



قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الغناء يُنبِت النفاق في القلب كما يُنبِت الماء الزرع».

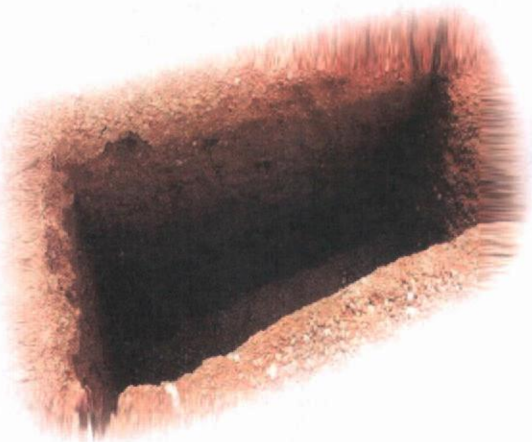
---

(١) لقمان: ٦

٥٠

تَمني الناس الموت

أخبر النبي ﷺ عن مجيء زمان يكثر فيه الظلم والفتن والبلاء حتى يمر الرجل بقبر صاحبه فيتمنى أن يكون هو صاحب القبر بدلًا من صاحبه الذي فيه، لما يلاقي من البلاء والمحن وتخلُّصًا من واقعه الأليم الذي هو أشد من الموت مرارة.



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه»[١].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «سيأتي عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يباع لاشتراه».

ولا يتعارض هذا الحديث مع الأحاديث التي تنهى عن تمني الموت كقوله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضُرّ نزل به.. »[٢] وذلك لأن ما ذكر النبي ﷺ أنه يقع في آخر الزمان هو ليس تمنيا ودعاء صريحا بالموت، وإنما رغبة داخل القلب بالتخلص من الواقع المليء بالمنكرات وبالفتن ولو بالموت.

وليس شرطًا أن يكون هذا الشعور يقع في قلب كل مسلم آخر الزمان، بل قد يكون في بلد دون بلد، وظروف دون ظروف، فالناس يتنوعون في إيمانهم، وقوة تحملهم للبلاء وصبرهم على المنكرات.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

٥١
مجيء زمان يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا

أخبر النبي ﷺ بتقلب أحوال الناس وتذبذبهم واختلافهم لكثرة الفتن، وانتشار الشهوات، وقلة أهل الخير فترى الرجل يصبح مؤمنًا ويمسي كافرًا لا يثبت على حال.



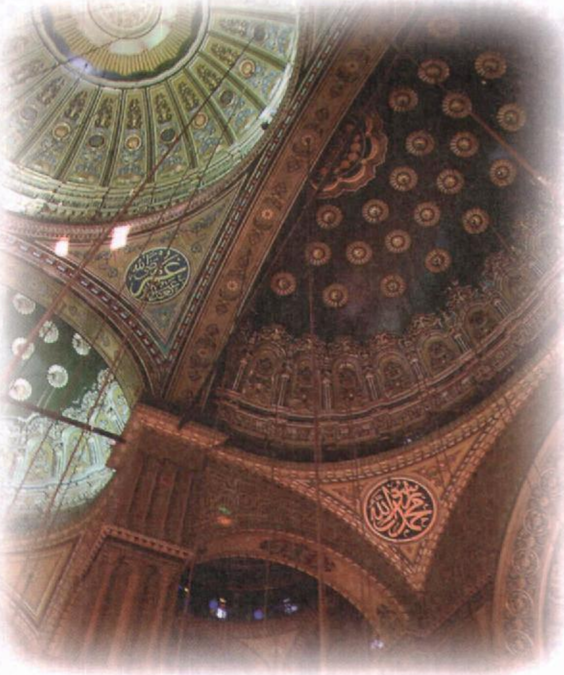
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتنًا كقِطَع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا»[1].

والمراد بالحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم قِطَع الليل المظلم لا المقمر. ووصف ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي مؤمنًا ثم يصبح كافرًا، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب"[2].

وهذا وصف لزمان يضعف فيه دين الرجل وتكثر عليه الشبهات في دينه مع جهله بدينه أصلًا فيترك دينه أو يتزعزع ثباته على الدين بعرض دنيوي ومصلحة شخصية وأصدق واقع لهذا الحديث هو عصرنا الحاضر.

(١) رواه البخاري.
(٢) انظر شرح مسلم، للنووي.

٥٢
زخرفة المساجد والتباهي بها



الأصل أن المساجد دور لعبادة الله عَزَّ وَجَلَّ، يبنيها العبد احتسابا للأجر والثواب.

لكن في آخر الزمان سيبني عدد من الناس المساجد ويزخرفونها، ويتباهى كل شخص بجمال وزخارف المسجد الذي بناه، وربما أظهروا ذلك في وسائل الإعلام، فتنصرف قلوب المصلين عن العبادة إلى النظر في الزخارف.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»[١]

وقد حذر عدد من الصحابة من الانشغال بتزيين المساجد، والانشغال بذلك عن عمارتها بالعبادة والذكر والطاعة، قال ابن عباس: «لتزخرفنها كما زخرفها اليهود والنصارى»[٢]

قال البغوي: «التشييد رفع البناء وتطويله وإنما زخرفت اليهود والنصارى معابدها حين حرفوا كتبهم وبدلوها»[٣].

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة بسند صحيح.
(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود.
(٣) انظر فتح الباري (٢ / ١٧٥).



وقال الخطابي: «وإنما زخرفت اليهود والنصارى كنائسها وبيعها حين حرفت الكتب وبدلتها فضيعوا الدين وعرجوا على الزخاريف والتزيين»[١].

وزخرفة المساجد اليوم لها صور، منها:

نقش الجدران بالألوان والأصباغ المختلفة، ووضع التصاوير وأنواع السجاد والنقوش والقناديل المزيّنة المبالغ فيها.



إلى درجة أنك لو جمعت قيمة الزخارف وتكاليف الثريات الباهظة الثمن، لكانت كافية لبناء عدة مساجد، ولا يعني هذا إهمال المساجد وفرشها الفرش الحسن، أو بناءها على أشكال ضعيفة أو هشّة، وإنما المنهي عنه المبالغة في التزيين والإسراف في ذلك. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «إذا زخرفتم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم، فالدمار عليكم»[٢].

---

(١) نقله عنه العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٧ / ٤١).

(٢) رواه ابن أبي داوود في (المصاحف) وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٨٥).

٥٣
زخرفة البيوت وتزيينها



كثرة الترف والإسراف والتباهي والتكبر أمور مذمومة ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ١٤١﴾[1]، وفي آخر الزمان يتباهى الناس بالستائر الثمينة المطرّزة المجمّلة المعلقة على جدران بيوتهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتا يُوَشّونها وَشْيَ المراحيل[2]»[3].



ومعنى الحديث: يخططونها ويزخرفونها كما تخطط وتزخرف الثياب.

ولا يعني هذا حرمة وضع الستائر، أو تزيين البيوت، إنما المحرم هو الإسراف في ذلك وتبذير الأموال، والخيلاء والمفاخرة بهذا.

---

(١) الأنعام: ١٤١

(٢) مراحيل: جمع مرحل وهو الثوب المزين المخطط. انظر لسان العرب (١١ / ٢٥٦).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٧٩).

٥٤

كثرة الصواعق عند اقتراب الساعة

وهذا أيضًا من علامات الساعة ويكثر موت الناس قتلًا بالصواعق.



عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول من صُعِق قِبَلكم[١] الغداة فيقولون: صعق فلان وفلان وفلان»[٢].

والصاعقة هي شحنة كهربائية كبيرة تنطلق من السماء مع الرعد والبرق.

وقد أهلك الله عز وجل قوم ثمود بالصاعقة.. قال عز وجل: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾[٤].

ولقوة هذه الصاعقة سماها الله عز وجل بالطاغية، فقال عز وجل: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾[٥].

(١) قِبَلكم: أي: من مات مصعوقًا من جهتكم.
(٢) رواه أحمد وفيه محمد بن مصعب ضعيف.
(٣) فصلت: ١٧
(٤) فصلت: ١٣
(٥) الحاقة: ٥

55
كثرة الكتابة وانتشارها

كانت الكتابة والكتب غير منتشرة، بل عدم الكتابة ظاهرة بين الناس، فأخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة ظهور القلم وانتشار الكتب والكتابة.



فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم»(1)

ولعل المعنى من قوله ﷺ «وظهور القلم» أي ظهور الكتابة والكتب الكثيرة بانتشارها وطبعها، حتى تصبح ميسورة لدى أغلبية الناس؛ بسبب توفر وسائل الطباعة والتصوير والنشر الحديثة، ورغم هذا كله تجد الجهل متفشيًا بين الناس بأمور شريعتهم ودينهم.

ويؤيد هذا أيضا حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيِّم واحد»(2)

وهذه العلامة ظاهرة للعيان لكل من تأمل أحوال الناس في معرفة أمور دينهم، نسأل الله للجميع الفقه في الدين.

---

(1) رواه احمد، وحسنه الشيخ الأرنؤوط في تحقيقه على المسند

(2) متفق عليه.

٥٦
اكتساب المال باللسان والتباهي بالكلام

ليس عيبًا أن يكتسب المرء المال أو ينال الدنيا بالطرق المشروعة، ومن ذلك التكسّب المشروع عن طريق البيان والكلام والحجة، كما يفعل المحامي والمعلّم، وغيرهم، فجلُّ اعتمادهم على ذلك.



لكن المذموم أن يأكل الإنسان الدنيا بلسانه، إمّا بكثرة المدح والثناء بالباطل لمن لا يستحقّه، أو بالحلف الكاذِب في البيع والشراء، أو الكذب.. وما شابه ذلك.

كان لعمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه حاجة، فقدم بين يدي حاجته كلاما، مما يحدث الناس من البلاغة والسجع والثناء يتوصلون به لقضاء حاجاتهم، لم يكن سعد يسمعه من قبل. فلما فرغ، قال سعد: يا بني، قد فرغت من كلامك؟ قال: نعم. قال: ما كنتَ من حاجتك أبعد، ولا كنتُ فيك أزهد مني منذ سمعت كلامك هذا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقرة من الأرض»[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار ويوضع الأخيار ويقبح القول ويحسن العمل وتفري[(٢)] في القوم المساءة». قلت: وما المساءة؟ قال: «ما كتب سوى كتاب الله»[(٣)].

(١) رواه احمد وحسنه الشيخ الأنؤوط في تحقيقه على المسند.

(٢) أي تنتشر.

(٣) رواه الطبراني وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح.

٥٧

انتشار الكتب غير القرآن



وهـذا أيضًـا مـن علامات السـاعة أن يـزداد إقبـال النـاس علـى الكتـب، فتُشـترى وتُطبـع وتُسـوّقها المكتبات، أكثر من كتاب الله (المصاحف).

ويشهد لهذا الحديث السابق، وفيه قال ﷺ: «من اقتراب السـاعة.. وتفري في القـوم المسـاءة». قلت: وما المسـاءة؟ قال: «ما كتب سوى كتاب الله».

٥٨

زمان يكثر فيه القراء ويقل الفقهاء والعلماء

أخبر النبي ﷺ أنه من علامات الساعة أن يكثر القراء ويقل العلماء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «سـيأتي زمان تكثر فيه القراء ويقـل الفقهاء ويقبـض العلم ويكثر الهـرج». قالوا: وما الهـرج؟ قال: «القتل بينكم، ثم يأتي بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال لا يجاوز تراقيهم، ثم يأتي بعد ذلك زمان يجادل المنافق الكافر المشرك بالله المؤمن بمثل ما يقول»[1]

ويـزداد الأمر سـوءًا إذا قُبض العلم بقبـض العلماء حتـى إذا لم يَبْق عالم اتخذ الناس رؤوسًا جُهالًا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فَضَلوا وأَضَلُّوا.

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في الأوسط وله شواهد في الصحيحين.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهالًا فسُئِلوا فأفتوا بغير علم فَضَلوا وأَضَلُّوا»[1].

والمراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه أنه يموت حملته، ويتخذ الناس جُهالًا يحكمون بجهالاتهم فيَضِلون ويُضِلون. وخلال السنوات العشر الماضية فُجعت الأمة بموت عدد من علمائها الذين كان لهم الأثر الأكبر في تعليم العلم للناس.

فتوفي الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبدالله بن باز رئيس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية عام (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، وتوفي الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين عام (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، وتوفي الشيخ المحدّث محمد ناصر الدين الألباني عام (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م). وغيرهم من أجِلّة أهل العلم.


الشيخ بن باز


الشيخ بن عثيمين


الشيخ الألباني

ومن تأمل أحوال الأمة اليوم رأى تنافس عدد من الناس والشباب في تحسين الأصوات بقراءة القرآن وترتيله والتغني به وتحسين الصوت، والغفلة عن طلب العلم الشرعي وإتقان أحكام الشريعة، ولو سألت أحدهم عن مسألة في الطهارة أو سجود السهو لما وجدت عنده شيئا من علم.

(١) متفق عليه.

٥٩

التماس العِلْم عند الأصاغِر

من عهد النبوة والناس يلتمسون العلم من كبار العلماء والفقهاء، وسيأتي زمان يتصدر فيه الأصاغر من ضعيفي الفهم، قليلي الفقه والعلم، ويستفتيهم الناس، فيفُتون، وتقدم في الحديث السابق أن من علامات الساعة أن يكثر القراء ويقل العلماء حتى يُلتمس العلم من الأصاغر الجُهلاء فيُفتون فيَضِلون ويُضِلون غيرهم.

وعن أبي أمية الجمحي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أشراط الساعة أن يُلتمس العلم عند الأصاغر»[1]. فسئل الإمام عبد الله بن المبارك عن الأصاغر فقال: «هم الذين يقولون برأيهم». أي لا يتثبتون من علمهم ولا يدققون في فتواهم ولا يستدلون بالأدلة الشرعية. وقيل إن الأصاغر أهل البدع.

وقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله: «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم وتفرقت أهواؤهم هلكوا».

لكن في زمننا لا زال العلم وأهله بخير والحمد لله، وإن كان المتأمل يجد أن الإعلام أظهر وأشهر عددًا من طلبة العلم الصغار الذين يعرفون عموميات الإسلام ويُتقنون المسائل المشهورة، لكنهم ليسوا حفاظًا ولا فقهاء، ولكن ظهروا بين الناس، فأقبل الناس يستفتونهم ويلتمسون العلم منهم، ولو أن العلماء الكبار ظهروا للناس في وسائل الإعلام من فضائيات وإذاعات ومواقع إنترنت لعرفهم الناس واستفتوهم وأقبلوا عليهم.

(١) رواه ابن المبارك في " الزهد " (٦١)، بسند صحيح.

وهـذا علـى الأغلـب، فكما أن الكـبر والهرم ليـس أمارة علـى العلم، كذا فالصغر ليـس أمارة على الجهل، قال الإمام أحمد بـن حنبل«إن العلم ليس بالسنّ» وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن العلم ليس عن حداثة السن أو قدمه ولكن الله يضعه حيث يشاء».

لذلك فالواجب على من تصدّر للناس واشتهر أن يسعى لتحويل نفسه من أصاغر إلى أكابر بطلب العلم وإتقانه وفهمه والارتباط بالعلماء الكبار.

٦٠
موت الفجأة



لاعب مات أثناء إحدى المباريات

من علامات السـاعة التي ظهرت في عصرنـا كثرة موت الفجأة وهو الموت المفاجئ بسـكتة قلبيـة أو جلطـة، أو حادث سيارة، أو سقوط طائرة.

عن أنس بن مالـك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من أمارات السـاعة أن يظهر موت الفجأة»[1]

ولقد كان في الماضي يشـعر الرجل ويحس بمقدمـات الموت، ويبقى أيامًا مريضًا، وقد يعرف أن هذا مرض الموت، فيكتب وصيته، ويودع أهله، ويوصي أولاده، ويُقْبل على ربه، ويتوب مما سلف منه، ويبدأ في ترديد الشهادة، ليُختم له بها.

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٧٥).

أما الآن، فترى الرجل صحيحًا معافى، لا يشتكي من شيء البتة، ثم تسمع خبر وفاته فجأة بسكتة قلبية، أو جلطة مفاجئة، ومثله الحوادث المفاجئة، التي يهلك بها الناس فجأة، فعلى العاقل أن يكون دائم اليقظة والاستعداد للموت ولقاء الله.

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغتة
كم من صحيح رأيتُ من غير سقم ... ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

٦١
إمارة السفهاء



صلاح عامة الناس بصلاح أمرائهم، وفسادهم بفساد أمرائهم، وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن توسد الأمور إلى أمراء سفهاء الأحلام لا يهتدون بالكتاب والسنة، ولا ينتصحون بموعظة.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: «أعاذك الله يا كعب من إمارة السفهاء». قال: وما إمارة السفهاء يا رسول الله؟ قال: «أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم

وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يَرِدون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم ويردون على حوضي. يا كعب بن عجرة: الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة والصلاة قربان -أو قال برهان-. يا كعب بن عجرة لا يدخل الجنة لحم نبت على سحت أبدا النار أولى به. يا كعب بن عجرة الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها -أو قال موبقها-»[(١)].

والسفيه هو خفيف العقل قليل التدبير الذي لا يحسن تدبير شؤون نفسه فضلا عن شؤون غيره والسفه في اللغة: الخفة.

وفي حديث آخر: «لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها»[(٢)]، والمنافقون قليلو الإيمان، عديمو الخشية، كثيرو الكذب، عظيمو الجهل..

وإذا صار ملوك الناس وأمراؤهم ورؤوسهم على هذه الحال، انعكست سائر الأحوال، فصُدّق الكاذب، وكُذّب الصادق، وائْتُمن الخائن، وخُوِّن الأمين، وتَكلّم الجاهل، وسكت العالم.

قال الشعبي: «لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلا، والجهل علما».

وهذا كله من انقلاب الحقائق في آخر الزمان وانعكاس الأمور.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن من أشراط الساعة أن يوضع الأخيار، ويرفع الأشرار»[(٣)].

(١) رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح

(٢) رواه الطبراني وفيه مقال.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك.

٦٢
تقارُب الزمان



أخبر النبي ﷺ أن من علامات قرب الساعة أن يتقارب الزمان،

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتقارب الزمان، وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج». قيل: يا رسول الله وما الهرجُ؟ قال: «القتل القتل»[1].

وللعلماء في قوله ﷺ: «يتقارب الزمان» أقوال، منها:

١ أن المراد به قلة البركة في الزمان بحيث إن ما كان يفعله السابقون في ساعة من قضاء لحاجاتهم وأعمالهم، لا يستطيع المتأخرون فعله في ساعات.

قال ابن حجر: «قد وجد في زماننا هذا فإننا نجد من سرعة مر الأيام ما لم نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا»[2].

٢ ومنها تقارب أهل الزمان بسبب توفر الاتصالات والمراكب الأرضية والجوية التي قربت البعيد.

٣ ومنها مرور الزمان وسرعته سرعة حقيقية، وذلك في آخر الزمان، لأن الله تعالى يطوّل الأيام كما يشاء ويقصّرها كما يشاء، يقلب الله الليل والنهار.

---

(١) متفق عليه.

(٢) انظر فتح الباري (٢٠ / ٦٦).

يؤكد ذلك أيام الدجال حيث تطول فيصبح اليوم كالسنة وكالشهر والجمعة في الطول، فكما أنها تطول فإنها تقصر، وهذا لم يظهر بعد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، والساعة كالضرمة من النار»[1] والمعنى أن الساعة من الزمان في ذلك الوقت تكون كنار السعفة تشتعل سريعًا وتنتهي.

٤ وقيل أيضا عن تقارب الزمان قصر الأعمار.

٦٣
أن ينطق الرويبضة

الأصل أن يكون المتحدث عن الناس المعبر عنهم هو الإنسان العاقل الحكيم الفصيح، وسيأتي زمان يفسد الناس فيكون، المتحدث باسم الناس المعبّر عنهم هو الرويبضة، وهو الرجل التافة السفيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستأتي على الناس سنون خداعة يُصدَّق فيها الكاذب ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤْتمن فيها الخائن ويُخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة». قيل: وما الرويبضة؟ قال: «السفيه يتكلم في أمر العامة»[2].

فمن علامات هذا الزمان ارتفاع الأسافل من الناس على خيارهم فيكون أمر الناس بيد سفهائهم وأراذلهم، وهذا أمر شائع في زماننا.

(١) رواه أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة وأنس، وهو حديث صحيح.

(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد وفى أحسنها ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله ثقات.

فالواجب أن يكون أهل العلم والعقل والخبرة هم المُقدّمون على غيرهم في تولي أمور الناس وسياستهم، والمتأمل لأحوال الناس يجد أن الناس اليوم يميلون مع أهوائهم وتحقيق مصالحهم ولو على حساب دينهم، لذا جعلوا السفهاء رؤوسًا.

٦٤
أن يصبح أسعد الناس بالدنيا لُكَع بن لُكَع

من علامات الساعة مجيء زمان يصدق فيها الكاذب ويكذب الصادق، ويؤتمن الخائن ويخون الأمين، ويلي أمر الناس السفيه ويوسد الأمر لغير أهله. فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تذهب الأيام والليالي حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَع ابن لُكَع»[١].

وقال ﷺ «يوشك أن يغلب على الدنيا لُكَع ابن لُكَع»[٢].

وقال ﷺ «لا تذهب الدنيا حتى تصير للُكَع ابن لُكَع»[٣].

و «لكع بن لكع»: هو الرديء الذي لا يُحْمد على خلق. وعند العرب هو العبد السيء، واستعمل اللكع في الدلالة على الحمق والجهل، ولذا يقال للرجل لكع وللمرأة لكاع.

فيصبح هذا هو أسعد الناس بالدنيا من مالٍ وجاهٍ ومراكب فارهة وبيوت واسعة؛ لأنه لكع، ويكتسب المال بكل سبيل، ويتصرف مع الناس على أهوائهم. فحصّل الدنيا.

(١) رواه الطبراني فى الأوسط، قال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح غير الوليد بن عبد الملك بن مسرح وهو ثقة.

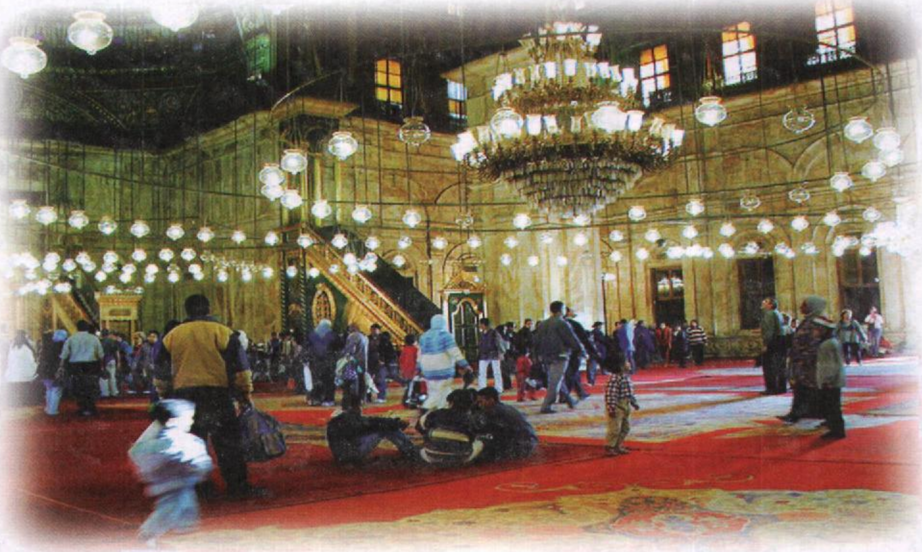
(٢) رواه أحمد موقوفًا، والطحاوي في مشكل الآثار.

(٣) رواه أحمد.. قال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح غير كامل بن العلاء وهو ثقة.

٦٥

اتخاذ المساجد طرقًا

والمعنى أن يمر الرجل بالمسجد ليَنْفُذ إلى الجهة الأخرى دون أن يكون من أهل الصلاة والمساجد، فصارت المساجد تستعمل طرقًا أكثر من استعمالها للصلاة.





مساجد تستخدم للسياحة الداخلية والخارجية أكثر من الصلاة فيها

٦٦ ٦٧
غلاء المهور ثم ترخص - غلاء الخيل ثمّ ترخص

قال خارجة بن الصلت البرجمي: «خرجنا مع عبد الله من داره والإمام راكع فركعنا ثم مشينا حتى اتصلنا بالصف فمر رجل فقال: السلام عليك يا أبا عبد الرحمن. فقال: الله أكبر صدق الله ورسوله، فلما قضينا الصلاة قلنا: يا أبا عبد الرحمن كأنه راعك تسليم الرجل؟ قال: أجل كان يقال: إن من أشراط الساعة أن تتخذ المساجد طرقا[1]، وأن يسلم الرجل على الرجل بالمعرفة، وأن تتّجر المرأة والرجل جميعًا، وأن تغلو النساء والخيل جميعًا ثم ترخص فلا تغلو أبدا».[2]



(١) أي طريقا للمرور منها.

(٢) رواه الحاكم من حديث عبد الله بن مسعود، وصححه، ورواه الطبراني من حديث العداء بن خالد، قال الهيثمي: فيه من لم أعرفهم.

٦٨
تقارب الأسواق

أخبر النبي ﷺ، بزماننا هذا الذي تقاربت فيه المسافات وأصبح السير من سوق إلى سوق ميسورًا وبمدة قصيرة يستطيع الإنسان التجوال في الأسواق العالمية ومعرفة ما جرى فيها من زيادة ونقصان، كل ذلك بسبب تقارب أهل الأرض وتقدم وسائل النقل بين المدن من طائرات وسيارات وغيرها، وتطور وسائل اتصال من تليفونات وإذاعات هوائية مرئية وصوتية وانترنت.



فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق»[١].

فقد تقاربت الأسواق من ثلاثة أوجه:

- **الأول:** سرعة العلم بما يكون فيها من زيادة السعر ونقصانه.
- **الثاني:** سرعة السير من سوق إلى سوق ولو كانت مسافة الطريق بعيدة جدًا.
- **الثالث:** مقاربة بعضها بعضًا في الأسعار، واقتداء بعض أهلها ببعض في الزيادة والنقصان.والله أعلم.

و الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- فسر تقارب الأسواق في حديث أبي هريرة السابق بقوله[٢]: «الأقرب تفسير التقارب المذكور في الحديث بما

(١) رواه أحمد وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (٢٧٧٢).

(٢) نقلا من تعليقه على الفتح.

وقع في هذا العصر من تقارب ما بين المدن والأقاليم وقصر زمن المسافة بينها بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة وما إلى ذلك والله أعلم».

٦٩

تداعي الأمم على الأمة الإسلامية

من العلامات التي تقع آخر الزمان قريبًا من الساعة تكالب الأمم على الأمة الإسلامية لكن الله عز وجل حافظ هذه الأمة.

والذي يتصفح التاريخ يجد أن أمة الإسلام خاضت حروبا كبرى، وقعت عليها مصائب، والله حافظها ومؤيدها. فقد اجتمع النصارى في الحروب الصليبية فنصر الله المسلمين عليهم. واجتاح التتار الدول الإسلامية ورد الله كيدهم. وفي عصرنا تمالأ الصليبيون واليهود، والأمل بالله كبير في عودة المسلمين لدينهم ليعود النصر لهم، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[1]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾[2].

عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: من قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن» قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»[3].

(١) الحج: ٤٠

(٢) المجادلة: ٢١

(٣) حديث صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٩٥٨).

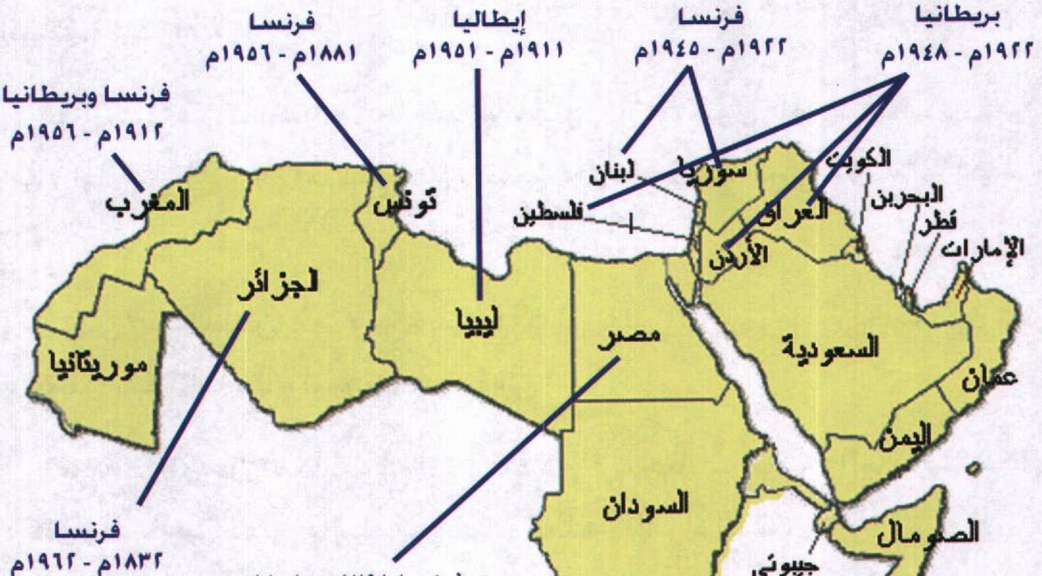
و «القصعة»: وعاء يؤكل فيه، وكان يتخذ من الخشب غالبا.

و «الغثاء»: ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره.

و «الوهن»: فسره النبي ﷺ بحب الدنيا وكراهية الموت.

وهذا الحديث من دلائل النبوة وعلامة من علامات الساعة فقد تداعت أمم الكفر كما تتداعى الأكلة على قصعة الطعام، وسبب هذا الهوان ليست القلة في المسلمين، بل هم كثرة، ولكنهم غثاء وزبد كالذي يحمله السيل، لا وزن له، وهذا حال الأمة اليوم، فقد تجاوز عددهم الألف مليون لكنها كثرة كم لا كيف.

فالمهابة تنزع من قلوب أعدائهم، فيستخفون بالمسلمين، فيحاربونهم ويغزونهم، وذلك عندما قُذِف الوهن وهو حب الحياة وكراهية الموت.



تاريخ الاستعمار الغربي للدول العربية

٧٠

تدافع الناس عن الإمامة في الصلاة



من علامات قرب الساعة وقوع الجهل وانتشاره بين الناس حتى لا يجد الناس إماما يؤمهم في الصلاة فيدفع بعضهم بعضا إلى الإمامة فيمتنعون عنها لجهلهم بالأحكام الشرعية وقلة اتقانهم للقراءة.

فعن سلامة بنت الحُرّ -رضي الله عنها- أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ من أشراط الساعة: أن يتدافع أهلُ المسجد الإمامةَ، فلا يجدون إماما يصلِّي بهم»[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «يأتي على الناس زمان يجتمعون فيه ويصلون في المساجد وليس فيهم مؤمن»[(٢)].

لعلّ هذا الزمان لم يأت ولله الحمد فلا زالت حلقات العلم والعلماء في كل مكان والمساجد تمتلئ بالعلماء وطلبة العلم والقراء المتقنين.

---

(١) رواه أبو داود، وفي سنده مقال.

(٢) رواه الحاكم وقال: "صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في "تلخيصه". وهذا الحديث له حكم الرفع؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف.

٧١

صِدق رؤيا المُؤمن



الرؤى والأحلام في المنام لها معان وأحكام، منها ما هو صادق كفلق الصبح، ومنها ما هو كاذب، ومنها أضغاث أحلام وأحاديث نفس، وقد أخبر النبي ﷺ أخبارًا عن الرؤى تتعلق بأشراط الساعة وعلاماتها.

والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة.

فعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول ﷺ قال «لا يبقى بعدى من النبوة شيء إلا المبشرات». قالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ قال «الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرَى له».[1].

وصِدْقُ الرؤيا وكونها بشارة للمؤمن هي علامة على قرب الساعة ونهاية العالم حيث تكون الرؤيا أكثر صدقًا ومطابقة للواقع والمؤمن أكثر صلاحًا وغربة بين الناس وكأن الرؤيا أنيس له لمّا أصبح غريبًا بين الناس فقلما تكذب رؤياه.

قال ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تَكْذِب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة، والرؤيا ثلاث:

(١) رواه أحمد، ورواه البخاري من حديث أبي هريرة.

فالرؤيا الصالحة بشرى من الله. ورؤيا تحزين من الشيطان. ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث بها الناس. وأحب القيد في النوم وأكره الغِل، القيد ثبات في الدين»[١].

قال الحافظ بن حجر: «معنى كون رؤيا المؤمن في آخر الزمان لا تكاد تكذب: أنها تقع غالبًا على صفة واضحة المعنى لا يحتاج معها إلى تعبير فلا يدخلها الكذب، بل تكون صادقة غير كاذبة لأنها طابقت الواقع، بخلاف الرؤى الأخرى فإنها قد يخفى تأويلها فيعبرها العابر فلا تقع في الواقع كما عبّر فتكون كاذبة غير صادقة.

والحكمة في اختصاص ذلك بآخر الزمان أن المؤمن في ذلك الوقت يكون غريبا كما في الحديث «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا» فيقل أنيس المؤمن ومعينه فيكرم الله المؤمن بالرؤيا الصالحة التي تثبته على الحق وتبشّر به»[٢].

وهنالك احتمالان لتحديد الزمن الذي يقع فيه صدق رؤيا المؤمن:

١ أن ذلك يقع إذا قبض العلم وغابت معالم الشريعة بسبب الفتن والقتال فيصبح المؤمن غريبًا فيعوّض بالمرائي الصالحة، وبهذا قال ابن حجر[٣].

٢ أن ذلك يقع في زمان نبي الله عيسى عليه السلام لأن أهل زمانه أصلح زمان في هذه الأمة بعد الصحابة الكرام وأصدقهم أقوالًا وأحوالًا ورؤاهم لا تكاد تكذب[٤].

---

(١) رواه أحمد مسلم وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة

(٢) انظر فتح الباري (١٩ / ٤٥١).

(٣) انظر فتح الباري (١٩ / ٤٥١).

(٤) المصدر السابق.

٧٢

كثرة الكذب

الكذب آفة شنيعة ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا، وفي الحديث: «يطبع المؤمن على الخصال كلها إلا الخيانة والكذب»(١).

وكان ﷺ إذا اطلع على أحد من أهله بيته كذب كذبة، لم يزل معرضًا عنه حتى يحدث توبة.

ومن علامات الساعة أن يفشو الكذب بين الناس فلا يتورع الرجل عن الكذب في حديثه وعدم التثبت في نقل الأخبار بين الناس، هذا مع قبح الكذب وسوء أثره وكثرته بين الناس.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم»(٢).

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم»(٣).

وما أكثر الأحاديث والأخبار والقصص الغريبة في هذا الزمان لقلة ورع الناس عن الكذب. ولهذا حذر النبي ﷺ من تصديق كل شيء وتناقله، فلا بدّ من التثبت في الأخبار التي ننقلها حتى لا نكون من جملة الكذابين فنقع في الزلل والعصيان.

وما انتشار الشائعات اليوم، وعم التثبت في الأخبار، والزيادة والنقص في المواقف والأحداث، إلا نوع من الكذب المحرّم.

---

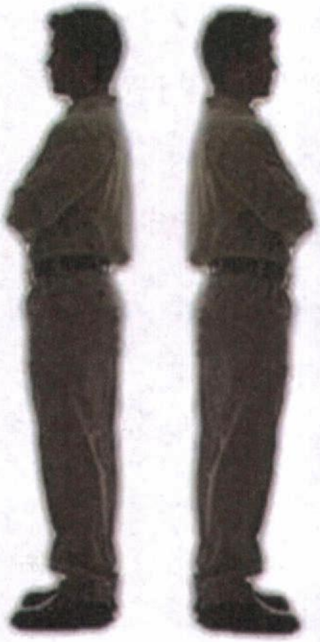
(١) رواه أحمد من حديث أبي أمامة، وسنده ضعيف.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

٧٣

وقوع التناكر بين الناس



عند كثرة المحن والفتن تخف العلاقة بين الناس حتى تصل إلى القطيعة وتدابر القلوب فلا يتعارف الناس إلا لمصالحهم الدنيوية.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة؟ فقال: «علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها: إن بين يديها فتنة وهَرْجًا». قالوا: يا رسول الله الفتنة قد عرفناها فالهرج ما هو؟ قال: «بلسان الحبشة القتل ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد يعرف أحدا»[١].

وهذا الحديث مصداق لواقع الناس الآن فقد أصبح كثير من الناس لا يكاد يعرف أقاربه، حتى ربما التقى بعض أولادهم في أماكن عامة، فلم يدر أن هؤلاء من أرحامه لأن كثيرًا من علاقات الناس بنيت على المصالح الشخصية وكثرت العلاقات الواهية القائمة على المصالح الدنيوية التي سرعان ما تتكون وسرعان ما تهدم وتنقطع لكونها قائمة على رغبة الناس في مصالحهم ولم تكن قائمة على الإيمان بالله والإخاء بل ينظر الرجل لمصلحة دنياه فإن كانت قابلة للتحقيق بناها وإلا كان أسرع إلى القطيعة.

(١) رواه أحمد وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

٧٤
كثرة الزلازل



والمراد بكثرة الزلازل قبل قيام الساعة شمولها ودوامها وهي إما رحمة بالأمة وتكفير للسيئات لما ورد كما جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة جعل الله عذابها في الدنيا القتل والزلازل والفتن»(١).



أو عقوبة للعباد حيث يكثر الفساد فتكون الزلازل عذابًا وعقابًا لأهل الزمان.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل»(٢).

وعن عبد الله بن حوالة الأزدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك»(٣).

---

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه.

(٢) رواه البخاري

(٣) رواه أبو داوود.

٧٥ ٧٦

كثرة النساء - وقلة الرجال



من علامات الساعة كثرة النساء آخر الزمان وقلة الرجال وقد قيل إن سبب كثرة النساء الفتن التي يكثر فيها القتل في الرجال لأنهم أهل الحرب دون النساء.

وقيل: هو إشارة إلى كثرة الفتوح فتكثر السبايا فيتخذ الرجل الواحد عدة موطوءات.

قال ابن حجر: «والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر بل يقدر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور ويكثر من يولد من الإناث»[1] ا.هـ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة - أو قال: إن من أشراط الساعة: أن يُرفعَ العلم، ويَظهرَ الجهلُ، ويُشربَ الخمر، ويفشو الزنا، ويذهب الرجالُ، ويبقى النساءُ، حتى يكون لخمسين امرأة قيِّم واحد».

وفي رواية: «يظهر الزنا، ويقل الرجال، ويكثر النساء»[2].

ومن تأمل اليوم في نِسَب ولادات الذكور والإناث في العالم عمومًا، وتأمل في الإحصاءات المعتمدة دوليًا في عدد الرجال بالنسبة للنساء، علم أن هذه العلامة ظاهرة في زمننا هذا..

(١) فتح الباري (١ / ١٣٣).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

٧٧

ظهور الفاحشة والمجاهرة بها

مع كثرة المنكرات وانتشار الشهوات في آخر الزمان أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة انتشار الزنا حتى يقع الرجل على المرأة في قارعة الطريق جهارًا.

فهنا علاماتان: ظهور الزنا، وفشوّه وانتشاره، والمجاهرة بالفاحشة وعدم الاختفاء بها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى: لا يبقى على وجه الأرض أحد لله فيه حاجة، وحتى توجد المرأة نهارًا جهارًا تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد ولا يغيره فيكون أَمْثَلُهم يومئذ الذي يقول لو نحّيتها عن الطريق فذاك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم»[(١)].

ويشهد لهذا أيضًا قوله ﷺ: «إن من أشراط الساعة: أن يُرفعَ العلم، ويَظهرَ الجهلُ، ويُشربَ الخمر، ويفشو الزنا».

وفي رواية: «يظهر الزنا، ويقل الرجال، ويكثر النساء»[(٢)].

وهاتان العلاماتان ظاهرتان في زمننا، من خلال ما يُبثّ في بعض القنوات الفضائية من فضائح، وصور خليعة، أو ما يُنشر على الإنترنت من صور ومقاطع فيديو تستحيي العين المؤمنة من النظر إليها.

فحريٌّ بالمؤمن والمؤمنة صيانة النفس وغض البصر وحفظ الفرج، والتحرز من مخالطة أهل الفجور، مع دوام سؤال الله عز وجل العصمة والعفاف.

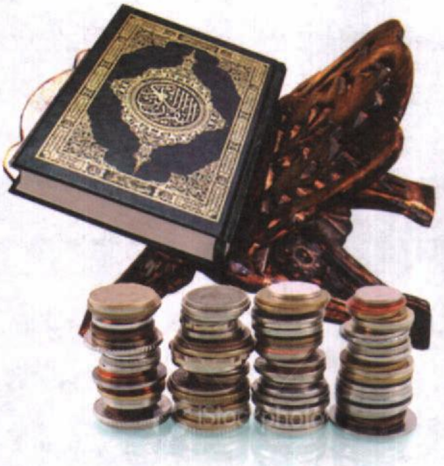
---

(١) رواه الحاكم وصححه واستنكره الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة: ضعيف جدا.

(٢) متفق عليه.

٧٨

أخذ الأجرة على قراءة القرآن



قراءة القرآن عبادة وقربة، والأصل أن العبادات لا تصرف لطلب الدنيا، وإنما للآخرة ابتغاء لوجه الله تعالى.

ومن علامات الساعة، أنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن ويحسّنون أصواتهم، في مجالس العزاء والمناسبات، ليأخذوا على ذلك أموالًا.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه مر برجل وهو يقرأ على قوم فلما فرغ سألهم مالًا!.

فقال عمران: إنا لله وإنا إليه راجعون إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من قرأ القرآن فليسأل الله تبارك وتعالى به فإنه سيجيء قوم يقرءون القرآن يسألون الناس به»[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن، وفينا الأعرابي والعجمي. فقال: «اقرءوا، فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح[2]، يتعجلونه ولا يتأجلونه[3]»[4].

(١) رواه أحمد وحسنه الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

(٢) والمعنى: يبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة لأجل الرياء والسمعة والشهرة، كأن أحدهم يصف أقداحًا وهي الصحون.

(٣) والمعنى: يتعجلون ثوابه من الناس مالًا وثناءً، ولا يؤجلون نيل الثواب في الآخرة أجرًا ورضوانًا

(٤) رواه أبو داود، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٥٩).

٧٩

أن الناس يكثر فيهم السّمن

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن»[1].

ولعل كثرة السّمن في آخر الزمان سببها انتشار الترف والترفّه تنوع المطاعم والمشارب، وكثرة المشهيات والحلويات، وقلة حركة الناس بأجساده، فصارت الأجهزة تخدمهم فلا يمشون، ولا يتحركون إلا قليلًا، فزادت البدانة سواء عند الكبار أو الصغار، حتى ذكرت الإحصاءات أن سدس سكان العالم يعانون من زيادة الوزن.

لذلك كثرت اليوم الأدوية التي تُعين على تخفيف الوزن، ومكافحة السمنة، وعمليات ربط المعدة، وما شابه ذلك.



(١) متفق عليه.

٨٠ ٨١

ظهور قوم يَشْهدون ولا يُسْتَشهدون - وظهور قوم ينذرون ولا يفون

وهاتان العلامتان وردتا في الحديث السابق «.. ثم إن بعدهم قومًا يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون.. ».

وهذان الوصفان من التساهل بالشهادة على الآخرين بغير علم ولا طلب، وكثرة النذر مع عدم الوفاء به تدلان على رقة الدين، وضعف الإيمان، وعدم تعظيم الله في القلب.



٨٢
أن القوي يأكل الضعيف

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وهو يقول: «يا عائشة قومك أسرع أمتي بي لحاقًا». قالت: فلما جلس قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك لقد دخلت وأنت تقول كلامًا ذعرني. قال: «وما هو؟». قالت: تزعم أن قومي أسرع أمتك بك لحاقًا. قال: «نعم». قالت: ومم ذاك؟ قال: «تستحليهم المنايا[1] وتنفس عليهم أمتهم». قالت: فقلت فكيف الناس بعد ذلك أو عند ذلك؟ قال «دبى يأكل شداده ضعافه حتى تقوم عليهم الساعة». قال أبو عبد الرحمن: فسره رجل هو الجنادب التي لم تنبت أجنحتها.[2]

و «الدّبى»: الجراد قبل أن يطير.

والجنادب: جمع جندب، وهو الجراد.

وفي هذه الحديث إشارة على وقوع ظلم عظيم وشر كبير حتى يصبح القوي يأكل الضعيف.



(١) المنايا جمع منيّة، وهو الموت، والمعنى أن الموت يراهم صيدًا حلوًا، فيهجم عليهم.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في السلسة الصحيحة رقم (١٩٥٣).

٨٣

ترْك الحُكم بما أنزل الله

الحكم بما أنزل الله من أوجب الواجبات ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]،



وفي آخر الزمان تنقض عرى الإسلام عروة عروة، وأول ما ينقض الحكم بما أنزل الله.

عن أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لينتقضن عُرى الإسلام عُروة عُروة فكلما انتقضت عروة تشبّث الناس بالتي تليها وأولهن نقضًا الحكم وآخرهن الصلاة»[2].

وهذه العلامة ظاهرة اليوم -مع الأسف- في أكثر بلدان الإسلام فلم يعودوا يحكمون بالإسلام إلاّ فيما يتعلق بأمور الزواج والطلاق والميراث ونحوها، أما المعاملات التجارية، والعقوبات الجنائية والحدود الشرعية فالكثير يحكم بالقوانين الفرنسية والبريطانية وغيرها.. وهذا حكم بغير ما أنزل الله.. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[3].

(١) المائدة: ٤٤

(٢) رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح.

(٣) المائدة: ٥٠

٨٤
كثرة الروم وقلة العرب

الـروم هم من يطلق عليهم اليـوم الأوروبيون والأمريـكان وسمو بالروم نسبة إلى الأصفر بن الروم بن عيصو بن إسـحاق بن إبراهيم، ولهذا يطلق عليهم بنو الأصفر[١].

عن المسـتورد الفهري انه قال لعمرو بن العاص: تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو بن العاص: أَبصِرْ ما تقول؟. قال: أقول لك ما سمعت من رسول الله ﷺ، فقال عمرو بن العاص: إن تكن قلت ذاك إن فيهم لخصالًا أربعًا:

- إنهم لأسرع الناس كرّة بعد فرّة[٢]،
- وإنهم لخير الناس لمسكين وفقير وضعيف،
- وإنهم لأحلم الناس عند فتنة،
- والرابعة حسنة جميلة وأنهم لأمنع الناس من ظلم الملوك"[٣].

و عن أم شريك أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «ليفِرَّن الناس من الدجال[٤] في الجبال». قالت أم شريك: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: «هم قليل»[٥].

وقد يقال: إن معنى «الروم أكثر الناس» إشارة إلى انتشار اللسان الأوروبي (الإنجليـزي) وبداية هجر العربية، قـال بعض أهل العلم: «العربي من تكلم العربية، والأعرابي من سكن البادية وإن كان أعجميًا».

---

(١) التذكرة للقرطبي (٢ / ٦٨٩).

(٢) الأصـل أن الكـرّة هـي الإقبال في القتال، والفـرّة هي الفرار، والمعنى هنـا: أنهم إذا هُزمـوا أو أصابتهم كارثة سارعوا إلى تحسين أوضاعهم، وحل مشكلاتهم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الدجال من علامات الساعة الكبرى، وسيأتي تفصيل أمره في العلامة رقم (١) من العلامات الكبرى.

(٥) رواه مسلم.

٨٥
استفاضة المال وكثرته بين الناس



عاش المسلمون سنين متتابعة مع رسـول الله ﷺ، وسـنين بعده، وهم في شظف من العيش وحاجة شـديدة، حتـى كان يمر الهلال تلو الهلال وما أوقد في بيت رسول الله ﷺ نار، إنما طعامه الأسـودان التمر والماء.

فكان النبي ﷺ يحدّث أصحابه بـأن الحـال سـيتغير، وأن مـن علامات السـاعة أن يفيـض المال حتى أن الرجل يسـعى بزكاة ماله شـهرًا لا يجد من يأخذها لشدة استغناء الناس عنها.

فعـن أبي هريـرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم السـاعة حتى يكثر فيكم المـال فيفيض حتى يُهِمّ ربّ المـال من يقبله منه صدقـة ويُدْعى إليه الرجل فيقول لا إرب[١] لي فيه»[٢].

وعن أبى موسـى الأشـعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحدًا يأخذها»[٣].

(١) أي لا حاجة لي فيه.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم.

وقد اختلف أهل العلم، هل وقعت هذه العلامة، أم لا؟

فقيل إن ذلك تحقق في عهد الصحابة بسبب الفتوحات وغنيمتهم لأموال الفرس والروم.

ثم فاض المال في زمن عمر بن عبد العزيز فكان الرجل يعرض صدقته فلا يجد من يقبلها حتى أن الرجل ليعرض ماله على من يراه محتاجًا فيقول له: لا إرب لي فيه أي لا حاجة لي فيه.



وقيل إن ذلك سيقع آخر الزمان وقد أشار النبي ﷺ بأن المال سيكثر زمن المهدي الذي يحثو المال حثوًا، أي يجمع بكفيه الذهب والفضة ويعيطه الناس دون عددً ولا حساب لكثرته ووفرته، وتخرج الأرض بركتها ويغتني الناس لعموم البركة والخير حتى إن الأرض تخرج من بطنها أمثال الأسطوان الذهب والفضة.

عن سعيد الجريري عن أبي نضرة قال: كنا جلوسا عند جابر رضي الله عنه فقال: قال رسول الله ﷺ: «يكون فى آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عددا»[1]. قلت -أي سعيد الجريري- لأبى نضرة وأبى العلاء: أتريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لا"[2].

---

(١) انظر ذكر المهدي علامة رقم (١٣١) من العلامات الصغرى.

(٢) رواه مسلم.

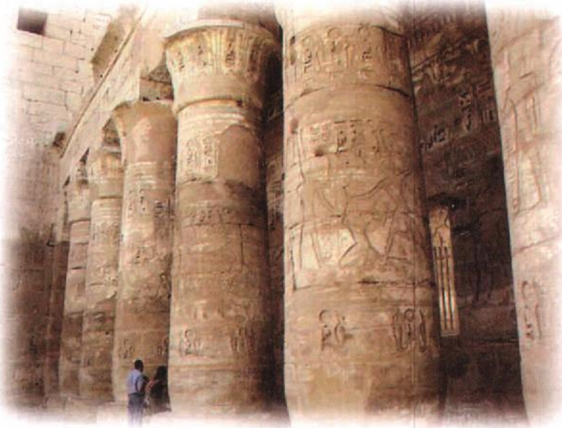
٨٦

إخراج الأرض كنوزها

ومن كثرة المال واستفاضته في آخر الزمان، أن الأرض تكشف عن كنوزها المدفونة فيها، ويزهد الناس في المال لكثرته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تَقِيءُ[١] الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأُسْطُوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا»[٢].

قال النووي رحمه الله: «ومعنى الحديث التشبيه، أي تخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها. والأسطوان - بضم الهمزة والطاء وهو جمع أسطوانة - وهي السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان لعظمه وكثرته»[٣] اهـ





نماذج للاسطوانات (الأعمدة) القديمة

(١) أي تخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها.

(٢) رواه مسلم.

(٣) شرح النووي على مسلم (٣ / ٤٥٤).

٨٧ ٨٨ ٨٩

ظهور المسخ(١) - والخسف(٢) - والقذف(٣)

وهـذه من العقوبات التي تقـع على بعض الناس في آخـر الزمان، وهي من علامات السـاعة، فعـن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «في هذه الأمة خسف، ومسخ، وقذف». فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: «إذا ظهرت القِيان والمعازف»(٤).



و «القيان»: جمـع قَينة وهي المرأة المغنية(٥).

و «المعازف»: آلات اللهو والغناء ومفرده مَعزف(٦).

وكلما سـكت الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ظهرت المعاصي، وانتشرت، فاقتربت العقوبات.

عـن عائشـة -رضي الله عنهـا- أن النبي ﷺ قال: «يكـون في آخر هذه الأمة خسـف، ومسـخ، وقذف». قلت: يا رسـول الله، أنهلك وفينـا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا ظهر الخبث»(٧).

---

(١) هو قلب الخلقة من شيء إلى شيء، مثل ما عاقب الله عز وجل فريقًا من بني إسرائيل فمسخهم قردة وخنازير كما قال عز وجل (فلما عتوا عمّا نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين)، وقال (وجعل منهم القردة والخنازير).

(٢) انشقاق الأرض وابتلاعها ما فوقها، وسيأتي في العلامات الكبرى صورة الخسف.

(٣) الرمي بحجارة من السـماء، كما وقع لقوم شـعيب لما عاقبهم الله عز وجل بحجارة نزلت ن السـماء، وعاقب أبرهة وقومه لما جاؤوا لهدم الكعبة فرماهم بحجارة من سجيل.

(٤) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢٧٣).

(٥) انظر لسان العرب (١٣ / ٣٥٠).

(٦) لسان العرب (٩ / ٢٤٤).

(٧) رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٣٥٥).



منزل خسف به ليلًا ٣٠٠ قدم في باطن الأرض

وقد أخبر الرسول ﷺ أن وقوع الخسف والمسخ والقذف أيضًا في أنواع من أهل البدع المخالفين في العقيدة مثل: الزنادقة -وهم أهل النفاق الأكبر والإلحاد- والقدرية -وهم المكذبون بتقدير الله عز وجل لمقادير وأفعال العباد-.

فعن نافع قال: بينما نحن عند عبد الله بن عمر قعودًا، إذ جاء رجل، فقال: إن فلانًا يقرأ عليك السلام -لرجل من أهل الشام- فقال عبد الله: بلغني أنه أحدث حدثا[١]، فإن كان كذلك، فلا تقرأن عليه مني السلام، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون في أمتي مسخ وقذف، وهو في الزنديقية والقدرية»[٢].

وجاءت في أحاديث أخرى، أن خسفًا سيقع آخر الزمان بجيش يغزو البيت (الكعبة)؛ فيخسف الله بأوله وآخره.

فعن بقيرة امرأة القعقاع بن أبي حدرد، تقول: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «إذا سمعتم بجيش قد خسف به قريبًا، فقد أظلّت الساعة»[٣].

أي يخسف به قريبًا من المدينة. وسيأتي تفصيل حال هذا الجيش[٤].

وأخيرا.. لا شك أن هذه العقوبات تقع على أهل المعصية والساكتين عنها، فيحذر المسلم من ذلك.

(١) أي ابتدع بدعة وضلالة.

(٢) رواه أحمد وصححه أحمد شاكر.

(٣) رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٣٥٥).

(٤) انظر العلامة رقم (١٢٢) من العلامات الصغرى.

٩٠

مطر لا تُكِنُّ منه بيوت المدر

من علامات الساعة التي أخبر عنها النبي ﷺ، نزول مطر من السماء، لا تصمد أمامه بيوت الطين والحجر، وإنما تصمد أمامه الخيام المبنية من وبر الإبل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطرا، لا يكنّ[(١)] منه بيوت المدر، ولا يكنّ منه إلا بيوت الشعر»[(٢)].



(١) أي لا تقي منه.

(٢) رواه أحمد وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. وكذا رواه ابن حبان في صحيحه.

٩١

نزول المطر من السماء ولا تنبت الأرض شيئًا

ومن علامات الساعة التي أخبر عنها النبي ﷺ، نزول مطر عام من السماء، ولا تنبت الأرض شيئًا من النبات والثمار.

فعن أنس رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «لا تقوم السـاعة حتى يمطر الناس مطرًا عامًا، ولا تُنبت الأرض شيئًا»[١].

ولا شك أن هذا لذهاب بركة الأرض، كما قال ﷺ: «إن السَّنَة[٢] ليس بأن لا يكون فيها مطر، ولكن السَّنَة أن يمطر الناس ولا تنبت الأرض»[٣].



(١) رواه أحمد وأبو يعلى، وقال الهيثمي في المجمع: ورجال الجميع ثقات.

(٢) أي القحط والجدب.

(٣) رواه أحمد، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح.

٩٢
فتنة تستنظف العرب



ومن علامات الساعة التي أخبر بها النبي ﷺ، وقوع فتنة عظيمة تصيب العرب؛ فيكثر فيهم القتل والهلاك.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تكون فتنة تستنظف العرب قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف»[(١)].

و «تستنظف العرب»: أي تستوعبهم وتشملهم هلاكًا، من استنظفت الشيء إذا أخذته كله.

و «قتلاها في النار»: لقتالهم على الدنيا، واتباعهم الشيطان والهوى، أي سيكونون بقتالهم هذا مستوجبين للعقاب، وهم إن ماتوا مسلمين موحّدين، لم يخلّدوا في النار وإن عوقبوا فيها.

والمراد بقتلاها: من قتل في تلك الفتنة فهو متعرّض للوعيد الشديد؛ لأنهم ما قصدوا بتلك المقاتلة إعلاء دين، أو دفع ظالم، أو إعانة محق، وإنما كان قصدهم التباغي والتشاجر؛ طمعًا في المال والملك.

و «اللسان»: أي وقعه، وطعنه، وتشجيعه على القتال، وإذكاؤه له أشد من السيف، ويدل عليه رواية: «وإشراف اللسان -أي إطلاقه وإطالته- فيها أشد من وقع السيف»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة، والحديث فيه مقال.

(٢) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (١٥ / ٣٦٩).

٩٣ ٩٤ ٩٥

كلام الشجر - كلام الحجر نصرةً للمسلمين - قتال المسلمين لليهود

وهـذا القتال سـيحدث آخر الزمـان؛ فينتصر المسـلمون؛ فينطق الشـجر والحجر قائلًا: يا مسـلم، يا عبد الله، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله. فالشجر والحجر يتعاطف مع المسلمين؛ تأييدًا لهم، ونصرًا من الله ﷻ.

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله»(١).



شجرة الغرقد الواردة في الحديث

وكلام الشـجر والحجـر من أشراط الساعة، إلا شجرة الغرقد اليهودية لا تتكلم.

فعـن أبي هريـرة رضي الله عنه، أن رسـول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشـجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود»(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

وفي رواية: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يامسلم هذا يهودي ورائي، فاقتله»[١].

وتَكلُّم الشجر والحجر حقيقة؛ لأن الله قادر على إنطاق الجمادات، وهي من علامات قرب الساعة.

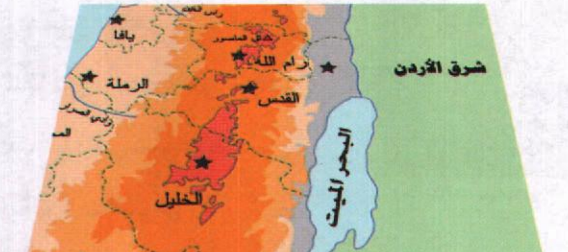
وعن نهيك بن صريم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لتقاتلن المشركين؛ حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقيه وهم غربيه».

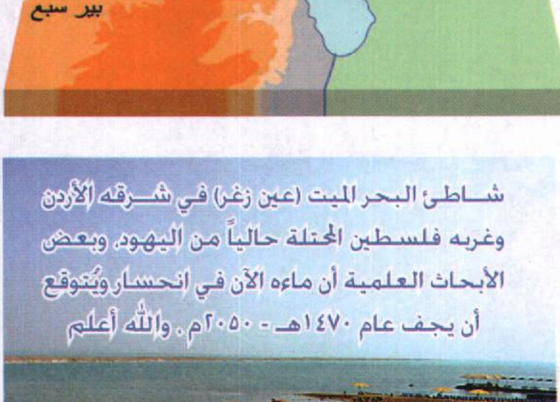
قال نهيك بن صريم: «ولا أدري أين الأردن يومئذ»[٢].

والمقصود به، البحر الفاصل بين فلسطين المحتلة والأردن.



صورة أخرى لشجر الغرقد





(١) رواه البخاري.
(٢) رواه الطبراني والبزار، وفي إسناده محمد بن أبان القرشي، وهو ضعيف.

٩٦
يحْسِرُ الفرات عن جبل من ذهب

نهر الفرات معروف، وهو كثير الماء، وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يحسر الفرات، ويتغير مجراه؛ فيستبين للناس جبل من ذهب؛ فيقتتلون عليه؛ فيُقتل أناس كثير.



وقد حذر رسول الله ﷺ من حضره عن الأخذ منه؛ خشية الفتنة، أو وقوع المقاتلة بسببه.

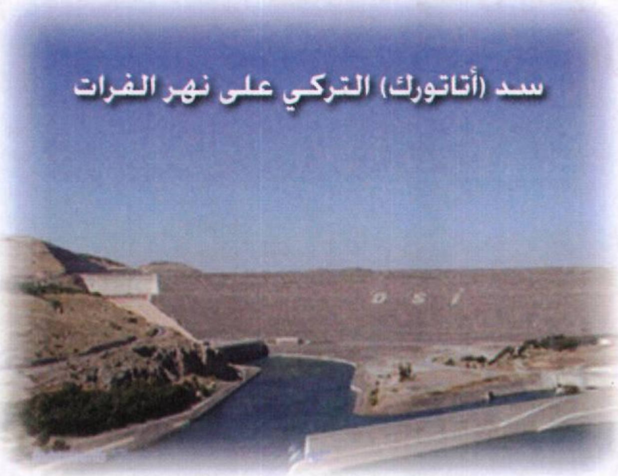
فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يَحسِر الفرات عن جبل من ذهب؛ يقتتل الناس عليه؛ فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذي أنجو»(1).

وفي رواية: «فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا»(2).

وعن أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوشك أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس ساروا إليه، فيقول من عنده: لئن تركنا الناس

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.

يأخذون منه ليذهبن به كله، قال: فيقتتلون عليه؛ فيُقْتل من كل مائة تسعة وتسعون»[١].



سد (أتاتورك) التركي على نهر الفرات

ومعنى انحساره: انكشافه، وهو جبل من ذهب حقيقي.

وقد يكون ذلك بسبب تحول مجراه، ويكون هذا الكنز، أو هذا الجبل من الذهب مطمورًا بالتراب، وغير معروف، فإذا تحول مجرى الماء لسبب من الأسباب كشفه الله.


سد الفرات (الثورة) السوري على نهر الفرات

وعلى من حضره ألا يأخذ منه شيئًا؛ خشية الفتنة وسفك الدماء، وهذه الفتنة لم تظهر بعد، والله أعلم بحدوثها متى يكون.

واليوم تقيم تركيا وسوريا سدودًا على نهر الفرات، وتقيم عنده المصانع، مما أدى إلى قلة جريان الماء فيه، فقد يكون هذا مقدمات لظهور ذلك الجبل.

(١) رواه مسلم.

٩٧

مجيء زمان يُخيَّر الرجل فيه بين العجز والفجور



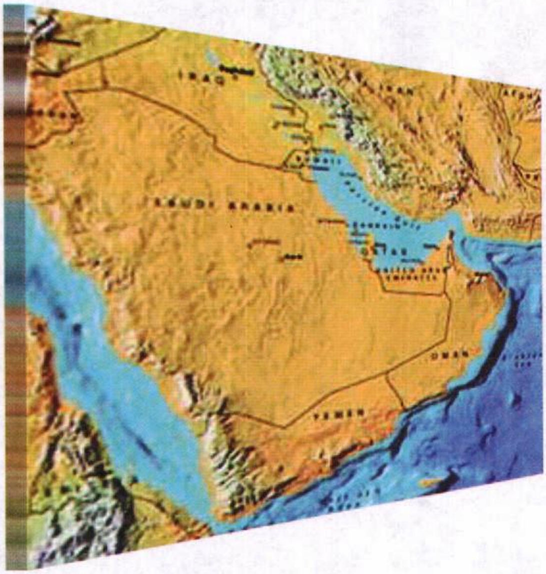
من علامات الساعة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ، تخيير الرجل بين أن يفجُر، أو أن يُترَك ويُتَّهم بالعجز والرجعية، وغيرها من الألفاظ غير التقدمية في عرف أهل الفساد، فنبه النبي ﷺ، ونصح أولئك على اختيار العجز، والابتعاد عن الفجور.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان يُخيَّر فيه الرجل بين العجز والفجور، فمن أدرك ذلك الزمان؛ فليختر العجز على الفجور»[1]

وهذا الأمر ظاهر في زماننا؛ حيث إن من التزمت بحجابها من النساء - مثلًا - اتّهمت بأنها عاجزة رجعية، أو من ترك المساهمة في الربا، أو تعاطي الرشوة، أو متابعة القنوات الفاسدة، وصفه الناس بالرجعية والعجز عن التقدّم؛ فأصبح الإنسان في المجتمع مخيّرًا بين أن يفجر ويعصي، أو يوصف بالعجز والرجعية.

(١) قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى عن شيخ عن أبي هريرة، وبقية رجاله ثقات، فالحديث في إسناده جهالة.

٩٨
عودة جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا



الناظر في جزيرة العرب، يعلم أن الصحاري الجرداء القاحلة تبلغ ٧٠٪ من مساحتها، فأخبرنا نبينا ﷺ أن من أشراط وعلامات الساعة، أن تعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا، بعدما كانت قاحلة صحراء لا تنبت.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق -أي يخاف أن يضيّع الطريق- وحتى يكثر الهرج». قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «القتل»[(١)].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا»[(٢)].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعًا، والمغرب والعشاء جميعًا، حتى

(١) رواه احمد.
(٢) رواه مسلم.

إذا كان يومًا أخّر الصلاة، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعًا ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعًا، ثم قال: «إنكم ستأتون غدًا -إن شاء الله- عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يُضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئًا حتى آتي»، فجئناها، وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك[١] تبض[٢] بشيء من ماء. فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مسستما من مائها شيئًا»؟ قالا: نعم؛ فسبهما النبي ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلًا قليلًا حتى اجتمع في شيء، وغسل رسول الله ﷺ فيه يده ووجهه، ثم أعاده فيها؛ فجرت العين بماء منهمر غزير حتى استقى الناس. ثم قال ﷺ: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة، أن ترى ما ههنا قد مُلئ جنانا»[٣] أي عُمْرانًا وبساتين.



وقد أشار بعض العلماء أن الزحف الجليدي يتقدم الآن باتجاه جزيرة العرب، والذي يحمل معه الثلوج والأمطار، التي تكون عادة سببًا في إنبات الزرع وكثرة الخيرات، والله ﷻ قادر على أن يُحيل صحراء العرب إلى جنات وأنهارًا، وسهولًا فيحاء، وظلال ممدودة، وهذه العلامة لم تظهر بعد، لكن كل آت قريب.

(١) الشراك: سير النعل، والمعنى ماء قليل.
(٢) تبضّ: تسيل سيلًا قليلًا، شبه الرشح.
(٣) رواه مسلم

وأما قوله ﷺ على تبوك: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد مُلئ جنانًا» فهذا واقع اليوم من خلال المشاريع الزراعية الكبرى الواقعة في تبوك على مسافات شاسعة من الأراضي.





تبوك اليوم





صورة توضح مشاريع الزراعة والبساتين المقامة في تبوك اليوم

٩٩ ١٠٠ ١٠١

ظهور فتنة الأحلاس - ظهور فتنة السراء - ظهور فتنة الدّهيماء

أخبر ﷺ أنه لن تقوم الساعة حتى يسبقها فتن ثلاث.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كنا قعودًا عند رسول الله ﷺ، فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس. فقال قائل: يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس؟ قال: «هي هَرَب وحرب. ثم فتنة السراء، دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني، وليس مني، وإنما أوليائي المتقون. ثم يصطلح الناس على رجل كورك علي ضلع. ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، حتى يصير الناس إلى فسطاطين - أي قسمين - فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه، أو من غده»[(١)].

و«الأحلاس»: جمع حِلْس، وهو الكساء الذي فوق ظهر البعير تحت الرّحل الخشبي، وهذا الكساء ملازم للبعير دومًا، فهي فتنة ملازمة للناس، لا تكاد تفارقهم، وهي سوداء مظلمة مثل الحِلس.

«هَـرَبَ»: بفتحتين، أي يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة.

«وحرب»: نهب مال الإنسان وأهله، وتركه لا شيء له.

(١) رواه أبو داود، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٧٢).

«ثم فتنة السراء»: أي النعماء التي تسر الناس من الصحة والرخاء والعافية؛ فيفتن بعض الناس ويتمادى في العصيان.

«دخنها»: يعني ظهورها وإثارتها، شبهها بالدخان المرتفع من النار إذا أُلقي عليها حطبٌ رطِبٌ فكثرُ دخانها.

«من تحت قدمي رجل من أهل بيتي»: أي من آل بيت النبي ﷺ، تنبيه على أنه هو الذي يسعى في إثارتها أو أنه يملك أمرها.

«يزعم أنه مني»: أي هو مني في النسب، لكنه ليس مني في فعله الشنيع، فأنا بريء من فعله، وإن كان من أهل بيتي، وهو ليس من أوليائي، إنما أوليائي المتقون، وهذا الرجل هو الباعث على إقامة تلك الفتنة.

«وليس مني»: أي ليس من أخلائي لأنه يهيج الفتنة، ومثل ذلك قوله ﷻ لنوح لما قال: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾[1]، فقال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٍ﴾[2].

«ثم يصطلح الناس على رجل»: أي يجتمعون على بيعة رجل.

«كورك»: الورك هو ما فوق الفخذ.

«على ضلع»، وهو مفرد ضلوع وأضلاع، والضلع هو عظم الصدر.

والمعنى: أن شأن الناس مع هذا الرجل لا يستقر، لأن الورك ثقيل. والضلع (عظم الصدر) صغير ضعيف، فيكون الناس قد اصطلحوا بعد اختلافهم على رجل غير خليق للملك، قليل العلم خفيف الرأي، لا يقوم به نظام، ولا استقامة أمور.

(١) هود: ٤٥

(٢) هود: ٤٦

«فتنة الدهيماء»: أي الفتنة السوداء العظماء والطامة العمياء.

«إلا لطمته لطمة»: أي لا تترك أحد من الناس إلا أصابته بمحنة أو بلاء، واللطم هو الضرب على الوجه، والمعنى: أن أثر فتنة الدهيماء يعم كل الناس.

«فإذا قيل انقضت»: أي إذا توهم الناس أن تلك الفتنة انتهت.

«تمادت»: أي زادت وتمددت.

«يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا»: أي يصبح محرّما لدم أخيه غير معتد على عرضه وماله، ويمسي مستحلا لذلك معتديا عليه، وقد تقدم شرح ذلك مفصلًا [١].

«إلى فسطاطين»: أي فرقتين، وقيل:مدينتين، والفسطاط الخيمة.

«فسطاط إيمان لا نفاق فيه»: أي إيمان خالص صاف.

«وفسطاط نفاق لا إيمان فيه» أي فيه أعمال المنافقين من الكذب والخيانة ونقض العهد وأمثال ذلك.

«فانتظروا الدجال»: أي ظهوره.

وهذه الفتن لم تظهر بعد والله أعلم، ونسأل الله أن يكفينا شرّها.

---

(١) انظر العلامة رقم (٥١).

ومعنى قوله: «حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها»، أن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات؛ لزهدهم في الدنيا، وقصر آمالهم، ويقينهم بقرب القيامة، وقلة رغبتهم في الدنيا لعدم الحاجة إليها.

قال القاضي عياض: «معناه، أن أجرها خير لمصليها من صدقته بالدنيا وما فيها؛ لفيض المال حينئذ وقلة الشح، وقلة الحاجة إليه للنفقة في الجهاد، والسجدة هي السجدة بعينها، أو تكون عبارة عن الصلاة. والله أعلم»[١].

١٠٣
انتفاخ الأهلة

الأهلة جمع هلال، وهو القمر في أول طلوعه بداية الشهر، فإنه يبدأ صغيرًا أول ليلة من الشهر الهجري، ثم يكبر بالتدرج إلى انتصاف الشهر، ثمّ يتناقص مرة أخرى إلى آخر الشهر.

ومن علامات الساعة، انتفاخ الأهلة، وهو أن يرى الناس الهلال من أول الشهر كبيرًا عن المعتاد، فيرونه أول ليلة كأنه ابن ليلتين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة، وأن يرى الهلال لليلة فيقال لليلتين»[٢]. والظن أن هذه العلامة لم تظهر والله أعلم.

(١) شرح مسلم للنووي (٢ / ١٩١).

(٢) رواه الطبراني وله طرق وشواهد كثيرة، والحديث له طرق، قال السخاوي في المقاصد: وبعضها يتقوى ببعض.

١٠٢

مجيء زمان السجدة فيه تعدل الدنيا وما فيها



وهذا يقع في زمن عيسى بن مريم عليه السلام بعد ما ينزل في آخر الزمان، وزمانه عليه السلام زمان فاضل، والعبادات فاضلة، والعبادات تتفاضل في أجرها وثوابها، بحسب تفاضل شرف ومنزلة الزمان والمكان.

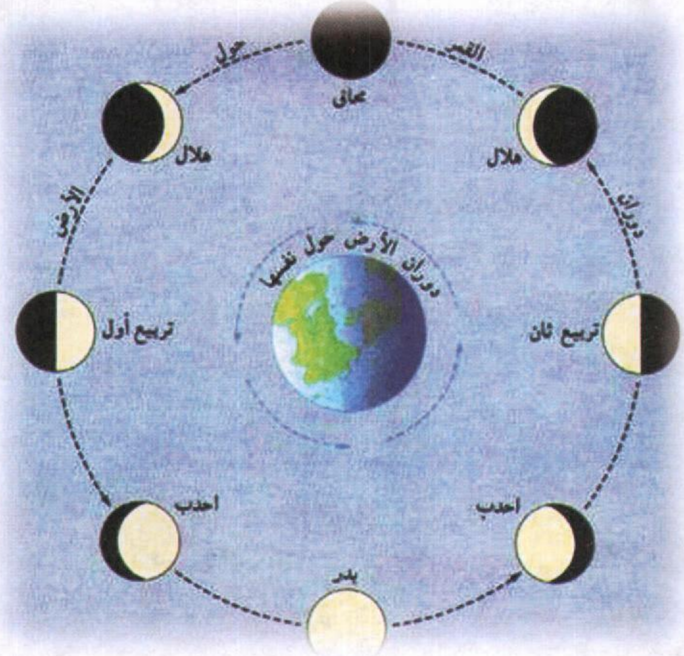
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية[1]، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها».

ثم قال أبو هريرة واقرءوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[2][3].

(١) يعني لا يقبل من أحد إلا أن يكون على دين الإسلام، ولا يقبل أن يبقى النصارى على دينهم حتى لو دفعوا الجزية.

(٢) النساء: ١٥٩

(٣) رواه البخاري ومسلم.



اطوار القمر من بداية إلى نهاية الشهر العربي



اطوار القمر خلال أحد الشهور الإفرنجية

١٠٤

مجيء زمان لا يبقى أحد إلا لحق بالشام



الشام اسم يطلق اليوم على بلاد سوريا وما حولها (لبنان والأردن وفلسطين)، والشام هي أرض المنشر والمحشر، وهي مهبط كثير من الرسالات، والشام وأهلها لهم قدر ومزية، قال ﷺ: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»[١].

لذا يوصي النبي ﷺ بسُكنى الشام؛ لأنه قبل قيام الساعة ستكون الشام معقل المسلمين وسكناهم. فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة، إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام»[٢].

والفسطاط في الأصل الخيمة، والمقصود هنا موقع المسلمين، ومكان اجتماعهم يوم الملحمة، أي المعركة الكبرى بين المسلمين والنصارى.

«بالغوطة» وهو اليوم تسمّى غوطة دمشق، ودمشق مدينة معروفة، وهي عاصمة سوريا اليوم.

(١) رواه الترمذي من حديث معاوية بن قرة عن أبيه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد وأبو داود في السنن وصححه الألباني في صحيح أبي داود



والملحمة المذكورة في الحديث تكون قبل المهدي، أو في زمنه، أو في زمن آخر، وقد حث النبي ﷺ على سكنى الشام؛ وذلك لكونها أرض المحشر، وأنها فسطاط المؤمنين، فقد استشار أحد الأصحاب رسول الله ﷺ إلى أي البلدان يهاجر ويسكن؛ فأشار عليه بالشام.

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله أين تأمرني؟ قال «ها هنا، ونحا بيده نحو الشام»[1]. وقبل قيام الساعة، سيهاجر أغلبية المؤمنين إليها، ولا يبقى أحد منهم إلا لحق بالشام.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «يأتي زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام»[2].





صور متنوعة لغوطة دمشق

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم.

(٢) رواه ابن أبي شيبة موقوفا، ولا يصح مرفوعًا، وهذا الأثر لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع، ولا بأس بإسناده موقوفا.

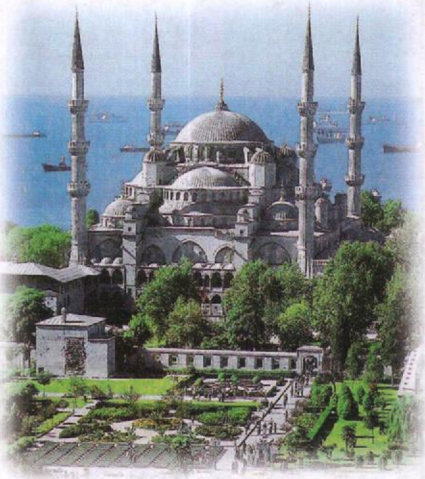
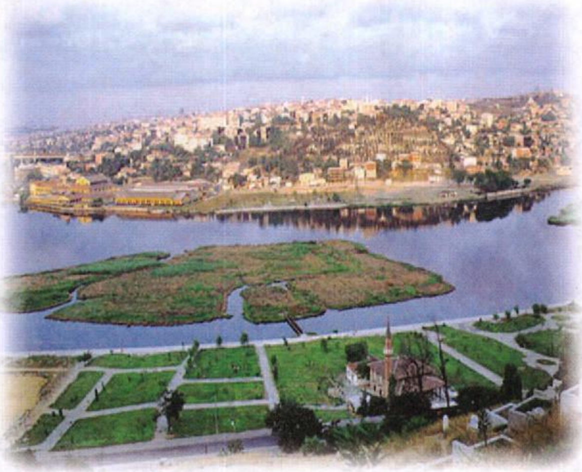
١٠٥ ١٠٦

الملحمة الكبرى بين المسلمين والروم - فتح القسطنطينية

تاريخ المسلمين والروم النصارى حافل بالأحداث، ففيه السلم والحرب، والهدنة والقتال، والمسلمون اليوم مع الروم حالهم غير مستقرّ، بل يتقلبون ما بين سلم وحرب، وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة: وقوع حرب كبرى بين المسلمين والروم، وذلك قبل ظهور المهدي، سماها النبي ﷺ الملحمة الكبرى، حيث ينتصر فيها المسلمون، ثم يتوجهون إلى فتح القسطنطينية، فيفتحونها، ثم يظهر الدجال.



فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال: «عمران بيت المقدس خراب يثـرب، وخراب يثرب خـروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسـطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»[(١)].

صور للقسطنطينية (استانبول)




صورة للجسر الواصل بين قارتي آسيا وأوربا الرابط بين طرفي مدينة القسطنطينية (استانبول)

(١) رواه أبـو داود والترمذي وحسـنه الألباني في صحيح أبـي داود، وقد تفرّد به عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول.

وقال النبي ﷺ: «ستصالحون الروم صلحًا آمنًا، فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم[١]؛ فتنصرون وتغنمون، وتسلمون، ثم ترجعون، حتى تنزلوا بِمَرْج ذي تلول[٢]، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليب؛ فيغضب رجل من المسلمين؛ فيدقّه؛ فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة. وزاد بعضهم: فيثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتتلون؛ فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة»[٣].

وفي صحيح مسلم تفصيل لهذه الموقعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق (وهذا موضع قرب حلب في بلاد الشام، فيكون هناك موضع الملحمة) فيخرج له جيش من المدينة[٤] من المسلمين من خيار الأرض يومئذ، فإذا تصافوا أمام بعض، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم (وهذا يدل أنه وقعت حروب سابقة بين المسلمين والروم، وانتصر المسلمون، وسبوا من الروم، وأسلم السبي وجاء يجاهد). فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا؛ فيقاتلونهم؛ فيهزم ثلث (أي: من جيش المسلمين) لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلث (أي: من المسلمين) أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث (يعني الثلث الأخير يفتح البلاد ويغنم) لا يفتنون أبدًا. فيفتتحون قسطنطينية، وبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح (أي الدجال) قد خلفكم في أهليكم (أي يريد إفزاعهم وتخويفهم)؛ فيخرجون (أي يتوجهون إلى

(١) أي من خلفكم، اختلف الشراح قديمًا وحديثًا في المراد بهذا العدو.

(٢) أي بمكان مرتفع، ولم أجد أحدًا من أهل العلم من حدّد المكان بالضبط، ويظهر أنه مرج دابق، كما جاء في حديث آخر وهو قوله ﷺ «لن تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق».

(٣) رواه أبو داود بسند صحيح.

(٤) يعني مدينة دمشق

الدجال)، وذلك باطل (أي يكون كلام الشيطان هذا باطلا)، فإذا جاءوا الشام خرج (أي المسيح الدجال).

وفي رواية «فبينما هم يُعِدون لقتال الدجال، بعد أن قاتلوا الروم، وما استطاعوا أن يقتسموا الغنائم ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم.. »[١].

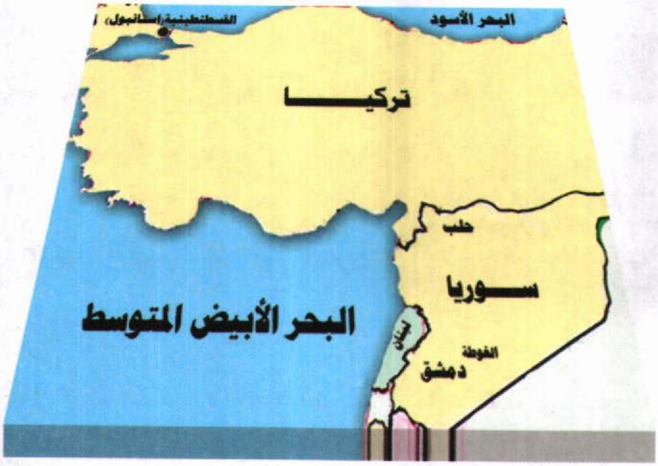
تفصيل الغزوة برواية أخرى:

قال ﷺ: «إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقْسم ميراث ولا يُفْرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام. فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام (قال ابن مسعود: الروم). وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة[٢]، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل. فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يُمْسُوا، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غيرُ غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نَهد إليهم بقية أهل الإسلام (أي يجتمع أهل الإسلام من الأماكن المختلفة). فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتلون مقتلة -إما قال: لا يُرى مثلُها وإما قال: لم يُرى مثلها-، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلُفهم حتى يخر ميتًا، فيتعادّ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقى منهم إلا الرجلُ الواحدُ، فبأي غنيمة يُفْرح؟! أو أي ميراث يُقسم؟!. فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك! فجاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفكم في ذراريكم، فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة،

(١) رواه مسلم.

(٢) أي رجوع شديد للوراء بسبب شدة القتال.

قال ﷺ: إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ -أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ-»(١).



ومجمع الجيش الإسلامي للملحمة الكبرى يومئذ مدينة دمشق في الغوطة وهم خير جيش على ظهر الأرض آنذاك ينصرهم الله عَزَّوَجَلَّ على الروم.

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام».

وفي رواية قال سمعت النبي ﷺ يقول: «يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ»(٢).

وفتح القسطنطينية على المسلمين بدون قتال وسلاحهم يومئذ التكبير والتهليل وبقيادة المهدي.

ففي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «سمعتم بمدينة، جانب منها في البر، وجانب منها في البحر»؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يقاتلوا

(١) رواه أحمد ومسلم.

(٢) رواه أحمد وأبو داود، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وأقره المنذري ".

بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر فيسقط أحد جانبيها -قال ثور بن يزيد: لا أعلمه إلا قال: الذي في البحر- ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيفرج فيدخلونها فيغنمون. فبينما هم يقتسمون المغانم، إذا جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون»[١].

قال النووي: «قال القاضي: كذا هو في جميع أصول صحيح مسلم «من بني إسحاق»».

قال بعضهم: «المعروف المحفوظ: (من بني إسماعيل)، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه؛ لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة هي القسطنطينية» .ا.هـ

ومما يدل على أنه إنما أراد العرب -وهم بنو إسماعيل- ما جاء في حديث ذي مخمر رضي الله عنه: أن الروم يقولون لصاحبهم: كفيناك حدَّ العرب، ثم يغدرون ويجتمعون للملحمة. فدل هذا على أن الملحمة تكون بين العرب وبين الروم.

وظواهر أحاديث هذا الباب تدل على ذلك أيضًا، والذين يباشرون القتال في الملحمة الكبرى هم الذين يفتحون القسطنطينية.

ويدل على ذلك أيضا قوله ﷺ في حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه: «ثم يخرج إليهم روقة المسلمين أهل الحجاز»، فدل على أنهم بنو إسماعيل لا بنو إسحاق. والله أعلم.[٢].

(١) رواه مسلم.

(٢) انظر إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة للشيخ حمود التويجري (١ / ٤٠١).

١٠٧ ١٠٨

أن لا يُقسم الميراث - أن لا يفرح الناس بغنيمة

وهاتان العلامتان تقعان آخر الزمان لما يكثر القتل والقتال، وتشتدّ الحروب مع النصارى.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة. ثم قال بيده هكذا - ونحاها نحو الشام».

وقد تقدم توضيح ذلك في العلامة السابقة.

١٠٩

عودة الناس إلى الأسلحة والمركوبات القديمة



وقد تقدم ذلك في العلامة قَبْل السابقة، قال ﷺ: «فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك! فجاءهم الصريخ: أن الدجال قد خلفهم في ذراريكم، فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال ﷺ: إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ - أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ»[1].

(١) رواه مسلم.

١١٠ ١١١

عمران بيت المقدس - وخراب المدينة وخلوها من السكان والزائرين

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عمران بيت المقدس: خراب يثرب، وخراب يثرب: خروج الملحمة، وخروج الملحمة: فتح قسطنطينية، وفتح القسطنطينية: خروج الدجال» ثم ضرب معاذ بن جبل بيده على فخذ الذي حدثه -أو منكبه- ثم قال: إن هذا لحق، كما أنك قاعد هاهنا"[١].

ومعنى خراب يثرب وهي المدينة النبوية، فراغها من السكان والزائرين.

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال: «الملحمة الكبرى، وفتح القسطنطينة، وخروج الدجال: في سبعة أشهر»[٢].



المسجد النبوي



بيت المقدس

وهذه الأحداث التي ذكرها النبي ﷺ في هذا الحديث، مرتب وقوع بعضها على بعض، فعمران بيت المقدس يعني عمران القدس وتوسّعها بكثرة مبانيها،

(١) رواه أبو داود وهو حديث حسن، وقد تقدم.

(٢) رواه الترمذي بسند ضعيف.

وإقبال الناس على سكناها، يتبعه خراب يثرب وهي المدينة النبوية ورغبة الناس عن سكناها، وتوقف التوسع في مبانيها، وهذا واقع اليوم في المدينة النبوية فالناس ينقصون فيها ولا يزيدون، والكثير ينتقلون منها إلى غيرها من المدن.

وفي الحديث قال: «لتُتْركن المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيغذي (أي يبول) على بعض سواري المسجد أو على المنبر». فقالوا: يا رسول الله فلمن تكون الثمار ذلك الزمان؟ قال: «لِلْعوافي: الطير والسباع[1]»[2].

ويحتمل عمارة بيت المقدس نزول الخلافة فيه آخر الزمان، كما جاء في حديث عبد الله بن حوالة الأزدي قال: بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم على أقدامنا فرجعنا فلم نغنم شيئًا وعرف الجهد في وجوهنا فقام فينا فقال: «اللهم لا تكلهم إليّ فأضعف عنهم ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم». ثم وضع يده على رأسي -أو قال: على هامتي- ثم قال: «يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك»[3].

وقوله في الحديث «وخراب يثرب خروج الملحمة» الملحمة هي المعركة الكبيرة بين المسلمين والروم النصارى التي يكثر فيها القتل، وسميت بالملحمة لعِظَم القتل فيها، وبعد الملحمة فتح القسطنطينية، وهي استانبول إحدى كبرى مدن تركيا اليوم، ثم يلي ذلك خروج الدجال.

(١) رواه مالك في الموطأ بهذا اللفظ، والحديث في الصحيحين دون ذكر الكلب أو الذئب، وذكر الكلب منكر.

(٢) سيأتي تفصيله في العلامة رقم (١١١).

(٣) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

١١٢
نفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد

وهـذه العلامة من علامات السـاعة مكملة لما قبلها مـن الخبر عن خراب المدينة وخلوّها من السكان.

والمدينة عمـرت وازدهرت، بعدمـا هاجر إليهـا النبي ﷺ، ومرت السـنين والناس يتزايدون سـكنى فيهـا، وإعمارا لها، وأخبر النـبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يرغب الناس عن سكنى المدينة.



المدينة المنورة

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلمَّ إلى الرخاء هلمَّ إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرًا منه. ألا إن المدينة كالكير تُخْرج الخبيث. لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد»[١].

وروي عن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- أنه خرج من المدينة فالتفت إلى مزاحم مولاه فقال: «يا مزاحم أتخشى أن نكون ممن نَفَتْه المدينة؟».

ولا يعني أن من سكن المدينة ثمّ انتقل عنها وفارقها أنه من شرار الناس وخَبَثهم، كلا، فقد انتقل عن المدينة صحابة أخيار، وتحوّلوا منها إلى غيرها من أجل الجهاد والدعوة.

و عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي»[٢].

المعنى: أن الناس يتركون المدينة ويخرجون منها مع إمكان العيش فيها، فثمارها حسنة، وعيشها طيب، ولكن يقع من الفتنة والشدة ما يجعل الناس يفارقونها، وينتقلون إلى غيرها شيئًا فشيئًا، حتى لا يبقى فيها أحد من الناس، بل تصبح بيوتا وطرقا ومساجد خاوية، وتطوف في مساجدها وتعدي فيها أي تبول، لا يمنعها من ذلك مانع لخلوّ المكان من الناس.

(العوافي) هي: الطير والسباع

(١) رواه مسلم

(٢) متفق عليه.

١١٣

زوال الجبال من أماكنها

خلق الله عَزَّوَجَلَّ الجبال ثابتة وهي رواسي للأرض، وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة زوال الجبال من أماكنها، فإما أن يكون هذا زوالًا حقيقيًا بخسف أو صواعق، أو زوالًا بفعل الناس، من كثرة البناء، وتسوية الجبال، كما يقع ذلك اليوم في عدد من البلدان بالأرض.



صورة من صور التسوية بفعل الإنسان

أو يكون بتهدُّم الجبال، وكثرة الانهيارات الصخرية، كما وقع ذلك مرارًا





أمثلة على الانهيارات الجبلية الطبيعية

وعن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها وترون الأمور العظام التي لم تكونوا ترونها»[1].

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣٠٦١).

١١٤

خروج رجل من قحطان يُطِيعه الناس



توزيع قبائل الجزيرة العربية حاليا

من علامات الساعة في آخر الزمان خروج رجل من قحطان وهي قبيلة عربية معروفة تدين له الناس بالطاعة وتجتمع عليه الكلمة وذلك عند تغير الزمان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»[1].

والمراد بقوله «يسوق الناس بعصاه»: كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه وليس المقصود استعماله للعصا، وإنما ضرب بها مثلًا لطاعتهم له واستيلائه عليهم إلا أن في ذكرها دليلًا على خشونته عليهم وعنفه بهم.

والذي يظهر أن هذا الرجل صالح لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال فيه «ورجل من قحطان كلهم صالح»[2].

وكونه من قحطان أي من الأحرار فهو غير الرجل الذي سيظهر أيضا واسمه جهجاه، لأن جهجاه من الموالي.

(١) متفق عليه

(٢) رواه أبو نعيم في الفتن، وقال الحافظ في الفتح (١٠ / ٣٠١) " إسناده جيد ".

١١٥

خروج رجل يقال له الجهجاه

يخرج في آخر الزمان رجال يكون لهم صولة وجولة بين الناس، ذكر النبي ﷺ بعضهم باسمه أو بوصفه من هؤلاء رجل يقال له الجهجاه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولُ الله ﷺ قال: «لا تذهبُ الليالي والأيام حتى يملكَ رجل من الموالي، يقال له: الجهجاه» وفي نسخة: الجّهجَلُ"[(١)].

قال الحافظ في الفتح: وأصل الجهجاه الصياح

١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩

تَكلُّم السباع والجمادات
- تَكلُّم طرف السَوط - تَكلُّم شراك النعل
- إخبار فخذ الرجل بأخبار أهله

أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن تتكلم السّباع والوحوش، ويتكلم طرف السوط وشراك النعل، وفخذ الرجل!!

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة: حتى تُكلّم السباعُ الإنسَ، وحتى: تكلمَ الرجلَ عذبةُ سوطه، وشراكُ نعله، وتخبره فخذُه بما أحدث أهلُه بعده»[(٢)].

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وقال حسن غريب وصححه ابن حبان والحاكم.

«حتى تكلم السباع»: أي سباع الوحش كالأسد والذئب وكل حيوان مفترس.

«الإنس»: الإنسان عمومًا سواء كان مؤمنًا أو كافرًا.



«عذبة سوطه»: أي طرف سوطه، والسوط: هو الذي يُجْلَد به.

«شراك نعله»: أحد سيور النعل التي يربط بها الحذاء

فالعلامتان - أن يكلم الرجل عذبة سوطه وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده - هما علامتان لما تحدثا بعد والله أعلم لكنه كائن وسيحدث ما دام أن المخبر رسول الله ﷺ عن ربه جل وعلا.

وقد ذكر بعض الباحثين أن المقصود بتكلم طرف السوط وشراك النعل والفخذ ما اخترع في عصرنا من وسائل اتصال حديثة، من هواتف متنقلة، ورسائل تنصت، تنقل أدق الأصوات وأخفضها.

وقيل إن ذلك على ظاهره، وأنها علامات على ظاهرها بأن يتكلم السوط وشراك النعل والفخذ، كلامًا حقيقيًا... والله أعلم.

أما عن كلام السباع فقد حَدَث زمن النبي ﷺ:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «بينا أعرابي في بعض نواحي المدينة في غنم له عَدَا عليه الذئب فأخذ شاة من غنمه فأدركه الأعرابي فاستنقذها منه وهجهجه فعانده الذئب يمشي، ثم أقعى مستذفرًا بذنبه يخاطبه، فقال الذئب: أخذتَ رزقًا رزقنيه الله؟ قال الراعي: واعجبًا من ذئب مستذفر بذنبه يخاطبني! فقال الذئب: والله إنك لتترك أعجب من ذلك! قال الراعي: وما



أعجب من ذلك؟ قال الذئب: رسول الله ﷺ في النخلتين بين الحرتين يحدث الناس عن أنباء ما قد سبق وما يكون بعد ذلك. فنعق الأعرابي بغنمه حتى الجأها إلى بعض المدينة ثم مشى إلى النبي ﷺ حتى ضرب عليه بابه، فلما صلى النبي ﷺ قال: «أين الأعرابي صاحب الغنم»؟ فقام الأعرابي، فقال له النبي ﷺ: «حدث الناس بما سمعت وبما رأيت»! فحدث الأعرابي الناس بما رأى من الذئب وما سمع منه! فقال النبي ﷺ عند ذلك: «صدق، آيات تكون قبل الساعة، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده»[(١)]».

وكذلك كلام البقر قد وقع:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة، فقالت: إني لم أُخلق لهذا، ولكني خُلقت للحرث! فقال الناس: سبحان الله! تعجبًا وفزعًا أبقرة تكلم؟ فقال رسول الله ﷺ: فإني أؤمن به، وأبو بكر وعمر»[(٢)].

وكلام السباع والوحش الوارد في الحديث هو كلام حقيقي على ظاهره، والله تعالى أعلم، وهو عز وجل القائل ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[(٣)].

(١) رواه أحمد قال ابن كثير في البداية والنهاية (٦ / ١٥٩): وهذا على شرط أهل السنن ولم يخرجوه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) فاطر: ١

١٢٠ ١٢١

لا تقوم الساعة حتى يُدْرَس[1] الإسلام - رفع القرآن من المصاحف والصدور

من علامات قرب قيام الساعة أن يندرس الإسلام وتنمحي تعاليمه ومظاهره بسبب الفتن والمعاصي والجهل فلا يبقى في الناس صيام ولا صلاة ويرفع القرآن من صدور الناس فلا يبقى في الأرض منه آية ويشيع الجهل في الناس حتى يقول الشيخ الكبير والعجوز: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله، فنحن نقولها.

عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُدْرَس الإسلام كما يُدْرَس وَشيُ الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة. ويُسْرى على كتاب الله في ليلة فلا يَبْقى في الأرض منه آية وتَبْقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آبائنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها».

ولما حدّث حذيفة رضي الله عنه، بهذا الحديث، تعجب الناس حوله: فقال صلة بن زفر الراوي عنه: يا حذيفة فما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صيام ولا صدقة ولا نسك؟!!، فأعرض عنه حذيفة، فرددها عليه ثلاثًا. كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة تنجيهم من النار"[2].

«يُدْرَس»: أي يزول ويمّحي فلا يبقى منه شيء، والمعنى تزول من بين الناس شعائره الظاهرة

(١) معناه يمّحي ويزول، وقد تُلفظ يَدْرُس، بفتح الياء وضمّها.

(٢) رواه ابن ماجة في السنن وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.ا.هـ وصححه الحاكم على شرط مسلم.

«وَشيُ الثوب»: أي النقش والزخارف التي تُرسم على الثوب ن فتزول مع كثرة الاستعمال والغسل.

«يُسرى على القرآن»: أي يرفع القرآن من الصدور والمصاحف، لمّا يهمله الناس ولا يتلونه، ولا يتعبدون به.

وهذه العلامة لم تظهر بعد فالدين الإسلامي في مد وانتشار والحمد لله.



نموذج لأقمشة قديمة فيها وَشْيٌ وتخطيط يزول مع كثرة الاستعمال



١٢٢
جيش يغزو البيت يُخْسف بأوله وآخره



أخبر النبي ﷺ أن جيشا سيغزو البيت الحرام يطلب رجلًا من قريش للوقيعة به وهو المهدي فيخسف الله عز وجل بجميع الجيش بأوله وآخره، والجيش من أمة النبي ﷺ ويبعثون على نياتهم.

فعن عبيد الله ابن القبطية قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة، وعبد الله بن صفوان وأنا معهما على أم سلمة، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به؟ - وذلك في أيام عبد الله بن الزبير لمّا كان في حربه مع الحجاج بن يوسف، وكان ابن الزبير متحصنًا بالبيت الحرام بمكة. فقالت: قال رسول الله ﷺ: «يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم». فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهًا؟ قال: «يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته»[(١)].

وفي رواية: أن النبي ﷺ ذكر الجيش الذي يخسف بهم، فقالت أم سلمة: لعل فيهم المكره؟ قال: «إنهم يبعثون على نياتهم»[(٢)].

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الترمذي.

أما بعثهم على نياتهم فلأن فيهم المكره ومنهم المتابع ومنهم صاحب السوق وسبب إهلاك الجميع لشؤم صحبة الأشرار لأن البلاء يعم بحكم المصاحبة ويحاسب كل واحد منهم يوم القيامة بحسب قصده ونيته.

وفي الحديث تحذير من صحبة الأشرار ومرافقتهم، فإنه يدل على أن من كثّر سواد قوم في المعصية مختارا أن العقوبة تلزمه معهم.

والحديث يدلّ على أن الله يخسف بهم قبل أن يصلوا إلى الكعبة.

ومن سياق الروايات يُفْهم أن هذا الجيش الذي يغزو البيت لعائذ بالبيت هو المهدي محمد بن عبد الله فيحميه الله ﷻ ويخسف بهذا الجيش كرامة له.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «عَبِث رسول الله ﷺ في منامه. فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئًا في منامك، لم تكن تفعله؟ فقال: «العجب أن ناسًا من أمتي يؤُمُّون هذا البيت لرجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم»، فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق قد تجمع الناس. فقال: «نعم، فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل، يهلكون مهلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله عز وجل على نياتهم»[(١)].

وفي رواية قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم». قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم، ويبعثون على نياتهم»[(٢)].

وسيأتي تفصيل الكلام عن المهدي والأحداث الواقعة معه[(٣)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) انظر العلامة رقم (١٣١) من العلامات الصغرى.

١٢٣

ترك الحج لبيت الله الحرام

من أحداث آخر الزمان ما يقع من فتن، وصدٍ عن الدين، فيأتي على الكعبة زمان يتعطل عنها الحج والعمرة

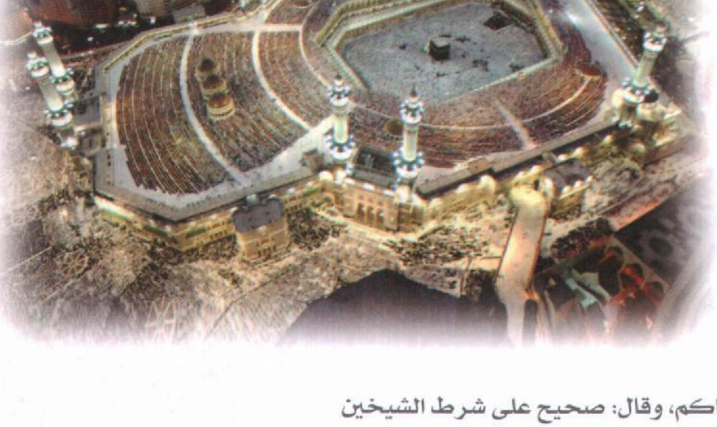
فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجّ البيت»[١].

ولكن هذه العلامة ستتأخر جدًا، لأنه بعد يأجوج ومأجوك يستمرّ الحج.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسولُ الله ﷺ قال: «لَيحَجَّنَّ هذا البيتُ، ولَيُعْتَمَرَنَّ بعدَ خروج يأجوجَ ومأجوجَ»[٢].

وقد يكون المراد بـ «لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجّ البيت» أن الحج ينقطع عن البيت الحرام مُدَّة لحروب أو غيرها، ثم يعود الحج مرة أخرى.

أو أن المعنى: أن يمنع أقوام من الحج إلى البيت الحرام، والله أعلم.

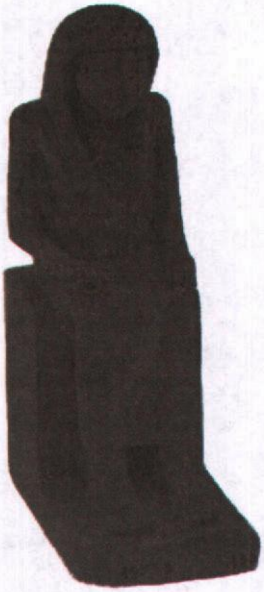


(١) رواه أبو يعلى، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين

(٢) رواه البخاري.

١٢٤

عودة بعض قبائل العرب لعبادة الأصنام



كانت جزيرة العرب في شرك وعبادة أصنام، فمكّن الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ وأيده بجنده، حتى حطم الأصنام، ووحّد الملك العلاّم جل جلاله.

لكن مع اقتراب الساعة، وابتعاد الناس عن الدين وزهدهم في العلم، يعود فريق منهم إلى عبادة الأصنام، وهذا من علامات الساعة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولُ الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطربَ ألياتُ نساءِ دَوْس على ذي الخلصَةِ»[1].

«ذو الخلَصة»: صنم كانت تعبده قبيلة دَوس التي في الجاهلية.

«أليات»: هو جمع (ألية) وهو العجز (الدّبر).



والمراد يضطربن من الطواف حول صنم ذي الخلصة، أي يكفرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام وتعظيمها.

ومساكن قبيلة دوس في الأصل في جنوب غرب الجزيرة العربية.

(١) رواه البخاري ومسلم.

١٢٥
فناء قبيلة قريش

قبيلة قريش من القبائل العربية، وهم بني فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقريش لقب غلب على بنيه أخذًا من التقارش، وهو التجارة. لأنهم كانوا تجارًا.



توزيع قبائل الجزيرة العربية قبل الإسلام

وقريش عدة بطون، وهم: بنو الحارث بن فهر، وبنو جذيمة، وبنو عائذة، ، وبنو لؤي بن غالب، وبنو عامر بن لؤي، وبنو عدي بن كعب بن لؤي، ، وبنو مخزوم، وبنو تميم بن مرة، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو عبد الدار، وبنو نوفل، وبنو عبد المطلب، وبنو أمية، وبنو هاشم، وغيرهم



توزيع قبائل الجزيرة العربية حاليًا

ثم تفرق قريش هؤلاء بعد الإسلام أفخاذًا كثيرة: كالبكريين، والعمريين، والعثمانيين، والعلويين، وغيرهم.

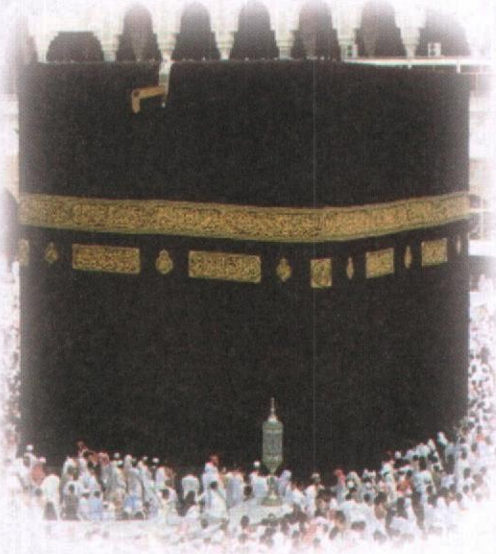
وأصل مسكنهم الجزيرة العربية وقد تفرقت وملأت الأقطار وانتشرت في البلدان.

وقد أخبر النبي ﷺ أنهم يتناقصون حتى تفنى القبيلة أو تكاد.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أسرعُ قبائل الناس فناء قريش يوشك أن تمر المرأة بالنعل فتقول هذا نعل قرشي»[١].

ويشهد لهذا قوله ﷺ: «يا عائشة قومك أسرع أمتي بي لحاقًا» وقد تقدم[٢].

١٢٦
هدم الكعبة على يدي رجل من الحبشة



ومن علامات الساعة هدم قبلة المسلمين الكعبة المشرفة يهدمها في آخر الزمان رجل أسود من الحبشة يسمى ذو السويقتين لصغر ساقيه ورقتهما، وسوف يهدمها حجرًا حجرًا ويجردها من كسوتها ويسلبها حليها.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا

(١) رواه أحمد وأبو يعلى وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجال أحمد وأبى يعلى رجال الصحيح، وصححه أحمد شاكر والألباني.

(٢) علامة رقم (٨٢) من العلامات الصغرى.



الحبشة (إثيوبيا)

يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة»[١].

وفي رواية: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»[٢].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كأني به أسود أفحج، يقلعها حجرًا حجرًا - يعني الكعبة»[٣].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حُلِيّها، ويجردها من كسوتها ولكأني أنظر إليه أُصَيْلع أُفَيْدع يضرب عليها بمساحيه ومِعْوله»[٤].



«أُصَيْلع»: تصغير أصلع أي لا شعر له.

«أُفَيْدع»: أي اعوجاج في المفاصل، كأنها قد زالت عن مواضعها.

«بمِسْحاته» أي مجرفته، والمجرفة آله من حديد تستخدم في الحرث.

«المِعْوَل» آله من حديد ينقر بها الصخر.

(١) رواه أبو داود، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (٧٧٢)
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه البخاري
(٤) رواه أحمد، وقال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي.

إشكال

وقد يقـال كيف يهدمها وقـد جعل الله مكة حرمًـا آمنًا؟ والله عَزَّوَجَلَّ يقـول: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ﴾ [العنكبـوت:٦٧]. ويقول: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ [القصـص:٥٧]. ويقـول: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحج:٢٥]. وقد حماه الله عَزَّوَجَلَّ من أصحاب الفيل وهم حينئذٍ كفار مشـركون فكيف يسـلط عليه هذا الرجل وهو قبلة المسلمين؟

الجواب:

- **أولًا:** أن البيـت الحرام يبقى حرمًا آمنًا إلى قرب قيام السـاعة، وليس إلى قيام السـاعة وخراب الدنيا، وليس في الآية اسـتمرار بقاء الأمن إلى قيام الساعة، لأن الآية تصف حال البيت الحرام في ذلك الزمان أنه آمن.

- **ثانيًا:** أن النبي ﷺ أشار أنه سيستحلّ هذا البيتَ أهلُه.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «يُبايَع لرجل ما بين الركن والمقام[1]، ولن يسـتحل البيتَ إلا أهلُه فإذا اسـتحلوه فلا يسـأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خرابًا لا يُعْمر بعده أبدًا، وهم الذين يستخرجون كنزه»[2].

وفي زمـن أصحاب الفيل كان أهل مكة كفـارًا إلا أنهم كانوا معظمين للبيت غير مستحلين له فمنعه الله عَزَّوَجَلَّ من أبرهة وقومه.

وأما ذو السويقتين الحبشي فلن يهدمه إلا بعد استحلال أهله له وجرأتهم عليه، وعدم عنايتهم به، فإذا أهملوا العناية بالبيت والاهتمام به ترك الله نصرتهم.

(١) المقصود به المهدي، وسيأتي تفصيله في العلامة رقم (١٣١) من العلامات الصغرى.

(٢) رواه أحمد بسند صحيح.

١٢٧

بعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين

بعد تتابع أشـراط السـاعة، وظهور العلامات الكـبرى كالدجال، ونزول عيسـى بن مريـم عليه السلام، وغيرها، يقترب قيام السـاعة، فيبعـث الله عز وجل ريحًا طيّبـة، تقبض أرواح المؤمنين، صيانةً لهم عن الفزع والخوف الذي يكون عند قيام الساعة، فالساعة لا تقوم إلا على شرار الناس.

عـن النـواس بن سمعان رضي الله عنه قـال: ذَكَر رسـولُ الله صلى الله عليه وسلم الدجـال... وذكر الحديث حتى قال: «فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر[١] فعليهم تقوم الساعة»[٢].

وعـن عبد الله بـن عمرو رضي الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يخـرج الدجال... ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقـال ذرة من خـير أو إيمان إلا قبضته حتى لـو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه»[٣].

وهذه الريح تكون بعد موت عيسى ابن مريم عليه السلام وخروج الدجال.

---

(١) أي ينكح الرجال النساء بحضرة الناس كما تفعل الحمير، ولا يبالون أو يستحون من ذلك.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

١٢٨
ارتفاع مباني مكة

كانت مكة في عهد النبي ﷺ قليلة في عدد سكانها، ومبانيها، فأخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة ارتفاع المباني فوق جبالها، فقد أخرج ابن شيبة بسنده إلى يعلى بن عطاء عن أبيه قال: كنت آخذ بلجام دابة عبد الله بن عمرو فقال: «كيف أنتم إذا هدمتم البيت فلم تدعوا حجرًا على حجر؟ قالوا: ونحن على الإسلام؟! قال: وأنتم على الإسلام، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم يُبنى أحسن ما كان، فإذا رأيت مكة قد بعجت كظائم، ورأيت البناء يعلو رؤوس الجبال، فاعلم أن الأمر قد أظلّك»[١].

قوله «بعجت كظائم» أي حفرت قنوات[٢]، وهي الأنفاق الأرضية تحت جبال مكة وتحت أرضها، والأنابيب الضخمة لمياه زمزم.



(١) أخرجه ابن أبي شيبة، والأرزقي في أخبار مكة، وله عدة طرق، وهو خبر جيد.
(٢) ذكره ابن الأثير وابن منظور وغيرهما من أهل اللغة.

١٢٩

لعن آخر الأمة أولها

في آخر الزمان تكثر البدع، ويتنكّر المتأخرون للأولين وينسى الفضل البعض فضل الصحابة الكرام، وجلالة قدرهم، ويغفل أو يتغافل عن ثناء الله عز وجل عليهم، ومدحه لهم، فيلعن بعض المتأخرين من سبق من هذه الأمة، كما قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يلعن آخر الأمة أولها».

و«الأمة»: أمة محمد ﷺ، فيما يظهر، والله أعلم.

١٣٠

الرواحل الجديدة.. السيارات



تفصيلات آخر الزمان، وعدد من مخترعاته، جاء بها عدد من الأحاديث، أو بما يُفهم منه الإشارة إليه، فأخبرنا ﷺ بكثرة الأسواق، وتقارب الزمان،.. ومن ذلك ما فهم منه بعض العلماء أنه إشارة إلى السيارات المعروفة في زماننا، كما أشار إلى ذلك الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة، وغيره.

روى ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «يكون في آخر أمتي رجال يركبون على سرج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات..».

قوله: «كأشباه الرحال»: جمع رحل، وفيه إشارة إلى أنها مركوبات جديدة لم يرها النبي ﷺ ويظهر أنها السيارات، والله أعلم.

١٣١

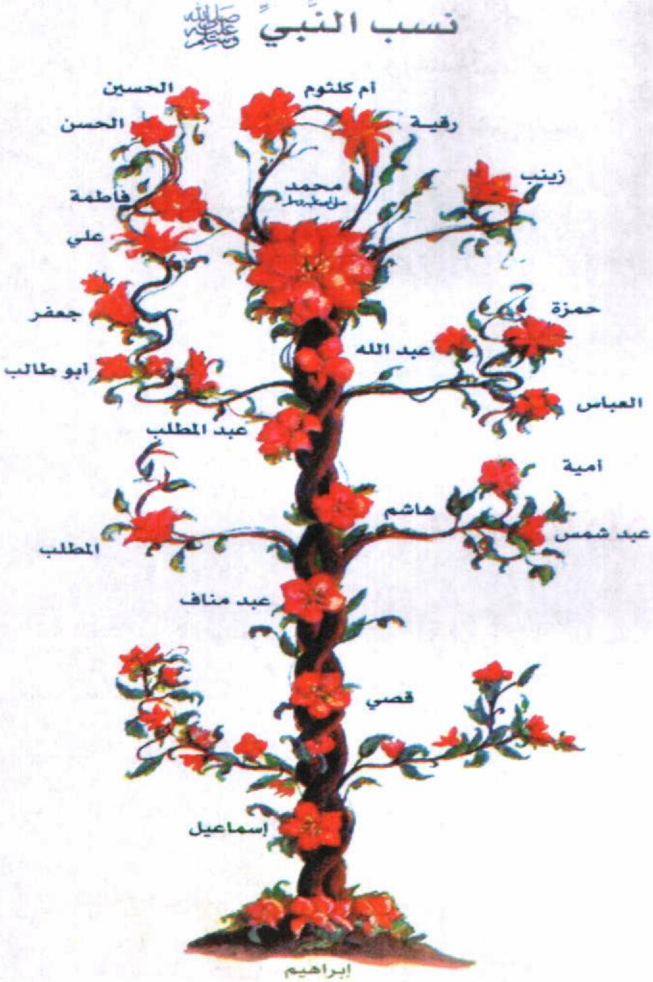
ظهور المهدي

مع كثرة الفساد في آخر الزمان، وانتشار الظلم، وأكل القويّ لحقوق الضعيف، وتمكّن أهل الشرّ وعلوّهم، يترقب المؤمنون فجرًا جديدًا، يزيل عنهم الظلام الذي ملأ الأرض، فيأذن الله عز وجل في ظهور محمد بن عبد الله الحسني العلوي.. المهدي..

- فمن هو المهدي؟
- وما سبب ظهوره؟
- ومن أين يظهر؟
- وهل هو موجود الآن؟
- وماذا يفعل؟
- ومن أتباعه؟

و... أسئلة كثيرة تقفز إلى الذهن بمجرّد سماع كلمة المهدي، سنجيب عليها بإيضاح، وإيجاز خلال الصفحات التالية.

اسمه ونسبه



هو محمد بن عبد الله الحسني العلوي، من أهل بيت النبي من ذرية فاطمة من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهم جميعاً.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَو لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أَو مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْم أَبِي»[1]

سبب ظهوره

سيظهر في آخر الزمان رجل صالح، وذلك بعد فشو الفساد وكثرة المنكرات واستفحال الظلم وقلة العدل وهو رجلٌ يُصلح الله على يديه أحوال هذه الأمة، وهذا الرجل يعرف عند أهل السنة بالمهدي، يجتمع له أتباع، ويقود المؤمنين في عدد من المعارك، ويكون قائداً حاكماً.

(١) رواه الترمذي وأبوداود وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في " منهاج السنة " (٤ / ٢١١)

صفته

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن صلى الله عليه وسلم قال: «المهدي مني»: أي من نسلي.. هذا نسبه، ثم ذكر صفاته الخلقيّة فقال: «أَجْلَى الجبهة، أَقْنَى الأنف، يملأ الأرض قِسطًا وعَدلاً، كما ملئت ظلمًا وجورًا، ويملك سبع سنين»[(١)].

«أَجْلَى الجبهة»: أي منحسر الشعر من مقدمة رأسه، أو واسع الجبهة.

«أَقْنَى الأنف»: أي طويل الأنف مع دقة أرنبته وحدب في وسط الأنف، ليس أفطس الأنف.

وسيأتي الكلام عن مدة حكمه.

ومن صفته:

اسمه: كَاسْم النبي صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه كاسم أب النبي صلى الله عليه وسلم، فهو محمد بن عبد الله، من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم (من نسل الحسن بن علي - رضي الله عنهما -).

والحكمة من كونه من نسل الحسن:

أن الحسن تولى الخلافة بعد استشهاد أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فصار للمسلمين أميران:

- الحسن رضي الله عنه في العراق والحجاز وغيرها.
- ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في الشام وما حولها.

وبعدما حكم الحسن ستة أشهر تنازل عن الخلافة لمعاوية من غير عوض دنيوي، إنما لوجه الله تعالى، لجمع كلمة المسلمين على حاكم واحد، وحقن الدماء فكافأه الله بذلك، ومن ترك شيئاً لله أعطاه الله أو أعطى ذريته أكثر منه "[(٢)].

(١) رواه أبو داود (برقم ٢٤٨٥) وإسناده حسن.

(٢) المنار المنيف لابن القيم (ص ١٥١).

مدة حكمه

يحكم المسلمين سبع سنين.

يملأ الأرض خلالها عدلًا كما ملئت قَبله جَورًا وظلمًا.

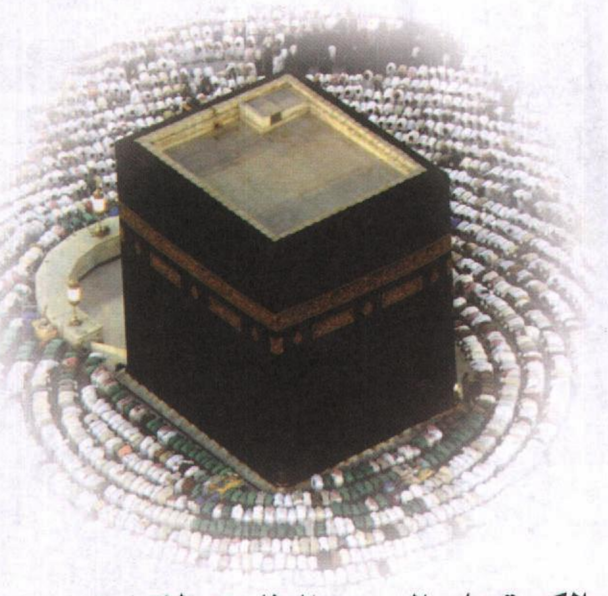
تنعـم الأمة في عهـده نعمة عظيمة. تُخرج الأرض نباتها وتُمطر السـماء قَطْرها ويُعطي المال بغير عدد، وسيأتي سياق الأحـاديث في ذلك.



من أين يخرج؟

يخـرج المهدي محمد بن عبد الله الحسـني العلوي من قِبَل المشـرق، وعند خروجـه لا يكون لوحده، بل يؤيده الله بأناس من أهل المشـرق يحملون معه الدين ويجاهدون في سبيله كما ورد بذلك الحديث.

وقت خروجه



في آخر الزمان عند اضطراب أمر الناس يقتتل ثلاثة من أولاد الخلفاء على كنز الكعبة كلهم يريد الاستيلاء عليه مع ذلك لا يحصل عليه أي واحد منهم.

عندها يخرج المهدي في مكة ويشتهر أمره في الناس فيُبَايَعُ عند الكعبة على السمع والطاعة والاتباع له..

عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم.. ثم تَطلُع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يُقتَله قوم» قال ثوبان: ثم ذكر شيئاً لا أحفظه - فقال: «فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج». رواه ابن ماجه[1].

شرح الحديث:

«كلهم ابن خليفة»: أي ثلاثة رجال، كل واحد له أتباع، وكل من هؤلاء الرجال كان أبوه مَلِكًا، فهو يطلب مُلْكًا كمُلْك أبيه.

«كنزكم»: قيل كنز الكعبة: وهو ذهب وكنوز يُذْكر أنها تحتها. وقيل: المُلْك أي الحكم والخلافة. وقيل كنز الفرات: وهو الجبل من ذهب الذي يحسر عنه الفرات[2].

---

(١) قال ابن كثير في (النهاية ص٢٦): تفرد به ابن ماجة وهذا إسناد قوي صحيح اهـ وقال البوصيري في (زوائده ١٤٤٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم في (المستدرك ٤\٤٦٣\٨٨٠٤) وقال صحيح على شرط الشيخين. وضعّف الحديث آخرون كأحمد والذهبي في الميزان وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع.

(٢) وقد تقدم في العلامة رقم (٩٦) من العلامات الصغرى.

؟! مسألة

كيف نجمع بين خروجه في مكة ومجيء الرايات السود من المشرق خراسان؟...

ولماذا الراية التي يحملها المهدي سوداء اللون؟...

قال ابن كثير: «ويؤيّد بناس من أهل المشرق ينصرونه ويُقيمون سلطانَه ويشيدون أركانَه وتكون راياتهم سودًا أيضًا، وهو زيّ عليه الوقار لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها: العُقاب»[(١)].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ﷺ قال: «يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث[(٢)] وتُخرج الأرض نباتها، ويُعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً»[(٣)].



(١) النهاية، ص٢٧.

(٢) أي المطر النافع.

(٣) رواه الحاكم بسند صحيح.

وفي رواية: «ثم لا خير في الحياة بعده»[(١)].

قوله «يعطي المال صحاحا»: أي تسوية بين الناس.

هذا ويدل على أنه بعد موت المهدي يظهر الشر والفتن العظيمة مرة أخرى.

قال الإمام ابن باز: «أمر المهدي معلوم والأحاديث فيه مستفيضة بل متواترة متعاضدة وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها، وتواترها تواتر معنوي لكثرة طرقها واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق، وهو محمد بن عبدالله العلوي الحسني من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهم وهذا الإمام من رحمة الله عز وجل بالأمة في آخر الزمان يخرج فيقيم العدل والحق ويمنع الظلم والجور وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلاً وهدايةً وتوفيقاً وإرشاداً للناس»[(٢)].

الأحاديث الواردة في المهدي

جاءت الأحاديث الصحيحة الدالة على ظهور المهدي، وهذه الأحاديث على نوعين:

- منها ما جاء فيه النص على المهدي.
- ومنها ما جاء فيه ذكر صفته فقط.

(١) عند أحمد في المسند وسنده ضعيف.

(٢) نقلا من كتاب: الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي لفضيلة الشيخ عبد المحسن البدر - حفظه الله - ص: (١٥٧ - ١٥٩).

وسأذكر هنا بعض هذه الأحاديث، وهي كافية في إثبات ظهوره في آخر الزمان علامة من علامات الساعة.

عدد الأحاديث الواردة في المهدي: خمسون حديثاً منها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر.

عدد الآثار: ثمانية وعشرون أثراً.

وذكر السفاريني[١] وصديق حسن خان[٢] والحافظ الآبري[٣] أن أحاديث المهدي بلغت حد التواتر.

١ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يخرج في آخر أمتي المهدي؛ يسقيه الله الغيث، تخرج الأرض نباتها ويعطى المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعاً أو ثمانياً»، يعني سبع سنين أو ثمان "[٤].

٢ وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أبشركم بالمهدي؛ يُبعث على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلِئت جورًا وظلمًا، يرضى عنه سكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحًا».

فقال له رجلاً: ما صحاحاً؟. قال: «بالسوية بين الناس».

قال: ويملأ الله قلوب أمة محمد عدله. حتى يأمر منادياً فينادي فيقول: من له في مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل فيقول: ائت السدّان - يعني الخازن - فقل له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احثُ، حتى إذا حجزه وأبرزه؛ ندم. فيقول: كنت أجشع أمة محمد

(١) لوامع الأنوار البهية: (٢ / ٨٤)
(٢) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة: ١١٢ - ١١٣.
(٣) نقله عنه ابن القيم في المنار المنيف (١٤٢) وأقره.
(٤) مستدرك الحاكم (٤/٥٥٧-٥٥٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

نفسًا أو عَجِز عني ما وسعهم؟! قال: فيرده فلا يقبل منه. فيقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه. فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين. ثم لا خير في العيش بعده. -أو قال: ثم لا خير في الحياة بعده-»[١]

«أُحثُ»: أي خذ بيديك من غير عدّ عليك ولا إحصاء.

«حجزه وأبرزه»: أي جمع مالاً، وحدّده بين يديه ليجمعه في ثوب أو نحو ويأخذه.

٣ عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المهدي منا أهل البيت، يُصلحه الله في ليلة»[٢].



«يُصلحه الله في ليلة»: لعل المراد بذلك: أن الله يصلحه للخلافة أي يهيئه لها، ويوفقه ويلهمه ويرشده، ويعطيه من صفات القيادة والحكمة ما لم يكن عنده من قبل.

وقيل: «يُصلحه الله في ليلة»: أي يصلح أمره ويرفع قدره في ليلة واحدة، أو في ساعة واحدة من الليل، حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها[٣] ا.هـ

(١) المسند (٣/٣٧) ورجاله ثقات، وأنظر مجمع الزوائد (٧/٣١٣-٣١٤).
(٢) المسند (٢/٥٨) بسند صحيح.
(٣) قاله مُلا علي القاري في المرقاة (٥/١٨٠).

وهـذا يعـني أن المهـدي محمد بن عبـد الله لن يعرف نفسـه أنـه المهدي المقصـود بالأحاديث حتى يبايعه الناس ويجتمعـون عليه، وليس بطالب للخلافة ولا ظان لأهليته لها، ولذلك يبايعه الناس وهو كاره.

وليـس معنى «يُصلحـه الله في ليلة» أنه كان ضالاً عاصيـاً، فيهديه الله في ليلة، ويصبح يقود الناس، كلا، لأن المهدي يقود الناس بعلم شـرعي مؤصّـل، فهو يحكم بينهـم ويفتيهم، ويفصل خصوماتهـم، ويقودهم في القتـال.. وهذا العلم لا يجتمـع في ليلة إلا يكون وحيـاً، والوحي للأنبياء فقط، وهو ليس نبياً.

وبالتالي يكون معنـى «يُصلحه الله في ليلة»: أي يجعله يقتنع أنه المهدي المقصود بالأحاديث، ويؤتيه من صفات القيادة ما يؤتيه.

٤ عن أم سـلمة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «المهدي من عُترتي، من ولد فاطمة»[١].

«من عُترتي»: أي من آل بيتي وذريتي.

«من ولد فاطمة»: أي من نسل فاطمة رضي الله عنها.

٥ عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صَلِّ بنا. فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض؛ تكرمة الله هذه الأمة»[٢].

وهذا الحديث يعني أن الدجال يخرج زمن المهدي ثمّ ينزل عيسـى عليه السلام لقتـل الدجـال، والمهـدي لا يزال قائـد المؤمنـين، فيصلي عيسـى وبقية المؤمنين وراء المهدي.

(١) سنن أبي داود (١١/٣٧٣) بسند صحيح....

(٢) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بإسناد جيد، كما قال ابن القيم في المنار المنيف (ص ١٤٧-١٤٨) وله شواهد من الصحيح.

٦ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه»[١].

والمقصود هنا: أن المهدي يصلي بالناس إماماً، ويكون من ضمن المأمومين عيسى بن مريم عليه السلام.

٧ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «لَو لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أَومِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي»[٢].

فيكون اسمه: محمد بن عبد الله، وفيه رد على الشيعة الذين يقولون: إنه محمد بن الحسن العسكري.

ومعنى «يَبْعث»: أي يُظْهِر.

زاد في حديث فطر (أحد رواة الحديث): (لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلًا من أهل بيتى يملؤها عدلًا كما مُلئت جورًا».

وفي رواية: «لا تذهب - أو: لا تنقضي - الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[٣].

قوله: «حتى يملك العرب»: أي يكون ملكًا على المسلمين عمومًا، سواء كانوا عربًا أو عجمًا.

لكنه ذكر العرب هنا لأنه يبدأ بهم، فهو يظهر في مكة والمدينة، فيتبعه العرب فيها، ثم سائر المسلمين.

(١) رواه أبو نعيم في كتاب المهدي، وذكره المناوي في فيض القدير (١٧/٦) بسنده صحيح.
(٢) رواه الترمذي وأبو داوود، وهو صحيح.
(٣) رواه أبوداود (برقم ٤٢٨٢) وهوحديث حسن صحيح وتحفة الأحوذي (٤٨٦/٦).

وأيضًا فكل مسلم يعتبر عربيًا من جهة قراءته للقرآن، ومعرفته للغة العربية[١].

٨ وعن زر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمُه اسمي»[٢].

٩ وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً، كما ملئت جوراً».

وفي رواية: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله عز وجل رجلًا منا[٣] يملؤها عدلاً كما ملئت جورًا»[٤].

فهذه الأحاديث كلها صريحة في النّص على المهدي محمد بن عبد الله، وذكر اسمه وصفته.

وهنا جملة من الأحاديث يحتمل كونها في شأن المهدي:

١٠ عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يوشك أن أهل العراق لا يجيء إليهم قفيز ولا درهم». قلنا: من أين ذلك؟ قال: «من قبل العجم، يمنعون ذلك».

«قفيز»: هو مكيال أهل العراق، مثل قولنا: صاع، كيلو، طن.

«درهم»: هي عملة من الفضة كانوا يتداولونها قديماً.

(١) انظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٥ / ١٧٩).
(٢) رواه أحمد في المسند (٣٧٦/١) بسند صحيح.
(٣) أي من آل النبي ﷺ.
(٤) رواه أبو داود (٤ / ١٠٧)، كتاب المهدي، وسنده قوي.



«من قبل العجم»: العجم يطلق على غير العربي سواء تكلم العربية أم لا، ثم صار علمًا على الفُرس.

ثم قال ﷺ: «يوشك أهل الشام أن لا يجيء إليهم دينار ولا مُدي» قلنا: من أين ذلك؟ قال: «من قبل الروم».

«دينار»: عملة من الذهب

«مُدي»: مكيال لأهل الشام مثل قولنا: صاع، كيلو، طن

ثم سكت هنيهة، ثم قال ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً، لا يعده عداً».

قال الجريري الراوي: «قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أترِيان أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالوا: لا»[1].

هذا هو المهدي بدلالة الأحاديث السابقة التي نصّت عليه باسمه وذلك لكثرة الغنائم والفتوحات في عهده مع سخاء نفسه، وبذله الخير لكل الناس.

١١ عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: عَبِث - أي تحرك - رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله! صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله، فقال: «العجب أن ناساً من أمتي يؤمّون - أي يقصدون ويتوجهون - البيت - أي الكعبة - لرجل من قريش قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء - أي بالصحراء - خسف بهم - أي انشقّت الأرض وابتلعتهم

(١) رواه مسلم برقم (٢٩١٣).



في جوفها -». فقلنا: يا رسول الله! إن الطريق قد تجمع الناس! قال: «نعم، فيهم المُستبصِر، والمَجْبور، وابن السبيل، يهلِكون مَهْلكًا واحدًا ويصدُرُون مصادر شتى - أي يبعثهم الله على نياتهم»[1].

«والمستبصر»: أي المستبين للأمر القاصد له.

«والمجبور»: أي المكره والمقهور من دون اختيار.

والمقصود أن مهلك هذا الجيش مهلك واحد يخسف بهم جميعاً، إلا أنهم يصدرون أي يكونون يوم القيامة عن الله مصادر وأحوال متفرقة فواحد إلى الجنة وآخر إلى النار على قدر أعمالهم ونياتهم.

١٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُبايَع لرجل بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهلُه، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خراباً لا يُعْمر بعده أبدًا، وهم الذين يستخرجون كنزه[2]»[3].

(١) رواه البخاري (٤/٢٨٤، ٢٨٥) ومسلم (برقم ٢٨٨٤).

(٢) تقدم بيان معنى يستحلّ البيت أهله، وبيان قصة هدم الكعبة، وذلك في العلامة رقم (١٢٦).

(٣) رواه الإمام أحمد (٢/٢٩١) بسند صحيح.

١٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم»[(١)].

والمقصود بالإمام هنا المهدي محمد بن عبد الله، بدلالة النصّ عليه في حديث جابر رضي الله عنه الذي تقدم برقم (٥).

١٤ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة[(٢)]»[(٣)].

والمقصود هنا أيضا المهدي، إمامهم في صلاتهم.

فائدة

صلاة عيسى عليه السلام خلف المهدي لا يعني أن المهدي أفضل من عيسى عليه السلام، فقد صلى النبي محمد ﷺ خلف أبي بكر رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه[(٤)]، وصلى خلف عبد الرحمن بن عوف[(٥)]، فيصلي عيسى عليه السلام خلف رجل من أمة محمد ﷺ؛ ليُظهر أنه نزل تابعًا لمحمد ﷺ، حاكمًا بشرعه، ثمّ بعد ذلك يقتدي المهدي بعيسى عليه السلام، ويكون من ضمن جنوده.

١٥ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ هَـذَا الأَمْرَ لا يَنْقَضِي حَتَّى يَمْضِيَ فِيهِمُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً» قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلامٍ خَفِيَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ لأَبِي: مَا قَالَ؟ قَالَ: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»[(٦)].

---

(١) البخاري (٦/٣٥٨) ومسلم (٢/١٩٣).

(٢) المعنى: من إكرام الله لأمة محمد ﷺ أن يجعل عيسى بن مريم عليه السلام يصلي خلف واحد منها.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/٣٨٤) ومسلم (٢/١٩٣)

(٤) رواه الترمذي، صحيح.

(٥) رواه الشافعي في مسنده، ومسلم في صحيحه.

(٦) رواه مسلم (: ٧٩ / ٨٠).

قال ابن كثير: «وهذا الحديث فيه دلالة على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادلاً وليسوا هم بأئمة الشيعة الاثني عشر فإن كثيرًا من أولئك لم يكن إليهم من الأمر شيء، فأما هؤلاء فإنهم يكونون من قريش، يَلُون فيعدلون»[1].

١٦ عن حفصة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «لَيَؤُمَّنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ. وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ»[2].

«الشريد»: يعني يبقى منه رجل واحد ينجو من الخسف ن يخبر الناس بحال الجيش المخسوف بهم.

١٧ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ: «يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ. فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُو كَارِهٌ فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ. وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ. ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَخْوَالُهُ كَلْبٌ. فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ وَالْخَيْبَةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ. فَيَقْسِمُ الْمَالَ وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ: وَيُلْقِي الإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ فِي الأَرْضِ فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ -وفي رواية أخرى تِسْعَ سِنِينَ-»[3].

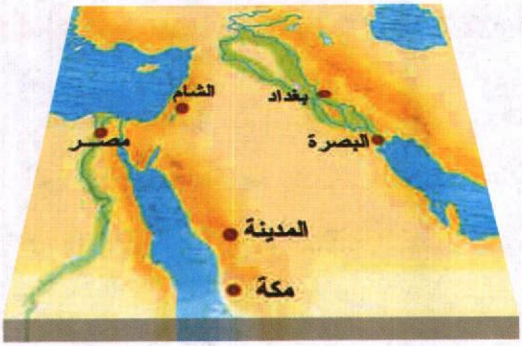
«بعث من أهل الشام»: أي جيش من أهل الشام.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ٧٨).

(٢) رواه مسلم (٤ / ٢٢٠٩).

(٣) أخرجه أبو داود بسند لا بأس به، وتدعمه الكثير من الأحاديث الصحيحة الأخرى.



«بالبيداء بين مكة والمدينة»: صحراء بين مكة والمدينة.

«أبدال الشام»: أولياؤها وعبّادها.

«وعصائب أهل العراق»: خيارهم وصالحيهم.

«أخواله كلب»: أي قبيلة كلب، وهي من قبائل العرب المشهورة.

«فيظهرون عليهم»: يغلبونهم وينتصرون عليهم.

«والخيبة»: أي الخسارة.



«بجرانة الأرض»: الجران: باطن العنق، وشبَّه ثبات الإسلام وتمكنه، بصورة البعير الذي قعد على الأرض وبسط عنقه (جرانه) على الأرض.

وأحاديث المهدي ثابتة لا شك فيها، قد رواها ثلاثون صحابيًا، وأخرجها أئمة رواة السنة ومصنفوها، في السنة والمسانيد، واحتجّ العلماء بها، حتى صار اعتقاد ظهور المهدي أمرًا مُتفقًا عليه في معتقد أهل السنة والجماعة، وقد حكى جمع من الأئمة تواتر أحاديث المهدي، كما حكاه الإمام السّفاريني[1]، والشوكاني[2]، ومحمد صديق خان[3]، رحمهم الله.

---

(١) (لوامع الأنوار البهية) (٢/٨٠).

(٢) نقله عنه في كتاب (الإذاعة لأشراط الساعة) ص١١٤.

(٣) كتاب (الإذاعة) ص١٤٥.

نظرة سريعة فيمن ادعى أنه المهدي

عند التأمل في التاريخ، وتتابع العصور، ومرور المسلمين بحالات من الاختلاف والظلم، وانتشار الجور من الولاة غيرهم، ونجد أنه ظهر رجال زعموا أنهم المهدي، واعتقد الناس فيهم ذلك، ومن هؤلاء:

١ الرافضة يزعمون أن لهم مهدياً ينتظرونه، وهو آخر أئمتهم الاثني عشر، واسمه عندهم محمد بن الحسن العسكري، وهو عندهم من ولد الحسين بن علي، لا من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهم جميعًا.

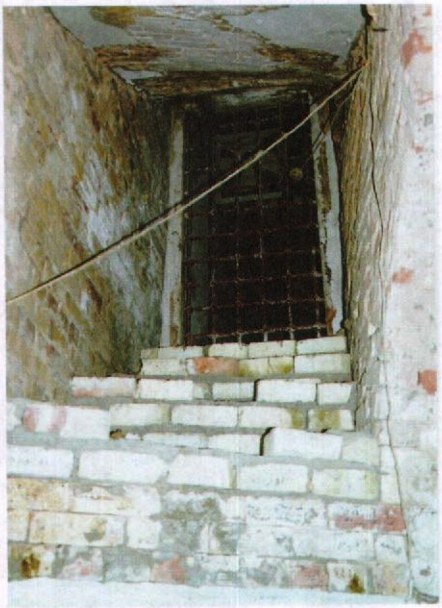
ويعتقدون:



- أنه دخل سرداب سامراء منذ أكثر من ألف سنة عام سنة ٢٦٠هـ.
- لما دخل كان عمره خمس سنوات، وهو يعيش في هذا السرداب منذ ذلك الحين، ولم يمت، وسوف يخرج في آخر الزمان.
- ويعتقدون أنه حاضر في الأمصار، يعلم أحوال الناس، لكنه غائب عن الأبصار فلا يُرى.

وكلامهم هذا حُمقٌ لم يقم عليه دليل ولا برهان ولا عقل ولا نظر، وهو مخالف لسنة الله في البشر؛ فأنبياء الله ورسله الذين هم أفضل الخلق عند الله، توفاهم الله، فكيف يتوفى الله أنبياءه ورسله ويُبقي مهدي الرافضة حيًا منذ ألف سنة كما زعموا؟!

ثم ما الداعي لغيبته واختفائه طوال هذه المدة وهو حيّ؟ لماذا لم يخرج، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وواقع الأمة اليوم أحوج ما يكون له؟!



صورة لسرداب سامراء الذي يزعم الرافضة أن المهدي مختبئ فيه منذ أكثر من ألف سنة

قال ابن كثير -رحمه الله- متحدثاً عن المهدي محمد بن عبد الله الوارد ذكره في الأحاديث: «ويكون ظهوره من بلاد المشرق - يعني مهدي أهل السنة - لا من سرداب سامرّاء، كما يزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان الشديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك ولا برهان، لا من كتاب ولا سنة ولا معقول صحيح ولا استحسان»[(١)].

٢ ادعى عبد الله بن سبأ أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو المهدي المنتظر، وزعم أنه سيعود إلى الدنيا.

٣ ادعى المختار بن عبيد الثقفي أن محمد بن الحنفية، المتوفى عام (٨١هـ)، هو المهدي المنتظر، ومحمد بن الحنفية هو محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسمي ابن الحنفية نسبة إلى أمه خولة بنت جعفر التي هي من قبيلة بني حنيفة..

(١) النهاية في الفتن والملاحم ص (١٧).

٤ فرقة الكيسانية وهم أتباع كيسان مولى علي رضي الله عنه وهي فرقة شيعية اعتقدت بإمامها محمد بن الحنفية بأنه محيط بالعلوم كلها، ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل، فحملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية على رجال فعطلوها، وزعموا أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الهاشمي القرشي.. هو المهدي..

٥ محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب (كنيته ذو النفس الزكية، توفي عام ١٤٥هـ)، وكان صوّامًا قوّامًا.. وفي عصره فتن به بعض الناس.. وظنوا أنه المهدي.. وكان له حركة وأتباع.. وحاول تصحيح الأوضاع.. فقاتله العباسيون الذين كانوا الحكام في عصره في جيش قوامه (١٠,٠٠٠) مقاتل.. وقضوا على حركته.. وقد كان خروج ذي النفس الزكية على المنصور الخليفة العباسي.. وكان قد انتشر الظلم والجور في عصره..



٦ وممن ادعى المهدية: عبيد الله بن ميمون القداح، توفي سنة (٣٢٥هـ)، كان جده يهوديًا.. وهو رأس القرامطة الذين قتّلوا المسلمين وسرقوا الحجر الأسود عام (٣١٧هـ)، وهم أشدّ كفرًا من اليهود والنصارى.

صار لأبنائه صولة وجولة وحكم.. وسيطروا على مصر والحجاز والشام.. انتسبوا إلى آل البيت كذبًا وزورًا، فزعموا أنهم من نسل فاطمة -رضي الله عنها-.. لذا سموا أيضاً بالفاطميين.

وأزالوا القضاء الشافعي.. أقاموا القبور والأضرحة ووقع بهم على المسلمين بلية عظيمة..

فالقرامطة يُظْهرون الإسلام وهم ملاحدة في حقيقتهم.. خارجون عن جميع الملل ومذهبهم مركب من مذهب المجوس عبّاد النار والصابئة عبّاد الكواكب.

قال ابن كثير: «وكانت مدة ملك الفاطميين أكثر من ٢٨٠ سنة، وعبيد الله القداح ادعى أنه المهدي وبنى مدينة المهدية»[1].

٧ وممن ادعى المهدية: محمد بن عبد الله البربري المشهور بـ (ابن تومرت) ظهر عام (٥١٤ هـ) ادعى أنه علوي أي من نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.. واخترع نسباً إلى الحسن بن علي..

وقد ملك بالظلم والتسلط.. وكان له عدد من الحيل يخدع بها الناس ويظهر أن له كرمات.. ومن حيله: أنه أخفى رجالاً في قبور، وجاء في جماعة ليريهم آية، فصاح: أيها الموتى أجيبوا، فأجابوه: أنت المهدي المعصوم، وأنت وأنت، ثم إنه خاف من انتشار الحيلة، فخسف فوقهم القبور فماتوا.

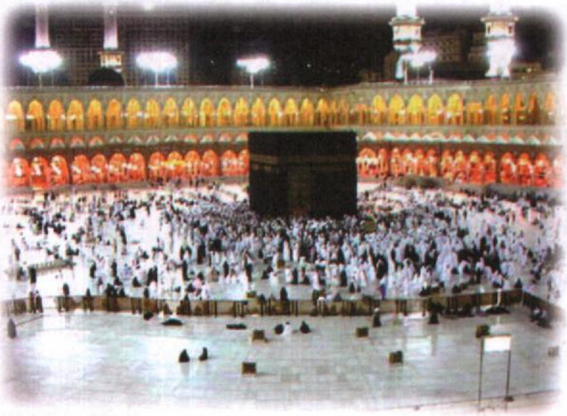
٨ وممن ادعى المهدية: محمد أحمد بن عبدالله السوداني المتوفى سنة (١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م)، الصوفي المتغلب على السودان، واشتهر بالزهد، وادعى المهدية وعمره ٣٨ سنة.. أقبل عليه الزعماء وشيوخ القبائل..



(١) البداية والنهاية (١٢ / ٣٣١).

وزعم أن من شك في مهديته فقد كفر بالله ورسوله إلى غير ذلك من دعاويه الفارغة، وهو وإن كانت له يد بيضاء في محاربة نصارى الإنجليز، فقد أظهر الواقع أنه ليس (المهدي الموعود في الأحاديث) وإنما هو مدّع من جملة المدعين.

٩ وممن ادعى أنه المهدي: محمد بن عبد الله القحطاني، ظهر في الرياض، بالمملكة العربية السعودية، ذكر أنه رأى رؤيا مفادها أنه (المهدي) المنتظر، فبايعه جماعة وتحصّنوا في المسجد الحرام سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، فكان ما هو معروف بـ (بفتنة الحرم) التي انتهت بمقتله.



ضوابط في التعامل مع أدعياء المهدية

لا يعني ردّنا على من ادعى أنه المهدي، أننا نكذب بالأحاديث الواردة في المهدي، كلا، ولكن:

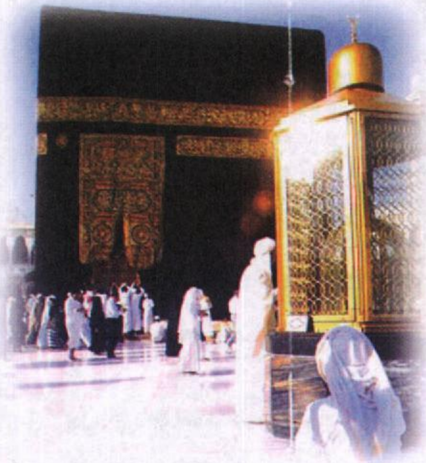
ينبغي التفريق بين التصديق بأحاديث المهدي، وأنها أخبار صادقة عن النبي ﷺ، وبين حكمنا أن فلاناً هو المهدي - وذلك أن النبي ﷺ لم يترك الأمر سدى، وإنما ذكر علامات وضوابط نعرف بها المهدي دون شك، منها:

١ أن المهدي لا يدعو إلى نفسه، ولا ينادي إلى بيعته، وإنما يبايعه الناس وهو مُكره.

٢ تطابق اسم المهدي مع اسم النبي ﷺ (محمد بن عبد الله).

٣ كون نسبه يرجع إلى الحسن بن علي -رضي الله عنهما-.

٤ أن تنطبق عليه الصفات الخَلْقية، الواردة في الحديث (أجلى الجبهة، أقنى الأنف..).



مقام إبراهيم

٥ الظروف التي يظهر فيها:

- اختلاف يقع بعد موت خليفة.[1]
- امتلاء الأرض ظلما وجورا.
- اقتتال ثلاثة كلهم ابن خليفة.
- كونه صالحا تقيا، عنده علم شرعي وحكمة.
- كونه يظهر في مكة، ويبايع بين الركن والمقام.

؟! ما الذي جعل البعض يزعم هو أو غيره أنه المهدي؟

مسألة

من خلال النظر في سير وقصص من ادّعى المهدية، تبيّن أن:

- بعضهم أراد الظهور والحكم فادعى أنه المهدي زوراً وبهتاناً، وإلا فهو لا ينطبق عليه شيء من العلامات أبداً، مثل عبيد الله القداح، وابن تومرت.
- بعضهم اشتبه أمره، وظن الناس أنه المهدي، مثل محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية، فظهر وصار له أتباع، ثم تبين أنه ليس المهدي. بعضهم اشتهر أمره وكثرت فيه المنامات، وظن الناس أنه المهدي، مثل محمد بن عبد الله القحطاني.

(١) وإن كان ذلك ورد في حديث في سنده مقال.

وقفة مع المنامات:

المنامات والرؤى لا يعتمد عليها في اتّخاذ أحكام وقرارات في الأمة ولا فيما هو أقلّ من ذلك.

دخل شـريك بن عبد الله القاضي، على الخليفة المهدي، فإذا المهدي متغيّر النفـس غاضب عليه. فقال القاضي شـريك: ما بالك يـا أمير المؤمنين؟ فقال المهـدي: رأيتك البارحة في المنام، تطأ على فراشـي، فسـألت معـبّرًا فأخبرني أنك تبغضني وتكيد لي. فقال شـريك: يا أمـير المؤمنين، والله ما رؤياك برؤيا إبراهيم عليه السلام، ولا معبرك يوسف عليه السلام.

فهذا ردّ واضح من شـريك القاضي على الخليفة في أمر يتعلق بشـخص واحد، فما بالك إذا كان المنام يتعلق بمستقبل أمه كاملة.

والد رأى أنه يذبح ولده فذبحه!!

وقـرأت يومًا أن رجلًا في إفريقيا رأى في منامه أنه يذبح ولده، فلما أصبح قام إلى ولده وأضجعه، وذبحه!!، وكان ينتظر أنه يُفدى الغلام بذبح عظيم!! كما فدى الله عز وجل إسماعيل بذبح (كبش) عظيم!!

فلما سُئل هذا الجاهل عن فعله؟ قال: فعلت ذلك اتباعاً لسنة إبراهيم عليه السلام، فـإن إبراهيم لما رأى أنه يذبح ولده إسماعيـل، قال ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾﴾[1].

---

(١) الصافات: ١٠١-١٠٧

وهذا غاية الجهل، إذ كيف يشبّه رؤيا جاهل مثله برؤيا نبي يوحى إليه!!

فإن كانت الرؤيا صالحة فاحمد الله عليها واستبشر بها، وإن كانت سيئة فاستعذ بالله من شرها، فإنها لا تضرك.

قاعدة:

فمن ادعى أنه المهدي ولم تنطبق عليه الصفات، ولم يخرج الدجال في زمانه، فهو دجال كذاب، ومن ادعى أنه عيسى ابن مريم ولم يخرج الدجال قبله فهو دجال كذاب.

ينبغي النظر بعدل من غير غلو إلى المهدي:

فالمهدي عند أهل السنة والجماعة لا يعدو كونه إماماً من أئمة المسلمين الذين ينشرون العدل، وهو غير معصوم[١].

■ أنكر بعض العلماء المهدي ومنهم

- ابن خلدون

تردد ابن خلدون في مسألة المهدي وانتقد الأحاديث الواردة فيه ثم قال: «وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل»[٢].

(١) انظر كتاب عقيدة أهل الأثر في المهدي المنتظر، للشيخ العباد.

(٢) انظر:مقدمة تاريخ ابن خلدون (١ / ٥٧٤).

- **محمد رشيد رضا**

قـال: «و أمّا التعارض في أحاديث المهدي فهـو أقوى وأظهر، والجمع بين الروايات فيه أعسـر، والمنكرون لها أكثر، والشـبهة فيهـا أظهر، ولذلك لم يعتدّ الشـيخان البخاري ومسلم برواياتها في صحيحهما، وقد ضعّف كثير من أئمة المسلمين أحاديث المهدي»[١].

- **أحمد أمين**

قال: «حديـث المهدي هذا حديث خرافة وقد ترتب عليه نتائج خطيرة في حياة المسلمين»[٢].

- **عبد الله بن زيد آل محمود**

قـال: «ودعوى المهـدي في مبدئها ومنتهاهـا مبنية على الكـذب الصريح والاعتقاد السـيئ القبيح وهي في الأصل حديث خرافة يتلقفها واحد عن آخر وقد صيغت لها الأحاديث المكذوبة سياسة للإرهاب والتخويف»[٣].

- **محمد فريد وجدي**

قـال: «مـا ورد في المهـدي المنتظر من أحاديـث، الناظرون فيهـا من أولي البصائر لا يجدون في صدورهم حرجاً من تنزيه رسول الله ﷺ من قولها، فـإن فيها من الغلـو والخبط في التواريـخ والإغـراق في المبالغة، والجهل بأمـور الناس والبعد عن سـنن الله المعروفة ما يشـعر المطالع لأول وهلة أنها أحاديث موضوعة تعمد وضعها رجال من أهل الزيغ المشايعين لبعض أهل الدعوة من طلبة الخلافة في بلاد العرب أو المغرب»[٤].

---

(١) انظر: تفسير المنار (٩ / ٤١٦)

(٢) انظر: ضحى الإسلام (٣ / ٢٤٣)

(٣) في رسالته (لا مهدي ينتظر، بعد الرسول خير البشر) (ص٥٨).

(٤) دائرة معارف القرن العشرين (١٠ / ٤٨١)

حجتهم في ذلك:

١. **أن القرآن لم يذكر المهدي ولو كان ثابتاً لذكره الله في القرآن.**



والجواب: أن القرآن لم يذكر جميع أشراط الساعة فلم يذكر الدجال ولا الخسوف الواقعة آخر الزمان.. إلى غير ذلك، وإنما ذكرت هذه في السنة، فما دام أنها ثبتت في السنة فقد قال الله عز وجل عن نبيه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾[1]، وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[2]، فما دام ذكرها ﷺ وأثبتها فهي من الدين الثابت.

٢. **أن أحاديثه ليس في الصحيحين.**

والجواب: أن صحيحي البخاري ومسلم لم تجمع أحاديث النبي ﷺ، ورواة السنة غير البخاري ومسلم هم أئمة محققون، ولنا طرق نميز بها صحيح الحديث من ضعيفه، وإذا صح الحديث وجب علينا الأخذ به سواء كان في الصحيحين أو في غيرهما، ثم إن البخاري ومسلم رويا أحاديث المهدي بصفته دون النص على اسمه كما تقدم في سياق أحاديث المهدي.

٣. **لا نريد أن نفتح الباب لمدّعي المهدية.**

والجواب: أننا إذا ضبطنا الأمر بالضوابط الشرعية لم ينفتح الباب، فالمهدي له صفات خَلْقية ولزمنه ظروف محدّده – تقدم ذكرها – لا تنطبق إلاّ على رجل واحد، هو المهدي الحقيقي.

---

(١) النجم: ٣

(٢) رواه البخاري

وأخيراً..

■ هل يعني الإيمان بالمهدي القعود عن الدعوة والعمل؟

مع تدافع الخير والشر، وظهور الفساد، وانتشاره، وضعف الدعوة إلى الخير في كثير من البلدان، وقع في قلوب أعداد من المسلمين يأس وقنوط، وصاروا ينتظرون خروج المهدي ليقودهم إلى النصر.

وبالتالي قعدوا عن العمل والدعوة، وسكتوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقاعسوا عن طلب العلم ونشره، بل عن التجارة والعمل وعمارة الأرض، وصار أحدهم يقول لنفسه: الأمر أعجل من ذلك، وهذا زمن ظهور المهدي...

والمنهج الشرعي في التعامل مع الأحاديث الواردة في المبشرات من أشراط الساعة مثل:

- أحاديث المهدي، ونصر الله عز وجل الدين به.
- أحاديث قتال المسلمين لليهود وانتصارهم عليهم.
- أحاديث قتال المسلمين للروم النصارى، وانتصارهم عليهم..

إلى غير ذلك..

التعامل معها بأن نعلم أن:

هذه العلامات وغيرها، لا تعدو أن تكون مفرّحة للمؤمنين، مصبّرة لهم، مبشرة بأن الدين محفوظ منصور.

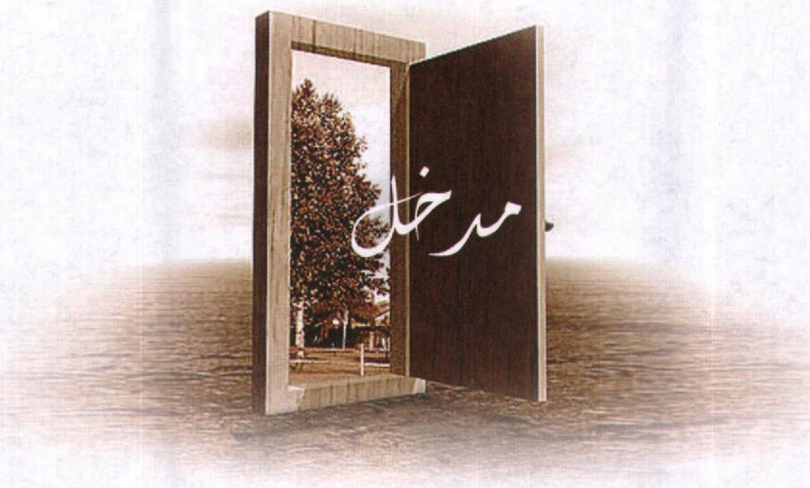
لكننا مع ذلك نعمل ما أمرت به الشريعة عمومًا، من نصر الدين، والدفاع عن بلدان المسلمين، وإقامة الجهاد في سبيل الله، والقتال لرفع راية الإسلام.

ولا نقعد خاملين ننتظر أن ينزل النصر من السماء، أو يخرج من الأرض، دون جهد منّا.

فعلى المسلمين اليوم أن يعدّوا العدّة لقتال اليهود، وإخراج النصارى المحتلّين من بلدان المسلمين، ولا نقعد خاملين أذلة صاغرين ننتظر خروج المهدي ليقودنا.. بل نجتمع وننصر ديننا، فإن خرج المهدي نصرناه.

أشراط الساعة الكبرى

- خروج الدجال
- نزول عيسى عليه السلام
- خروج يأجوج ومأجوج
- ثلاثة خسوف كبرى
- الدخان
- خروج الدابة
- طلوع الشمس من مغربها
- نار تسوق الناس لمحشرهم



تقدم تقسيم أشراط الساعة إلى صغرى وكبرى، وقد سردنا ١٣١ علامة من أشراط الساعة الصغرى، وتبقى معنا الكلام على الأشراط الكبرى التي تسبق قيام الساعة مباشرة.

وأشراط الساعة الكبرى تقع متتابعة كخرزات العقد إذا انفرط إذا وقع أولها - وهو المهدي - تتابعت بقية الأشراط بعده مباشرة.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الآيات كخرزات منظومات في سلك فانقطع السلك فتبع بعضها بعضًا»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خروج الآيات بعضها على أثر بعض تتابعن كما تتابع الخرز في النظام»[(٢)].

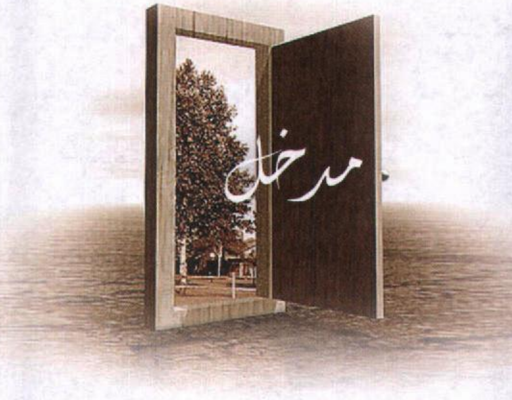
ولا يمنع أن تتخلل أشراط الساعة الكبرى بعض أشراط الساعة الصغرى، فيخرج المهدي مثلاً، ثم تخرج في عصره عدد من الأشراط الصغرى، ثم يخرج الدجال.. وهكذا.. والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث. وصححه أحمد شاكر والألباني.

(٢) رواه الطبراني في الاوسط، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة رقم (٣٢١٠).

المسيح الدجال



يخلق الله عز وجل ما يشـاء ويختار من أشراط وعلامات الساعة الدالة على اقتراب وقوعها.

ومِن ذلك المسيح الدجال..

- فمن المسيح الدجال؟
- وهل هو موجود اليوم؟
- وهل رآه أحد من قبل؟
- وما صفاته؟
- وما أسباب خروجه؟
- وما هي الغضبة العظيمة التي سيغضبها؟
- وما الاعتقادات الخاطئة فيه؟

من الدجال؟

هو رجل من بني آدم جعل الله ﷻ له قدرات ليست لغيره من البشر، مكّنه الله منها اختبارًا وامتحانًا لإيمان الناس، وقد حذرنا النبي ﷺ من اتباعه في ضَلالِه، وأخبرنا عن صفاته الخَلقية والخُلُقية.

ونحن نتكلم هنا عن الدجال لأن:

العلم بالشيء خير من الجهل به، وقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يسأل رسول الله ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه[1].

فالدجال أعظم فتنة، خاف النبي ﷺ على أمته منها، فحذّر، وخوّف، وأنذر.. لما مع الدجال من الشبهات والفتن.. مع ادعاء الدجال أنه رب العالمين!!

فإذا عرفنا صفات الدجال وطرق السلامة منه، حمانا الله من شره..

تسميته بـ (المسيح الدجال)

سُمي بالمسيح لأنه ممسوح العين اليسرى، فهو أعور لا يرى إلا بعين واحده.

وقيل بل الدجال يسمى: المِسِّيح.. وقيل المسيخ (بالخاء المعجمة)..

وقيل سمي المسيح لأنه يمسح الأرض ويسير فيها كلها..

وقيل لأن أحد شِقّي وجهه ليس فيه عين ولا حاجب..

وسُمي الدجال: لأنه دجّل: أي غطّى وموّه واحتال، والدجل أكبر الكذب فهو دجّال كذّاب مُحْتال.

وجمع دجال: دجّالون، ودجاجلة.

(١) رواه البخاري

ماذا يدّعي الدجال؟

الدّجـال يدّعي أنه رب العالمـين. ويدعو الناس إلى الإيمـان بذلك؛ لذا قال ﷺ «إن الدجـال أعور، وإن ربكم ليس بأعور»[١]، وسـيأتي تفصيل ذلك[٢]، وله شبهات وحيل يفتن الناس بها.

قصة ابن صياد

في عهد النبي ﷺ كان بالمدينة غلام يهودي اسمه ابن صياد، اشتبه أمره وشك النبي ﷺ أنه هو الدجال، ووقع له حادث مع النبي ﷺ، وتفصيل ذلك كالآتي:



صورة قديمة للمدينة المنورة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: « أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انطلق مع رسول الله ﷺ في رهط[٣] قِبَلَ ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم[٤] بني مغالة، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم (أي قارب البلوغ، عمره قريب من ١٥ سنة)، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده، ثم:

(١) رواه البخاري: كتاب الفتن - (٨ / ١٠٣)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤ / ٢٢٤٨).
(٢) ص (٢٤٦).
(٣) الرهط: من ثلاثة إلى عشرة أشخاص.
(٤) أي حصن أو قلعة لقبيلة بني مغالة.

- قال رسول الله ﷺ لابن صياد: «أتشهد أني رسول الله»؟
- فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأُمّيين. ثم قال ابن صياد لرسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟
- فرفضه رسول الله ﷺ وقال: «آمنت بالله وبرسله». ثم قال له رسول الله ﷺ: «ماذا ترى»؟
- قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب.
- فقال رسول الله ﷺ: «خُلِّط عليك الأمر»، ثم قال له رسول الله ﷺ: «إني خبأت لك خبيئا»(١).
- فقال ابن صياد: هو الدُّخ(٢).
- فقال له رسول الله ﷺ: «اخسأ فلن تعدو قدرك»(٣).
- فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله أضرب عنقه.
- فقال ﷺ: «إن يكن هو فلن تُسلَّط عليه (يعني إن كان ابن صياد هذا هو الدجّال فلن تتمكن من قتله؛ لأن الله قدّر وقضى أن يقتله عيسى بن مريم عليه السلام بعد نزوله)، وإن لا يكنْهُ فلا خير لك في قتله»(٤).

---

(١) قوله «خبأت لك خبيئًا» أي خبأت في نفسي كلمة، حاول أن تُخَمّن ما هي؟ وقد خبأ النبي ﷺ كلمة الدخان.

(٢) قوله «الدخ» حاول ابن صياد أن يقول الدخان فلم يوفق فقال الدخ، وكان ابن صياد له جن يخبرونه بأشياء، ولكنهم لم يستطيعوا أن يكشفوا ما في نفس النبي ﷺ، فقربوا له الكلمة.

(٣) قوله «اخسأ فلن تعدو قدرك» أي لن تعدو الكهانة، إنما أنت كاهن دجال محتال.

(٤) رواه مسلم



وقال سالم بن عبد الله: سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول: «انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبي بن كعب الأنصاري إلى النخل التي فيها ابن صياد، حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل طفق يتقي بجذوع النخل(١) وهو يختل(٢) أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه ابن صياد، فرآه رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش في قطيفة(٣) له فيها زمزمة(٤)، فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقي بجذوع، فقالت لابن صياد: يا صاف (وهو اسم ابن صياد) هذا محمد، فثار ابن صياد، فقال رسول الله ﷺ «لو تركته بيّن(٥)»(٦).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لقيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر - يعني ابن صياد - في بعض طرق المدينة.

- فقال له رسول الله ﷺ: «أتشهد أني رسول الله»؟
- فقال هو: أتشهد أني رسول الله؟

---

(١) يعني أخذ ﷺ يتستر خلف جذوع النخل لئلا يراه ابن صياد.
(٢) أي يتخفى ويقترب قليلًا، قليلًا من ابن صياد ليسمع ما يتكلّم به مع نفسه.
(٣) أي في كساء.
(٤) أي له فيها صوت خفي لا يكاد يفهم.
(٥) أي لو تركتنا أمّه نراقبه دون أن يعلم بنا لتبيّن لنا أمره هل هو الدجال أم لا.
(٦) رواه مسلم

- فقال رسول الله ﷺ: «آمنت بالله وملائكته وكتبه، ما ترى»؟
- قال: أرى عرشًا على الماء.
- فقال رسول الله ﷺ: «ترى عرش إبليس على البحر، وما ترى»؟
- قال: أرى صادقين وكاذبًا، أو كاذبين وصادقًا.
- فقال رسول الله ﷺ: «لُبِّس[١] عليه، دعوه».[٢]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «خرجنا حُجاجًا، أو عُمّارًا ومعنا ابن صياد؛ فنزلنا منزلًا، فتفرق الناس وبقيت أنا وهو؛ فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه، وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي، فقلت: إن الحر شديد، فلو وضعته تحت تلك الشجرة؛ ففعل؛ أي: نقل ابن صياد متاعه تحت شجرة بعيدة عن أبي سعيد. قال أبو سعيد: فَرُفِعت لنا غنم، فانطلق فجاء بعس[٣]

- فقال: اشرب أبا سعيد!
- فقلت: إن الحر شديد واللبن حار، ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن يده - أو قال: آخذ عن يده -.
- فقال ابن صياد: أبا سعيد! لقد هممت أن آخذ حبلا فأعلقه بشجرة ثم أختنق مما يقول لي الناس[٤] ! يا أبا سعيد: من خفي عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفي عليكم معشر الأنصار، ألستَ من أعلم الناس بحديث

(١) أي يأتيه شيطان فاختلط عليه الأمر.
(٢) رواه مسلم.
(٣) أي وعاء كبير فيه لبن من تلك الغنم.
(٤) يعني ما يُشاع من أنه الدجال.

رسـول الله ﷺ؟ أليـس قـد قال رسـول الله ﷺ: هو عقيم لا يولـد له، وقد تركت ولدي بالمدينة؟ أوليس قد قال رسول الله ﷺ: لا يدخل المدينة ولا مكة، وقد أقبلت من المدينة، وأنا أريد مكة؟.

- قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: حتى كدت أن أعذره.
- ثم قال ابن صياد: أما والله إني لأعرف مولده وأين هو الآن -يعني الدجال-.
- قال أبو سعيد: فقلت له: تباً لك سائر اليوم»[١].

والصحيح من أقوال أهل العلم:

أن ابن صياد هذا ليس هو المسـيح الدجـال، ولكنه دجال محتال من ضمن الدجالين، عنده كهانة وشياطين ينبّئونه بأمور، وقد ورد عنه حوادث في آخر حياته مع أبي سـعيد الخدري وغيره، قد يُسـتنتج منها أنه تاب وصلح حاله، والله أعلم.

الحكمة من عدم ذكر الدجال في القرآن

الدجال أعظم فتنة خشي النبي ﷺ على أمته منها؛ ولذا حذّر جميعُ الأنبياء أممهم منه، وأمرنا ﷺ أن نستعيذ من فتنة الدجّال في آخر كلّ صلاة.

وقد ذكر الله عز وجل في القرآن عددًا من أشراط الساعة الصغرى والكبرى، مثل انشـقاق القمر، فقـال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[٢]، ويأجـوج ومأجوج،

(١) رواه مسلم.
(٢) القمر: ١

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾[١]، وغيرها، ومع ذلك لم يذكر الله عَزَّوَجَلَّ الدجال صراحة باسمه في القرآن.

فما الحكمة من ذلك؟!

قيل في ذلك أمور:

- أحدها: أنه ذكر في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ ﴾[٢]، فقد قال ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها»[٣].

- الثاني: قد وقعت الإشارة في القرآن إلى نزول عيسى ابن مريم في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ ﴾[٤]، وفي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ۝٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا ﴾[٥].

وصح أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي يقتل الدجال فصار الكلام عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ متضمناً الكلام عن الدّجال.

(١) الأنبياء: ٩٦

(٢) الأنعام: ١٥٨

(٣) رواه الترمذي، عن أبي هريرة، وصححه.

(٤) النساء: ١٥٩

(٥) الزخرف: ٥٧ -٦١

الأحاديث الدالة على أن خروج الدجال من أشراط الساعة

عـن حذيفة بن أسـيد الغفـاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن السـاعة لا تقوم حتى تكون عشر آيات: الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس.. الحديث»[١].

وعـن أبـي هريرة رضي الله عنه أن النـبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثـلاث إذا خرجن لا ينفع نفسـاً إيمانها لم تكن آمنت أوكسـبت في إيمانها خيراً: طلوع الشـمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[٢].

الدجال أكبر فتنة موجودة على ظهر الأرض على الإطلاق

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما بين خلق آدم إلى قيام السـاعة خلق أكبر من الدجال»، وفي رواية: «أمر أكبر من الدجال»[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: " قام رسـول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذر قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: إنه أعور، وإن الله ليس بأعور»[٤].

وعـن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال: «غَـيْرَ الدجال أخوفني عليكـم؟ إن يخرج وأنـا فيكم فأنا حجيجـه دونكم، وإن يخرج ولسـت فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم»[٥].

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه مسلم.

الأحداث قبل خروج الدجال



- عن نافع بن عتبة بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تغزون فارس ويفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله» (أي المكان الذي فيه الدجال والقوم الذين معه)[(١)].

- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»[(٢)].

- وقبل خروج الدجال تكثر الحروب بين المسلمين والروم النصارى؛ وينتصر المسلمون[(٣)].

عن ذي مخمر - رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ستصالحون الروم صلحا آمنا، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم؛ فتنصرون وتغنمون، وتسلمون، ثم ترجعون، حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليب؛ فيغضب رجل من المسلمين فيدقه؛ فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم

(٢) تقدم الكلام عن هذا الحديث في العلامتين (١٠٨، ١٠٩).

(٣) انظر ما سبق في العلامة رقم (١٠٥) من العلامات الصغرى.

(٤) الملحمة: هي المعركة الكبيرة، كثيرة القتلى، والحديث رواه مسلم.

وزاد بعضهم: «فيثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيغتسلون، فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة».

وفي حديث آخر تفصيل لهذه الموقعة:

مرج دابق - سوريا، ويحتوي على عدة قرى



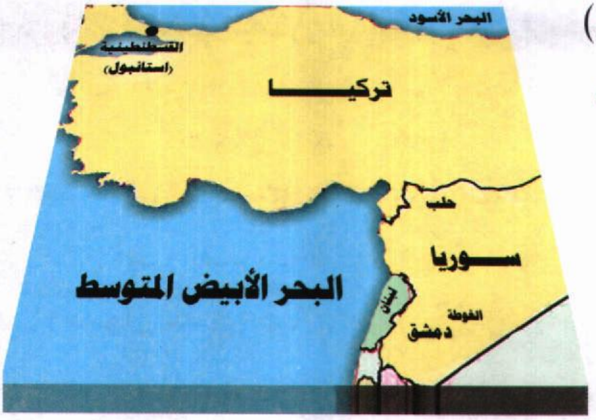
منظر للمرج من فوق إحدى التلال



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق[1]؛ فيخرج له جيش من المدينة من المسلمين من خيار الأرض يومئذ، فإذا تصافوا أمام بعض؛ قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم (وهذا يدل أنه وقعت حروب سابقة بين المسلمين والروم وانتصر المسلمون وسبوا من الروم وأسلم السبي وجاء يجاهد)، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا؛ فيقاتلونهم فيهزم ثلث (أي من جيش المسلمين) لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلث (أي من المسلمين) أفضل الشهداء عن الله، ويفتتح الثلث

(١) قرية دابق من القرى التاريخية التابعة لناحية اخترين مدينة حلب في الشمال السوري حيث تبعد عن الحدود التركية تقريبا ١٠كم، وتشتهر بالزراعة وخصوصا الحنطة والعدس والبطاطا يمر بها نهر قويق ويجري في الشتاء والربيع، وهي ثغر من ثغور المسلمين في كل الفترات الإسلامية وفيها تكون الملحمة.

(أي الأخير يفتح البلاد ويغنم) لا يفتنون أبدا؛ فيفتتحون قسطنطينية، وبينما هم يقتسمون الغنائم قد علّقوا سيوفهم بالزيتون؛ إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح (أي الدجال)، قد خلفكم في أهليكم (أي: يريد افزاعهم وتخويفهم)؛ فيخرجون (أي:يتوجهون راجعين إلى الدجال)، وذلك باطل (أي: يكون كلام الشيطان هذا باطل). فإذا جاءوا الشام خرج (أي: خرج المسيح الدجال)»[1].



موقع مدينة حلب وبقربها مرج دابق الذي ينزله جيش الروم وشمالها تركيا حيث يقبل منها جيش الروم. ومدينة القسطنطينية التي يفتحها المسلمون

أحداث أخرى تسبق خروج الدجال:

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد. يأمر الله تعالى السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء؛ فلا يبقى ذات ظل إلا هلكت إلا ما شاء الله» (أي تموت جميع الأشجار إلا القليل منها). قيل:

(١) رواه مسلم

يا رسول فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟!! قال: «التهليل والتكبير والتحميد ويجزؤ ذلك عليهم مجزأة الطعام»[١].



ومما يسبق خروجه:

عن راشد بن سعد قال: «لما فتحت إصطخر[٢]؛ إذا مناد ينادي: ألا إن الدجال قد خرج، فلقيهم الصعب بن جثامة فقال: لولا ما تقولون، لأخبرتكم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يخرج الدجال حتى يذهل[٣] الناس عن ذكره، وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر»»[٤].

(١) رواه ابن ماجة، وفي سنده مقال.

(٢) اصطخر، بلدة بفارس، من أقدم مدن فارس وأشهرها، وبها سكن ملوك فارس وبها خزانتهم....

(٣) أي يتناسون ذكر الدجال.

(٤) رواه عبد الله بن أحمد من رواية بقية عن صفوان بن عمرو وهي صحيحة كما قال ابن معين وبقية رجاله ثقات.

صفات الدجال الخَلْقية

- قصير أفحج (مشيته معيبة؛ بسبب تباعد ساقيه).
- جعد (أي أن شعره ليس ناعما، ولا أملس).
- جفال الشعر (شعره كثيف).
- مطموس العين، كالعنبة الطافية أعور العين اليسرى.
- هجان (أبيض).
- أجلى الجبهه (واسع الجبهه).
- مكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرؤها كل مؤمن كاتب أو غير كاتب.
- عقيم لا يولد له.



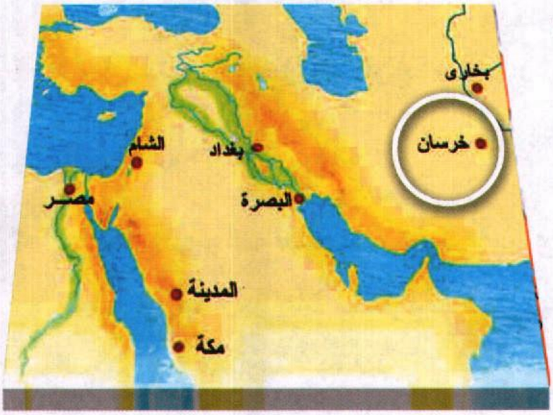
أمثلة على تباعد (تقوّس) الساقين



مثال على الشعر المجعّد

ويمكننا إجمال ما سبق من وصف الدجال بأنه رجل قصير، عظيم الجسم، عظيم الرأس، كلتا عينيه معيبة، فاليمنى عوراء كأنها عنبة طافية، واليسرى عليها جلدة، وهو ذو شعر جعد كثيف، أبيض البشرة، بعيد ما بين الساقين أو الفخذين، مكتوب بين عينيه كافر.

مكان خروجه



عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق، يقال لها: خرسان[1]، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المُطرقة[2]»[3].

وأول ظهور أمره واشتهاره - والله أعلم- يكون بين الشام والعراق.

ففي رواية عن نواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن الدجال: «إنه خارج خلة بين الشام والعراق»[4].

قوله «خلة بين الشام والعراق»: أي موقع وطريق بين الشام والعراق.

قصة الجَسَّاسة والدّجال

عن عامر بن شراحيل الشعبي أنه سأل فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - فقال: «حدثيني حديثًا سمعتيه من رسول الله ﷺ لا تسنديه إلى أحد غيره، فقالت: لئن شئت لأفعلن، فقال لها: أجل حدثيني، فقالت: سمعت نداء المنادي _منادي رسول الله ﷺ_ ينادي: الصلاة جامعة؛ فخرجت إلى المسجد، فصليت

(١) مدينة كبيرة، تقع حالياً في إيران.
(٢) المجن الترس، شبه وجوههم بالترس؛ لبسطها وتدويرها، وبالمطرقة؛ لغلظها وكثرة لحمها، وهي الصفة نفسها التي وصف بها النبي ﷺ يأجوج ومأجوج.
(٣) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي.
(٤) رواه مسلم.

مـع رسـول الله ﷺ، فكنت في صف النسـاء التي تلي ظهور القـوم، فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك.

- فقال: «لِيَلْزم كلُّ إنسان مُصلّاه». ثم قال: «أتدرون لم جمعتكم؟»
- قالوا: الله ورسوله أعلم.
- قـال: «إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة[١]، ولكن جمعتكم لأن تميمًا الـداري كان رجلًا نصرانيًا، فجاء فبايع وأسـلم، وحدثـني حديثًا وافق الـذي كنت أحدثكم عن مسـيح الدجـال. حدثني أنه ركب في سـفينة بحرية مع ثلاثين رجلًا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر، ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشـمس، فجلسـوا في أقرب السـفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب[٢] كثيرة الشعر، لا يدرون ما قُبُله من دُبُرِه من كثرة الشعر،



- فقالوا: ويلك! ما أنت؟!
- فقالت: أنا الجسّاسة!
- قالوا: وما الجسّاسة؟

(١) أي ما جمعتكم لأجل مال أو رزق أقسمه بينكم، ولا لخوف أو حرب فأستعين بكم.

(٢) أي كثيرة وغليظة الشعر.

- **قالـت:** أيهـا القوم انطلقوا إلى هـذا الرجل في الدَّيْـر [١]؛ فإنه إلى خبركم بالأشواق.
- **قال:** فلما سمت لنا رجلًا فَرِقنا [٢] منها أن تكون شيطانة، فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير. فإذا فيه أعظم إنسـان رأيناه قط خلقا [٣] وأشـده وثاقا، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.
- **قلنا:** ويلك! ما أنت؟
- **قال:** قد قدرتم على خبري [٤]، فأخبروني ما أنتم؟
- **قالوا:** نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلـم [٥]، فلعب بنا الموج شـهرا، ثـم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسـنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشـعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر.
- **فقلنا:** ويلك! ما أنت؟
- **فقالت:** أنا الجساسة.
- **قلنا:** وما الجساسة؟
- **قالت:** اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعا، وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة.

---

(١) «الدير» في الأصل: مكان ينقطع فيه الرهبان للعبادة، والمراد هنا المكان المنقطع البعيد.

(٢) أي خفنا

(٣) أي: إنسان عظيم الخِلْقة لم يروا مثله أبداً من قبل.

(٤) أي وصلتم إلى معرفة خبري، وسوف أخبركم عنّي.

(٥) أي هاج الموج واضطرب.







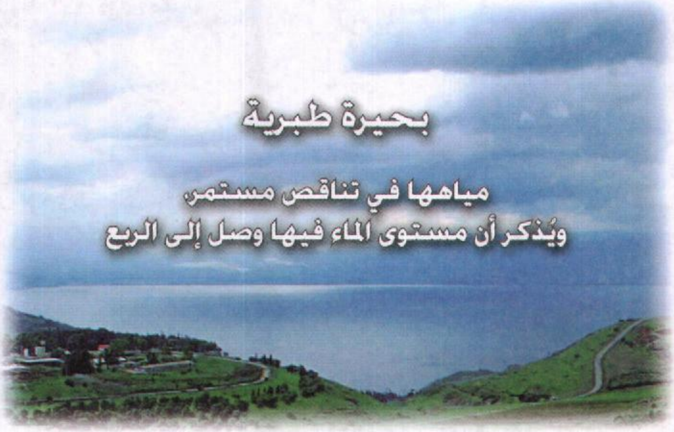
- **فقال:** أخبروني عن نخل بيسان[١].
- **قلنا:** عن أي شأنها تستخبر؟
- **قال:** أسألكم عن نخلها هل يثمر؟
- **قلنا له:** نعم.
- **قال:** أما إنه يوشك أن لا تثمر.
- **قال (أي الدجال):** أخبروني عن بحيرة الطبرية[٢].
- **قلنا:** عن أي شأنها تستخبر؟
- **قال:** هل فيها ماء؟
- **قالوا:** هي كثيرة الماء.
- **قال:** أما إن ماءها يوشك أن يذهب.
- **قال:** أخبروني عن عين زغر[٣]؟

---

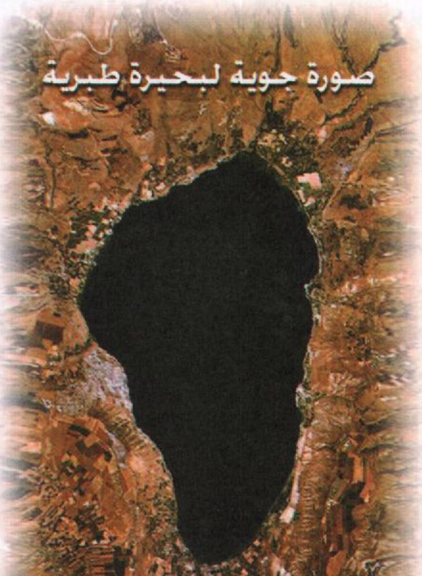
(١) مدينة من مدن الغور، على الجانب الغربي من حوض الأردن في الجنوب الغربي من طبرية.

(٢) بين الأردن وفلسطين..

(٣) زغر: قرية بالشام على شاطئ البحر الميت، قال ابن الأثير: «زغر: عين بالشام من أرض البلْقاء. النهاية ٢/٣٠٤»، ويطلق البعض على البحر الميت (بحيرة زغر) نسبة لواحة قريبة منه. وقد تقدمت صورة البحر الميت عند الكلام على العلامة رقم (٩٥).



- **قالوا:** عن أي شأنها تستخبر؟
- **قال:** هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟
- **قلنا له:** نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها.



- **قال:** أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟
- **قالوا:** قد خرج من مكة ونزل يثرب.
- **قال:** أقاتله العرب؟
- **قلنا:** نعم.
- **قال:** كيف صنع بهم؟
- **فأخبرناه:** أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه
- **قال لهم:** قد كان ذلك؟
- **قلنا:** نعم.
- **قال:** أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه. وإني مخبركم عني:

إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة[(١)]؛ فهما محرمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً[(٢)] يصدني عنها، وإن على كل نقب[(٣)] منها ملائكة يحرسونها.

- ثم قالت فاطمة بنت قيس - راوية الحديث- :
- ثم قال ﷺ - وطعن بمخصرته[(٤)] في المنبر -: «هذه طيبة.. هذه طيبة.. هذه طيبة.. - يعني المدينة - ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟»
- فقال الناس: نعم.
- قال ﷺ: «فإنه أعجبني حديث تميم، أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه - أي عن الدجال - وعن المدينة ومكة. ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، وأومأ بيده إلى المشرق»[(٥)].



(١) أي مدينة رسول الله ﷺ.

(٢) أي شاهراً سيفه.

(٣) أي على طرق المدينة وشوارعها.

(٤) أي ضرب بعصاه على المنبر، وكل شيء يمسكه الإنسان فيضعه تحت خاصرته كالعصا أو نحوه يسمّى مخصرة.

(٥) مشرق مدينة رسول الله هي العراق وإيران.

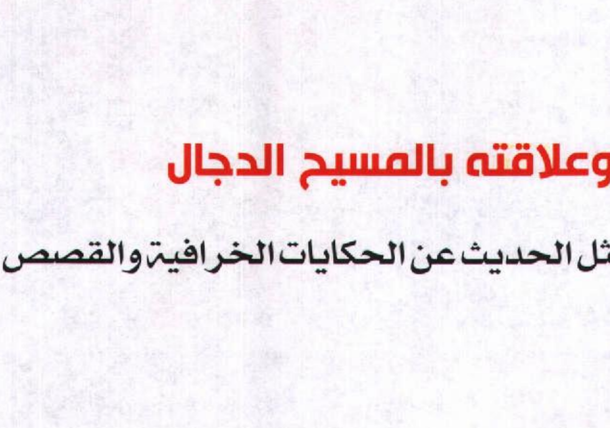
➤ قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ»[1].

وقد قرأت لبعض المؤلفين حول المسـيح الدجـال، كلامًا يربط بين مكان وجود المسيح الدجال وبين مثلث برمودا المشهور الذي لا يزال سِرًا لم تنكشف حقيقته.

■ حقيقة مثلث برمودا وعلاقته بالمسيح الدجال

الحديث عن (مثلث برمودا) مثل الحديث عن الحكايات الخرافية والقصص الخيالية.

الموقع الجغرافي:



غـرب المحيـط الأطلنطـي تجاه الجنوب الشـرقي لولاية فلوريـدا بالولايـات المتحـدة الأمريكية، وبالتحديد أكثر هـذه المنطقـة تأخذ شـكل مثلـث يمتـد مـن خليـج المكسيك غرباً إلى جزيرة ليـورد من الجنـوب، ثم برمودا (مجموعة من الجزر ٣٠٠ جزيرة صغيرة مأهولة بالسكان ٦٥,٠٠٠ نسمة)، ثم من خليج المكسيك وجزر باهاما.

(١) (صحيح مسلم ج٤/ ص٢٢٦٣)



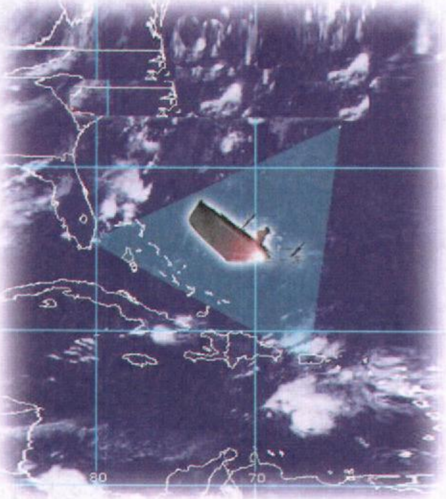
خارطة توضح موقع خراسان في المشرق التي يظهر من عندها الدجال، وموقع مثلث برمودا في الغرب والذي يعتقد البعض أن المسيح الدجال موجود به.

نقطة الاختفاء في برمودا:



في منطقة معينة شمال غرب المحيط الأطلنطي (بحر سارجاسو)، تتميز مياهه بوجود نوع معين من حامول البحر يسمى (سارجاسام)، يطفو بكميات كبيرة على هيئة كتل تعوق حركة السفن.

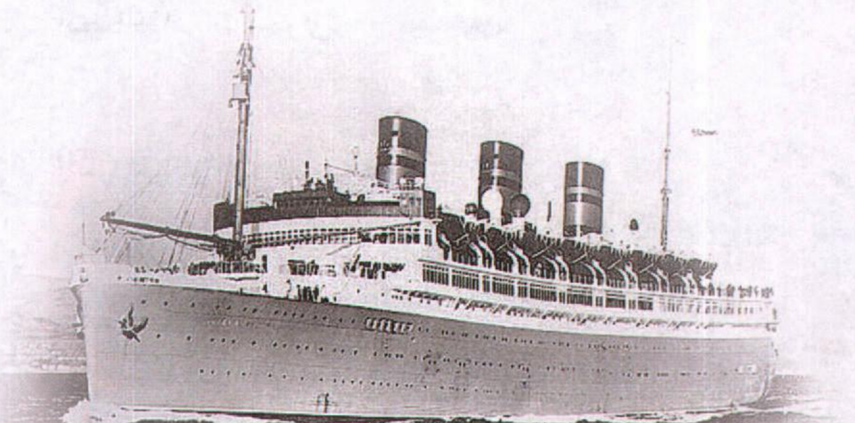
ويتميز بحر (سارجاسو) بهدوئه التام، وتندر به التيارات الهوائية والرياح، وقد أُطلق عليه (بحر الرعب)، (مقبرة الأطلنطي)، وقد أشارت رحلات البحث إلى وجـود سـفن وقوارب وغواصـات راقدة في أعماق البحـر؛ يرجع تاريخها لفترات زمنية مختلفة.



بداية ظاهرة الاختفاء في برمودا:

في عام ١٨٥٠م اختفت من هذه المنطقة أو بالقـرب منها أكثر من ٥٠ سـفينة، اسـتطاع بعض قادتها أن يبعثوا رسائل في لحظـات الخطـر، كانـت مبهمـة وغامضة، لم يستطع أحد أن يفهمها.

ومعظم هذه السـفن المختفية تتبع الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، أولهـا السـفينة (انسـرجنت) الـتي اختفت وعلـى متنهـا ٣٤٠ راكباً، تلاهـا اختفاء الغواصة (اسكوربيون) عام ١٩٦٨م وعلى متنها ٩٩ بحاراً.



ظاهرة اختفاء الطائرات:

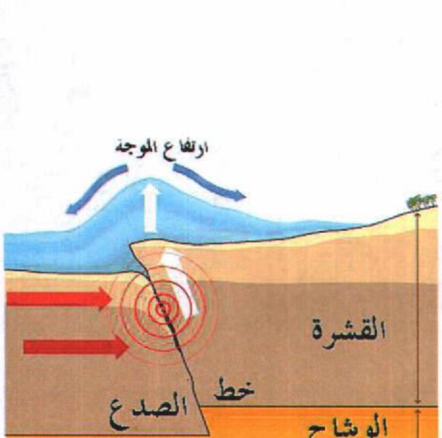


وصل نشاط الاختفاء إلى سماء المحيط الأطلنطي حيث ظاهرة اختفاء الطائرات وهي تحلق في سماء الأطلنطي أو بالتحديد في سماء برمودا.

عام ١٩٤٥م انطلقت من فلوريدا الأمريكية خمسُ طائرات وكانت الطائرات الخمس متقاربة وتطير على شكل مثلث) نحو حطام سفينة يطفو على المحيط وأثناء انتظار القاعدة الجوية لرسالة من السرب لتحديد ميناء الوصول وتعليمات الهبوط، تلقت القاعدة رسالة غريبة من قائد السرب تقول: القائد (الملازم تشارلزتيلور) ينادي القاعدة: نحن في حالة طوارئ يبدو أننا خارج خط السير تماماً " لا استطيع رؤية الأرض، لا استطيع تحديد المكان " اعتقد أننا فُقِدْنا في الفضاء، كل شيء غريب ومشوش تماماً لا استطيع تحديد أي اتجاه حتى المحيط أمامنا يبدو في وضع غريب لا استطيع تحديده ". وانقطعت بعد ذلك سبل الاتصال بين القاعدة والسرب.

واختفت أيضًا طائرات أخرى.

التفسيرات التي تفسر لغز هذا المثلث:



- نظرية الزلازل وعلاقتها بما يحدث في مثلث برمودا: وتقول أن حدوث الهزات الأرضية في قاع المحيط تتولد عنها موجات عاتية وعنيفة ومفاجئة

تجعل السفن تغطس وتتجه إلى القاع بشدة في لحظات قليلة، وبالنسبة للطائرات يتولد عن تلك الهزات والموجات في الأجواء؛ مما يؤدي إلى اختلال في توازن الطائرة وعدم قدرة قائدها على السيطرة عليها.




فيضان تسونامي الواقع في إندونيسيا وما حولها عام ٢٠٠٤م نتيجة زلزال أو خسف في قاع المحيط

- نظرية الجذب المغناطيسي وعلاقتها بما يحدث في مثلث برمودا: إن أجهزة القياس في الطائرات أثناء مرورها فوق مثلث برمودا تضطرب وتتحرك بشكل عشوائي، وكذلك في بوصلة السفينة مما يدل على وجود قوة مغناطيسية أو قوة جذب شديدة وغريبة.




أحد أشكال بوصلات السفن

أحد أشكال أجهزة القياس في الطائرات

إرهاصات قبل خروج المسيح الدجال

قِلّة العرب:



عن أم شـريك أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «ليفرن الناس من الدجال في الجبال». قالت أم شريك: يا رسول الله فأين العـرب يومئـذ؟ قـال: «هـم قليل»[١].

الملحمة وفتح القسطنطينية:

عـن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «عمـران بيت المقدس خراب يثـرب، وخراب يثرب خـروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسـطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»[٢].

الفتوحات:

عن نافع بن عتبة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فأتى النبي ﷺ قومٌ من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمةٍ[٣]. فإنهم لقيام ورسـول الله ﷺ قاعـد. فقالت لي نفسـي: ائتهم، فقم بينهم وبينـه لا يغتالونه[٤]، ثم قلت:

(١) رواه مسلم، وقد تقدم تفصيل ذلك في العلامة رقم (٨٤).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

(٣) أي عند مكان عالٍ ومرتفع.

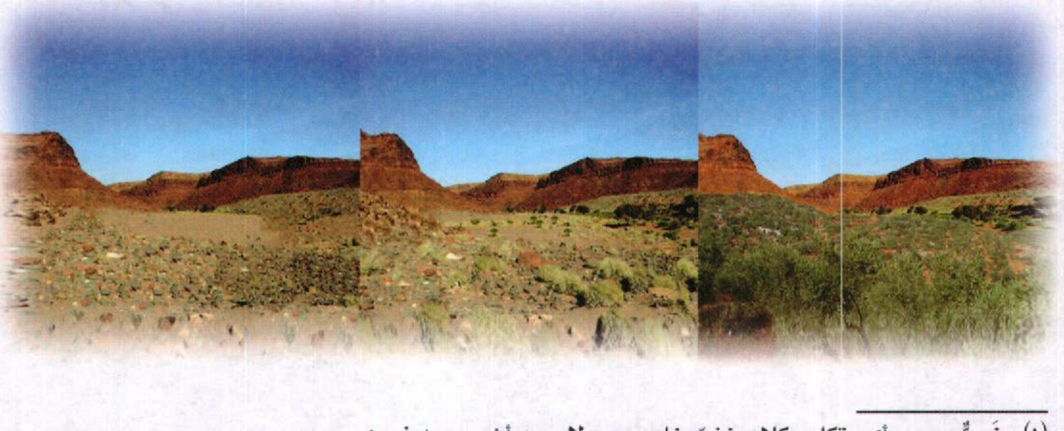
(٤) أي يقتلون رسول الله ﷺ غدراً وخيانة.

لعلّه نَجِيٌّ معهم[١]، فأتيتهم، فقمت بينهم وبينه. فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي، قال: «تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله، ثم فارس، فيفتحها الله عز وجل، ثم تغزون الروم، فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله»[٢].

انحباس القطر والنبات:

ستكون قبل خروج المسيح الدجال ثلاث سنوات عجاف.

فعن أبي إمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد: يأمر الله تعالى السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء، فلا يبقى ذات ظلف[٣] إلا هلكت إلا ما شاء الله»[٤].



(١) نَجِيٌّ معهم: أي يتكلم بكلام خفيّ خاص بهم لا يريد أن يسمعه غيرهم.

(٢) رواه مسلم، وقد تقدمت هذه العلامة برقم (١٠٦).

(٣) أي ذات ظفر مشقوق من البقر والغنم، والمعنى أن هذه البهائم تهلك بسبب انحباس المطر والنبات.

(٤) رواه ابن ماجة وفي سنده مقال، وله شاهد من حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية عند أحمد وأبي داود.

كثرة الفتن (الأحلاس، السراء، الدهيماء)، وتمايز الناس:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في حديث طويل: «.. ثم فتنة السراء: دخنها من تحت قدم رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع»[١]، والورك هو أعلى الفخذ، يصطلح الناس على رجل يملكونه، ولا يصلح ملكاً لجهله، ولا تستقيم له الأمور، كما أن الورك الكبير لا يثبت على الضلع دقيق. قال ﷺ: «ثم فتنة الدهيماء (يعني العظيمة الكبيرة): لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت تمادت وزادت، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا حتى يصير الناس إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده[٢]»[٣].

خروج ٣٠ كذاباً:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا، آخرهم الأعور الدجال ممسوح العين اليسرى»[٤].

■ كيف يخرج الدجال؟

تقدم في حديث تميم الداري رضي الله عنه في ذكر قصة الدجال والجساسة: أنه محبوس إلى الآن في جزيرة من جزائر البحر، وأنه كان حيًا في عهد النبي ﷺ،

(١) تقدم الكلام على ذلك بالتفصيل في العلامات رقم (٩٩) و(١٠٠) و(١٠١) من العلامات الصغرى.

(٢) رواه أبو داود، وقد تقدمت هذه العلامة برقم (١٠١) من العلامات الصغرى.

(٣) تقدم شرح المراد بهذا الحديث تفصيلاً ص(١٤٤).

(٤) رواه أحمد وابن حبان وابن خزيمة والحاكم وصححه، وقد تقدمت هذه العلامة برقم (١١) من العلامات الصغرى.

وأنه رجل عظيم الخلقة، رآه تميم الداري ومعه ثلاثون رجلًا، رأوه موثقًا بالسلاسل، وحصلت محاوره بينهم وبينه، وأخبرهم أنه الدجال وأنه سيخرج من غضبة يغضبها يعني: تتحطم السلاسل ويخرج[(١)].

سبب خروجه

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: لقيت ابن صائد[(٢)] في بعض طرق المدينة فقلت له قولاً أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة[(٣)]، فدخل ابن عمر على حفصة بنت عمر وقد بلغها - أي بلغها إغضاب ابن عمر لابن صائد - فقالت له: رحمك الله! ما أردت من ابن صائد؟ أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما يخرج من غضبة يغضبها؟»[(٤)].

سرعته في الأرض

سُئل صلى الله عليه وسلم عن إسراع الدجال في الأرض فقال: «كالغيث استدبرته الريح»[(٥)].

والمعنى: أن الدجال يسرع في الأرض. يتجول في أقطار الأرض كلها:

عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج الدجال في خفة من الدين، وإدبار من العلم، وله أربعون يومًا يسيحها[(٦)]، اليوم منها كالسنة، واليوم كالشهر،

(١) تقدم تفصيل ذلك قبل صفحات يسيرة.
(٢) يعني ابن صياد، وقد تقدم تفصيل الكلام عنه ص(٢١٩).
(٣) أي انتفخ حتى ملأ الطريق.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه مسلم.
(٦) أي يطوف ويسعى فيها.

واليوم كالجمعة، ثم سائر أيامه مثل أيامكم، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعًا، يأتي الناس فيقول: أنا ربكم. وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، يمر بكل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه، وقامت الملائكة بأبوابهما»[١].

الأماكن التي يأتيها الدجال

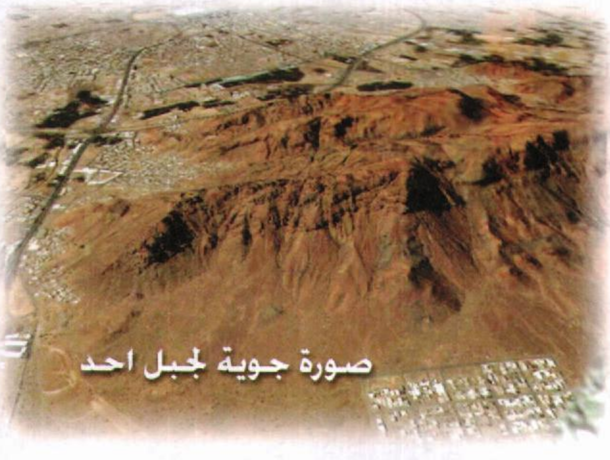
عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة»[٢].

والدجال لن يسمح له بدخول مكة والمدينة.

وقال ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون[٣] ولا الدجال»[٤].

وقال ﷺ: «يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى إذا جاء دبر أحد»[٥].

وفي رواية: «أنه يصعد أحد وينظر إلى المسجد النبوي من بعيد ويقول لمن حوله من أتباعه: أترون القصر

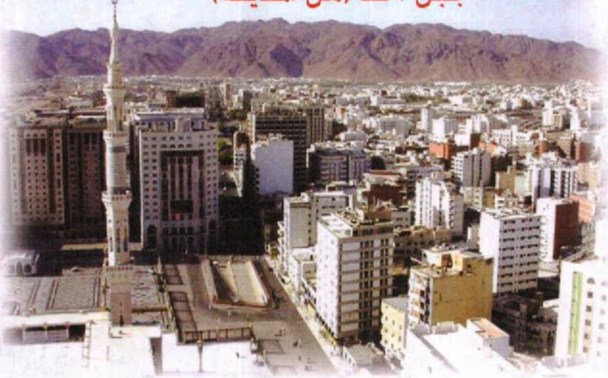


صورة جوية لجبل احد

(١) رواه أحمد والحاكم في المستدرك وصححه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد " رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.
(٢) متفق عليه.
(٣) الطاعون: بثور أو أورام تظهر في الجسم، مع التهاب شديد ومؤذ جدا وهو مرض معدٍ.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه البخاري.

الأبيض - يعني مسجد النبي ﷺ - حتى إذا جاء دبر أحد تلقته الملائكة فضربت وجهه قبل الشام هناك يهلك هناك يهلك»[1].

جبل أحد (من المدينة)





صورة جوية لمسجد النبي ويبدو كأنه قصر أبيض

وفي رواية أخرى: عن محجن بن الأدرع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: «يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟، يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟، يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟»، ثلاثًا، فقيل له: وما يوم الخلاص؟!! قال: «يجيء الدجال فيصعد أحداً فينظر المدينة، فيقول لأصحابه: أترون هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد. ثم يأتي المدينة، فيجد بكل نقب منها مَلَكًا مُصْلتًا[2] فيأتي سبخة الجرف. فيضرب رواقه ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات[3] فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه فذلك يوم الخلاص»[4].

(١) رواه مسلم.
(٢) أي رافعًا سيفه مانعًا له من دخول المدينة.
(٣) أي ثلاث هزّات.
(٤) رواه أحمد وإسناده حسن، وبعضه في الصحيحين.

وقـال ﷺ «ليس من بلد إلا سـيطؤه الدجال إلا مكـة والمدينة، وليس نقب مـن أنقابها إلا عليه الملائكة حافين تحرسـها فينزل في السـبخة (وفي رواية يأتي سبخة الجرف) فيضرب رواقه (أي ينزل ويُعسكر هناك).

وفي روايـة: «حتى ينـزل عند الظريب الأحمر (موضع قـرب المدينة) عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، ويخرج اليه منها كل كافر ومنافق»[١].

و «السبخة»: أرض ذات ملح والغالب على أراضى المدينة ذلك، ولكن أشدها يقع شمالها.



و «الجـُرُف»: هـو مـن نواحي المدينـة يقع شمالهـا على ثلاثة أميـال منها، وذكـر بعضهم أن الجـرف: ما بـين محجة الشـام إلى القصاصين، ومحجة الشـام هيـس: طريـق حجـاج الشـام، يأتى مـن ناحيـة (مخيض) إلى (غرابات) وغراب الضائلة أو (جبل حبشى)، ومن مناطق الجرف ما يسـمى - اليوم - بحي الأزهرى، ولكن النصوص التي سقناها تدل على أن الجرف يمتد إلى (مر قناة).

وقنـاة هو وادى الحمض، ويشـمل: مجتمع الأسـيال، كل هذا سماه (تبع اليماني) جرف الأرض لما شخص من منزله بقناة.

(١) جـزء من حديث طويـل رواه ابن ماجة عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، والحديـث في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه دون ذكـر "الظريب الأحمر".

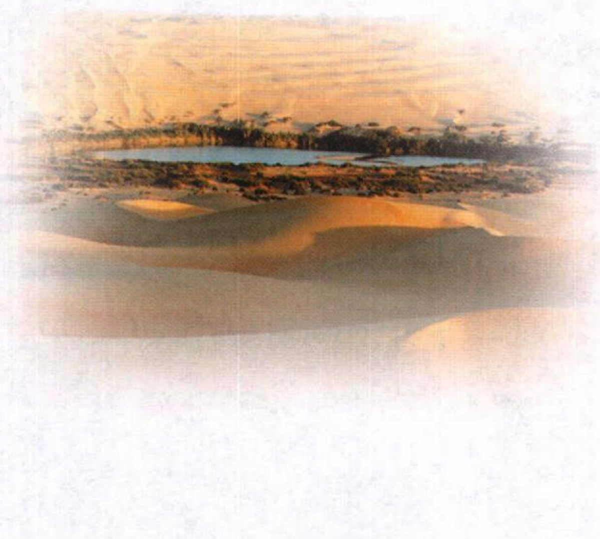
يتلخص لنا من كل ما سبق أن المسيح الدجال ينزل وراء أحد في السباخ التي هناك، يضرب رواقه أو قبته في السبخة التي خلف أحد، في آخر الصادقية شمالي ثور، وفي هذه البقعة جبيلات صغار حمر، تذكر من يراها قول النبي ﷺ.

وفي قصة تميم الداري مع الدجال والجساسة:

أن الدجال قال لتميم وأصحابه: «إني يوشك أن يؤذن لي بالخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية في الأرض إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، وهما محرمتان علي كلتيهما، كلما أردت أن أدخل واحداً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتًا (أي شاهراً سيفه) يصدني عنها، وإنه على كل نقب منها ملائكة يحرسونها».

■ من فتنة الدجال

من فتنته:



عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار»[1].

وقال: «إن معه ماء ونار، فناره ماء بارد وماؤه نار»[2].

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

وقـال: «وأنا أعلم بما مـع الدجال منه، معه نهران يجريـان، أحدهما رأي العـين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأتِ الذي يراه ناراً»[١].

وفي روايـة: «فليـأتِ الـذي يراه نـاراً، وليغمـض، ثم ليطأطئ رأسـه (أي يخفض رأسه) في النار هذه فيشرب منه، فإنه ماء بارد»[٢].

وفي روايـة: قـال: «فأما الذي يـراه الناس ماءً فنار تحـرق، وأما الذي يراه النـاس نـارًا فماء بارد عذب، فمـن أدرك ذلك منكم فليقع في الـذي يراه نارًا فإنه ماء عذب طيب»[٣].

ومن فتنته

تأثيره في الجمادات والحيوانات:



عن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النـبي ﷺ قـال: «يأتي على القـوم فيدعوهـم فيؤمنـون بـه فيأمـر السـماء فتمطـر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سـارحتهم (أي ترجـع إليهم ماشـيتهم ودوابهم التي خرجت ترعى) أطول ما كانت ذُرا (شعرها طويـل) وأسـبغه ضروعًا (ممتلئة بالحليب)، وأمـده خواصر (الخاصرة هي الجنب،

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.



أي سمينة شبعى)، ثم يأتي القوم فيدعوهـم فيردون عليه قوله (أي يكفـرون بـه)، فينصـرف عنهـم فيصبحون ممحلين (أي: مجدبة أراضيهـم ذاهبـة زروعهم)، ويمر بالخربـة[١] فيقـول لهـا: أخرجـي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب[٢] النحل»[٣].

ومن فتنته

أنـه يقـول للأعرابـي: أرأيت إن بعثت لـك أباك وأمك؟ أتشـهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شـيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني، اتبعه فإنه ربك "[٤].



(١) أي الأرض الخراب

(٢) اليعسوب: ذكر النحل، والمعنى أي تظهر له وتجتمع عنده.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه ابن ماجة والحاكم وصححه على شرط مسلم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

ومن فتنته



أنه يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيقطعه بالسيف نصفين. ثم يقول الدجـال للناس: انظروا إلى عبدي هذا فإنـي أبعثه ثم يزعم أن له رباً غيري، فيأمر الدجال هذا الرجل أن يقوم حياً، فيقوم وقد أحياه الله وليس الدجال، لكن يري الدجال أنه أحياه ويلتئم الشقان، فيقول الخبيـث: من ربك؟ فيقول: ربي الله وأنت عـدو الله أنـت الدجـال "[١].

■ اعتقادات خاطئة حول الدجال

أن معه جبلاً من خبز وطعام وأن الدنيا فيها مجاعة:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «ما سأل رسول الله ﷺ أحد عن الدجال أكثر مما سـألته عنه فقال لي: «أي بني وما ينصبـك منه؟ إنه لن يضرك» (أي: ما يشغلك ويُتْعبك من شأنه فإنه لن يضرك). قلت: إنهم يزعمون أن معه أنهار الماء وجبال الخبز. قال: «هو أهون على الله من ذلك»»[٢].

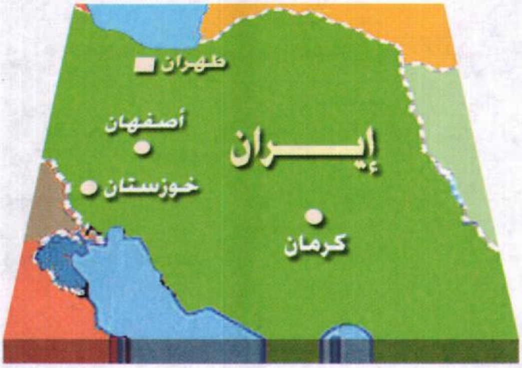
■ أتباعُ الدجال

لا شـك أن الدجـال مع تعـدّد قدراته، وتنوع فتنته، واسـتعماله لأسـاليب مختلفة لإضلال الناس وجرّهم إلى اتباعه، واعتقاد ألوهيته، لا شك أن ذلك كله يفتن أعداداً من الناس به، فيتبعونه رغبة فيما عنده، أو رهبة مما عنده، أو حرصاً على حرب الإسلام وأهله، ومن هؤلاء:

(١) سيأتي تفصيل قصة الشاب عند الكلام عن سبل العصمة من الدجال.

(٢) متفق عليه.

اليهود:



عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يتبع الدجال من يهود أصفهان[(١)] سبعون ألفاً، عليهم الطيالسة[(٢)]»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لينزلن الدجال خوز[(٤)] وكرمان[(٥)] في سبعين ألفًا وجوههم كالمجان المطرقة»[(٦)].



مجموعة يهود عليهم الطيالسة



الطيلسان



أحد حاخامات اليهود يلبس الطيلسان

---

(١) أصفهان: مدينة إيرانية تقع في وسط إيران، تبعد عن طهران (العاصمة الإيرانية) ٣٤٠كم تقريبًا جنوبًا، ويسكنها حسب المصادر الرسمية من ٢٥-٣٠ ألف يهودي، ومساحة مدينة أصفهان ١٠٥,٩٣٧كم²، للاستزادة انظر موقع يهود إيران: www.iranjewish.com.

(٢) الطيالسة: نوع من اللباس يُلبس على الرأس ويُسدل على بقية البدن، ومفرده طيلسان..

(٣) رواه مسلم.

(٤) تسمى الآن إقليم خوزستان غربي إيران

(٥) إقليم في الجنوب الشرقي من إيزان

(٦) رواه أحمد بإسناد حسن

والمراد «بالمجان المطرقة» أي: أن رؤوسهم قصيرة، ووجوههم بيضاوية أو مدورة، وفي نفس الوقت مسطحة بسبب بروز وارتفاع عظام الخدود والوجنات، وتكوينات العيون والأنف، حيث يبدو محور العين بائناً.

والمجان جمع مِجَنّ، والمجن هو الترس، والمُطْرَقة أو المُطَرّقة هي صفة لهذه التروس، أي أن وجوه هؤلاء الأقوام الذين يتبعون الدجال عريضة ومكتنزة لحما.

?! مسألة

لماذا يكون أكثر أتباع الدجال هم اليهود؟

الجواب:
أن من عقيدة اليهود في الدجال: أنه هو مسيح اليهود المنتظر!

ويعتقد اليهود أن الله وعدهم بملِك منتظر من نسل داوود يأتي ويقيم لهم دولة اليهود ويسمونه في كتبهم: الميسياه.

ومن طقوس اليهود: صلوات يستحثون فيها المسيح الدجال للخروج.. وخصصوا ليلة عيد الفصح[١] اليهودي، بأدعية خاصة بذلك.

قال في التلمود:

لما يأتي المسيح تطرح الأرض فطيراً وملابس من صوف وقمحاً حبه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة وفي ذلك الزمان ترجع السلطة لليهود وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه، وثلاثمائة وعشرة أكوان تحت سلطته ولكن لا يأتي المسيح

(١) أحد أعياد اليهود المعظمة عندهم.

إلا بعد انقضاء حكم الأشرار ويتحقق منتظر الأمة اليهودية بمجيء إسرائيل وتكون تلك الأمة هي المتسلطة على باقي الأمم عند مجيئه.[١]

الكفار والمنافقون:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال؛ إلا مكة والمدينة، وليس نَقْب من أنقابها إلا عليها الملائكة حافين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»[٢].

وقد تقدم الكلام عن معاني هذا الحديث.

جهلة الأعراب:

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في حديث طويل: «وإن من الفتنه أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك؛ أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فَيُمَثَّل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني! اتبعه؛ فإنه ربك»[٣].



خِيَام أعراب في الصحراء

(١) نقلا من كتاب (الكنز المرصود في قواعد التلمود) الفصل السابع، (المسيح وسلطان اليهود).

(٢) متفق عليه

(٣) رواه ابن ماجة والحاكم وصححه.

قوم وجوههم كالمجان المطرقة:

عن أبي بكر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خرسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة»[١][٢].



صور لقوم كأن وجوههم المجان المطرقة

النساء:

قال ﷺ: «ينزل الدجال في هذه السبخة بمر قناة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه[٣] وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه»[٤].

وقد تقدم الكلام عن موضع السبخة ومرّ قناة.

---

(١) رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة.

(٢) المَجانّ: جمع مجن وهو التُّرس.

المُطْرَقَة: بالتخفيف اسم مفعول من الإطراق التُّرس المُطْرَق الذي جُعِل على ظهره طِرَاق والطِّرَاق بالكسر جِلد يُقْطَع على مِقْدَار التُّرس فيُلصَق على ظهره، شبَّه وجوههم بالتُّرس لِبَسْطِها وتدويرها، وبالمُطْرَقة لغِلَظِها وكثرة لَحْمَها.

(٣) الحميم: من يقرب منه كالأب أو الجد أو الأخ الأكبر.

(٤) رواه أحمد، قال الشيخ الألباني في " قصة المسيح الدجال " (ص: ٨٨): إسناده حسن لولا عنعنة محمد بن إسحاق.

مدة مكوث الدجال

سُئِل ﷺ عن مُكْثِه في الأرض؟ فقال: «أربعون يوماً، يوم كسنة (أول يوم من الأربعين يومًا يمر كسنة)، ويوم كشهر (اليوم الذي بعده يمضي كشهر)، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»[1].

قال الصحابة: يا رسول الله، فذاك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة اليوم؟ فقال ﷺ: «لا تكفي، ولكن اقدروا له قدره[2]»[3].

طريق النجاة من فتنة الدجال

البُعد عن لقائه:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يُبْعث به من الشبهات»[4].

ومعنى الحديث: من سمع بخروج الدجال فليبتعد عنه ولا يقربه؛ فإن الرجل يأتي الدجال ويظن نفسه أنه قوي الإيمان فإذا به يكون من أتباعه وأنصاره لما يلقيه الدجال من المشكلات كالسحر وإحياء الموتى وغير ذلك.

---

(١) متفق عليه.

(٢) ومعنى: «اقدروا له قدره» أي إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح، ثم الظهر، ثم العصر، ثم المغرب، وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم. انظر شرح النووي على مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد وأبو داود في السنن، والحاكم في المستدرك وصححه على شرط مسلم، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وعن أم شريك - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «ليَفِرَّن الناس من الدجال في الجبال»[١].

وفي هذا الزمن سيكون للمسلمين إمام (أي: خليفة) وهو المهدي الخليفة العادل.



الاستغاثة بالله:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فمن ابتلي بناره فليستغث بالله»[٢].

معرفة أسماء الله وصفاته:

لأن الدجال أعور، والله عز وجل ليس بأعور، بل هو عز وجل جميل مُنَزَّهٌ عن العيوب والنقائص، قدوس متنزه عن العيوب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣].

قراءة فواتح سورة الكهف، وهي العشر الآيات الأولى:



عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»[٤].

وهذه الآيات العشر هي:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجة في السنن وفي سنده مقال.

(٣) الشورى: ١١

(٤) رواه مسلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن
لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ
أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ
إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ
وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ
رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾[1].

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «**من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**»[2].

قيل السبب:

أن أول السورة فيها ذكر أن الله أمن فتية الكهف من الطاغية الجبار الذي أراد أن يبطش بهم.

وقيل: إن في هذه العشر آيات من العجائب لقصة أهل الكهف وكيف نجوا، فيتذكرها المسلم عند مقابلته للدجال.

(١) الكهف: ١-١٠

(٢) رواه مسلم

قراءة سورة الكهف كاملة

عن أبي سـعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سـورة الكهف كما أنزلت، ثم أدرك الدجال، لم يسلط عليه أو لم يكن له عليه سبيل»(١).

اللجوء إلى أحد الحرمين الشريفين والاعتصام به:

لأن الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة.







الاستعاذة من فتنة الدجال في آخر الصلاة:

وذلك في التشـهد قبل السـلام، وذلك بأن تقول: «اللهـم إنـي أعوذ بـك من عـذاب النار ومـن عذاب القبر ومـن فتنة المحيا والممات(٢) ومن فتنة المسـيح الدجال»(٣).

(١) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٦٥١).

(٢) ومعنـى (فتنـة المحيا) ما يعرض للإنسـان مدة حياته من الافتتان بالدنيا وشـهواتها أو هـي الابتلاء مع زوال الصـبر، وفتنـة (الممـات) أي ما يفتن به عند الموت أو المراد فتنة القبر أي سـؤال الملكين والمراد من شـر السـؤال والعذاب الذي يقع في القبر.

(٣) متفق عليه.

تبيين أمر الدجال للناس للوقاية منه:

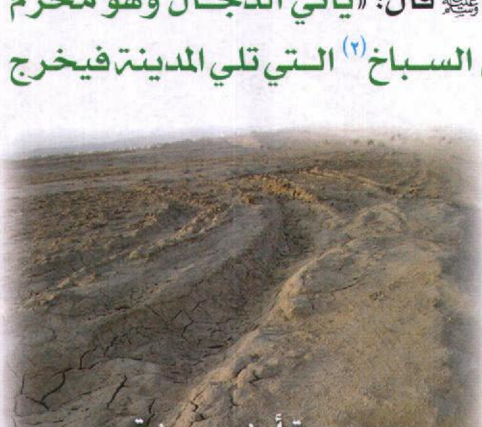
عن الصعب بن جثامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذِكْرِه»[1]، أي لا أحد يَذْكر الدجال ولا يتعرض له، فإذا تناساه الناس، وتناسوا صفاته، والتحذير منه - مع كثرة الفتن - ظهر الدجال.

التسلح بالعلم الشرعي:



فالعلم الشرعي مع الإيمان بالله عز وجل، سلاح في وجه كل فتنة، ومن ذلك فتنة الدجال، وقد ذكر النبي ﷺ في قصة مواجهة شاب مؤمن بطل من أهل المدينة للدجال ما يبيّن لنا أهمية العلم بالإيمان في العصمة من الفتن.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نِقاب المدينة فينزل بعض السباخ[2] التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس



صورة أرض سبخة

- فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه.
- فيقول الدجال للناس الذين معه: أرأيتم إن قتلت هذا وأحييته هل تشكون في الأمر؟

(١) رواه عبد الله بن أحمد وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٦٤٦).
(٢) السبخة الأرض المالحة.


صورة أخرى قريبة لأرض سبخة

- فيقولون: لا

فيقتله، ثم يحييه، -وفي رواية: فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض[١]- ثم يدعوه، فيقبل (أي: الشاب) يتهلل وجهه يضحك

- فيقول - اي الشاب -: والله ما كنت فيك قطّ أشدَّ بصيرة مني الآن».

وفي رواية: «يخرج الدجال فيتوجه قِبَلَه - أي نحوه - رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح (أي مسالح الدجال وهم حراسه وأعوانه)

- فيقولون له: أين تعمد؟
- فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج!
- فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟!
- فيقول: ما بربنا خفاء[٢]!
- فيقولون: اقتلوه.
- فيقول بعضهم لبعض: أليس نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه؟!
- فينطلقون به، فإذا رآه المؤمن يقول: أيها الناس هذا المسيح الدجال، الذي ذكر رسول الله ﷺ،

(١) أي يقطعه نصفين جزأين، وتتفرق القطعتان من قوة الضربة، حتى أن مسافة ما بين القطعتين رمية السهم.
(٢) أي لو نظرت إلى الدجال سأعرفه من صفاته أنه الدّجال.

فيأمر به الدجال فيُشبح (أي يُمد ليضرب).

- فيقول: خذوه وشجوه،

ويوسع بطنه وظهره ضربًا.

- فيقول: أو ما تؤمن بي؟
- فيقول: أنت المسيح الكذاب.

فيأمر به، فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، ثم يمشي الدجال بين القطعتين[١].

- ثم يقول له: قم.

فيستوي قائماً.

- فيقول له -أي الدجال-: أتؤمن بي؟
- فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة.
- ثم يقول (أي: المؤمن): أيها الناس، إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس.

فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل الله بين رقبته إلى ترقوته[٢] نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلًا فيأخذ برجليه ويديه، فيقذف به في النار التي معه فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقي به في الجنة. ثم قال ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»[٣].

(١) أي: يضع المنشار في مفرق رأسه وهو وسطه ثمّ يشقّه حتى يصل إلى أسفله، ثم يمشي الدجال مفتخراً بين القطعتين.

(٢) هي العظمة البارزة بين ثغرة النحر والعاتق.

(٣) رواه مسلم.

فائدة

هـذا الحديـث يدل على أهميـة تعلم العلم الشـرعي، فإن هذا الشـاب لـولا أنّ عنده علماً مسـبقاً بصفـة الدجال، لما اكتشـف أنه الدجال، لذلك على كل من يواجه أهل الباطل أن يتسلح بالعلم.

وقد تأكد هذا الشـاب أن هذا هو الدجال، وأنـه لن يفعل هذا القتل بغـيره، لأن الشـاب طالـب علم قـد قرأ الحديـث، وعلم أنه الشـاب المقصود به.

إعداد العدة لحربه كما سيفعل المؤمنون في ذلك الزمان:

عـن أبي هريـرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قـال: «فبينما هم (أي المسـلمون) يعدون للقتال يسوون الصفوف؛ إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم... »[1].

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن خروج الدجال وإعداد المهدي وأصحابـه لقتاله: «حتـى يأتي المدينة فيغلـب على خارجها ويمنـع داخلها، ثـم يأتي جبل إيلياء (بيـت المقدس)، فيحاصر عصابة من المسـلمين، ويلقى المؤمنون شـدة شـديدة. فيقول لهم الذين عليهم ما تنتظـرون بهذا الطاغية أن تقاتلـوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم فيأتمـرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم.. »[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الحاكم وقال وصححه، وقال الذهبي على شرط البخاري ومسلم.

ومما يفعله المسلم عند لقاء الدجال:

- ما جاء عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «.. وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن، فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه وليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف، وإنه يسلط على نفس من بني آدم فيقتلها ثم يحييها»[(١)].

- ما روى أبو قلابة عن رجل من الصحابة أن النبي ﷺ قال: «ثم إن من بعدكم، أو إن من ورائكم الكذاب المضل، وإن رأسه من ورائه حُبُكٌ حُبُك[(٢)]. وإنه سيقول: أنا ربكم. فمن قال: كذبت لست ربنا، ولكن الله ربنا، وعليه توكلنا، وإليه أنبنا ونعوذ بالله منك. قال: فلا سبيل له عليه»[(٣)].

■ هلاك الدجال

في بلاد الشام

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يأتي المسيح من قِبل المشرق[(٤)]، وهمته المدينة، حتى ينزل دُبُر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهناك يهلك»[(٥)].

---

(١) أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم

(٢) أي أن شعر رأسه متكسر من شدة الجعودة ليس ناعماً.

(٣) رواه أحمد بإسناد حسن

(٤) تقدم أنه يخرج من خلة بين الشام والعراق، من جهة خرسان.

(٥) رواه مسلم.

قاتل الدجال هو عيسى بن مريم عليه السلام:



عن مجمع بن جارية رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «**يقتل ابن مريم الدجال بباب لدّ**[1]»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**فبينما هم** (أي المسلمون) **يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم**».

وفي رواية «**فينزل** -يعني عيسى عليه السلام- **عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين** (يعني ثوبين مصبوغين) **واضعاً كفيه على أجنحة مَلَكين، إذا طأطأ رأسه يقطر ماءاً، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر أن يجد ريح نفسه إلا مات**»، (ونفس عيسى عليه السلام ينتهي حيث ينتهي طرفه على مد البصر، بمعنى أن الكفار الموجودين في الدائرة التي نصف قطرها مد بصر عيسى يموتون).

وأخبر النبي ﷺ أنه عند نزول عيسى عليه السلام يكون المسلمون قد استعدوا للصلاة فيكون قائدهم وإمامهم المهدي فبينما إمامهم قد تقدم بهم وبدأ يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى عليه السلام فرجع ذلك الإمام ينكص (أي تراجع عن موضع الإمام لأن عيسى أفضل منه فيريد أن يتقدم الفاضل للإمامة) يمشي القهقرى[3] فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له:

(١) قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين.
(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.
(٣) أي للوراء.

تقـدم فصلّ فإنها لك أقيمت (وهـذه تكرمة من الله عَزَّوَجَلَّ لهذه الأمة أن يؤم عيسـى رجل من أمة محمـد ﷺ) فيصلي بهم إمامهم فـإذا انصرف (أي إذا انتهى الإمام وانصرف من الصلاة) قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: افتحوا الباب.



فيفتحون ووراءه الدجال ومعه سـبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وتاج.

فـإذا نظـر إليـه الدجـال ذاب كما يـذوب الملـح في الماء وينطلق هارباً فيدركه عيسـى بباب لد (وهو مكان معروف بفلسـطين بني فيـه اليهود اليـوم قاعدة عسـكرية)(١) فيقتله، فينماع الخبيث كما ينماع الملح في الماء (أي: يذوب) لكن عيسـى يدركه ويضربه بحربة في يده فيريهم آثار الدم على الحربه(٢).

ثـم يهزم الله اليهود فلا يبقى شـيء مما خلـق الله عَزَّوَجَلَّ يتوارى (أي: يختبـأ) به اليهـود إلا أنطق الله ذلك الشـيء إلا الغرقد (وهو نوع من شجر اليهود)(٣)





صور لشجر الغرقد

(١) وقد تقدم بيان موقعها في الصفحة السابقة.

(٢) أي الرمح الذي رمى به على الدجال فقتله.

(٣) رواه ابن ماجة بإسناد حسن.

وفي رواية: عن مجمع بن جارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حتى يأتي المدينة فيغلب على خارجها ويمنع داخلها، ثم يأتي جبل إيلياء (أي: بيت المقدس) فيحاصر عصابة من المسلمين، ويلقى المؤمنون شدة شديدة، فيقول لهم الذين عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم، فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع الله لمن حمده، قتل الله المسيح الدجال، وظهر المسلمون، فيقتل الدجال ويهزم أصحابه حتى إن الشجر والحجر والمدر[١] يقول: يا مؤمن هذا يهودي عندي فاقتله»[٢].

وفي رواية: «حتى يدركه بباب لد فيقتله»[٣].

ثم يأتي عيسى بنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه (أي حماهم الله من الدجال)، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان - أي لا قدرة - لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور.

يعني يأجوج ومأجوج، وسيأتي ذكرهم تفصيلا[٤].

أشد الناس على الدجال

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لا أزال أحب بني تميم[٥]، بعد ثلاث سمعتها من النبي ﷺ يقولها فيهم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هم أشد أمتي على الدجال»،

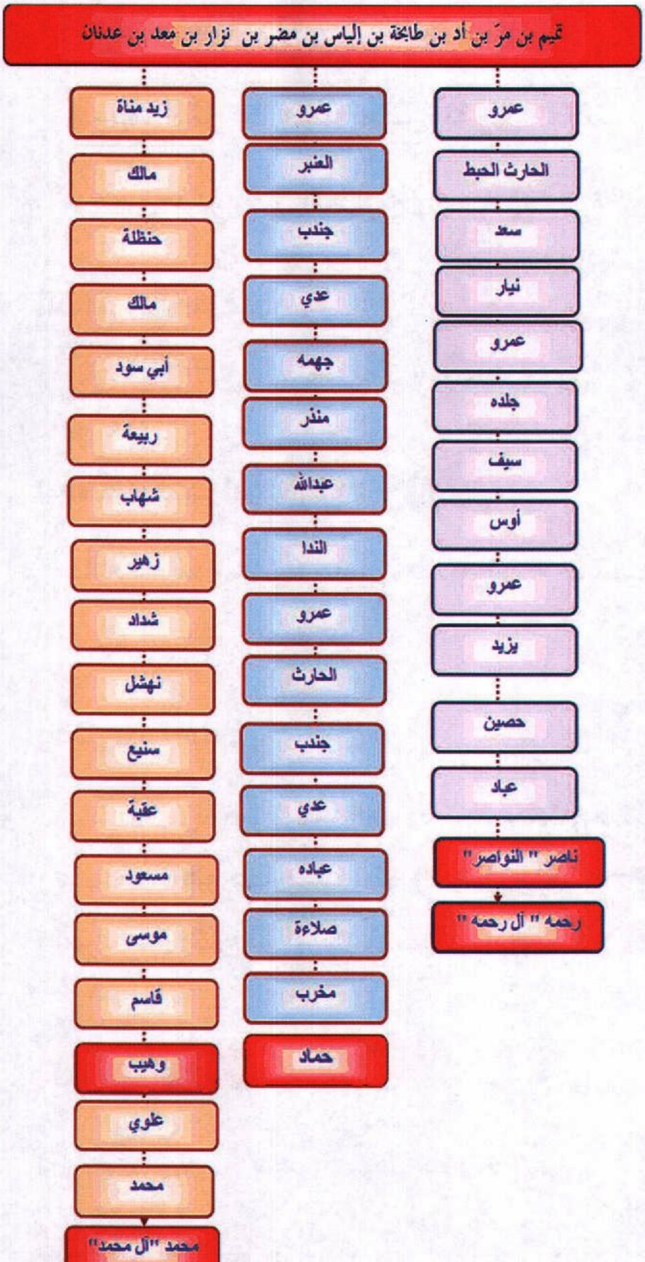
(١) أي: الطين اللزج المتماسك.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك وصححه.
(٣) رواه مسلم.
(٤) انظر العلامة (٤) من العلامات الكبرى.
(٥) بنو تميم قبيلة مشهورة من قبائل العرب.

وجاءت صدقاتهم، فقال: «هذه صدقات قومنا»، وكانت سبية منهم عند عائشة، فقال رسول الله ﷺ: «أعتقيها، فإنها من ولد إسماعيل» »[1].

وعن عكرمة بن خالد قال حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ: أن تميمًا ذُكِروا عند النبي ﷺ فقال رجل: أبطأ هذا الحي من بني تميم عن هذا الأمر. فنظر رسول الله ﷺ إلى مُزينة فقال: «ما أبطأ قومٌ هؤلاء منهم».

وقال رجل: أبطأ هؤلاء القوم من بني تميم بصدقاتهم؛ فأقبلت نِعَمٌ حمر وسود لبني تميم. فقال ﷺ: «هؤلاء نِعَمُ قومي».

ونال رجل من بني تميم عند النبي ﷺ فقال: «لا تقل لبني تميم إلا خيراً؛ فإنهم أطول الناس رماحاً على الدجال»[2].



شجرة نسب بني تميم

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح.

منكروا خروج الدجال!!

قديماً أنكر خروجه بعض الفرق الضالة، كالمعتزلة والجهمية..

وممن أنكره من المُحْدَثين:

الشيخ محمد عبده[١]:

وقال: «الدجال هو كناية عن الخرافات والدجل والشعوذة»[٢].

محمد فهيم أبوعيبة[٣]:

في تعليقه على أحاديث الدجال في كتاب الملاحم لابن كثير[٤] قال: «هذا انتشار الفساد والشر».

وقال بعضهم:

سيظهر لكن ليس معه فتن لا جنة ولا نار، منهم العلامة: محمد رشيد رضا[٥] -وهو صاحب علم وفضل ولكنه أخطأ في هذه المسألة- والتكذيب بشيء من أشراط الساعة خطأ فادح.

---

(١) هو محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية في عصره، توفي بالاسكندرية، سنة ١٩٠٥م، ودفن في القاهرة. انظر الأعلام للزركلي (٦ / ٢٥٢).

(٢) نقله عنه صاحب "تفسير المنار (٣ / ٣١٧).

(٣) محقق كتاب ابن كثير (النهاية في الفتن والملاحم).

(٤) انظر: (١ / ١١٨ - ١١٩).

(٥) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل الحسيني ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس.

ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، توفي فجأة في (سيارة) كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة ودفن بالقاهرة.

أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلدا، و(تفسير القرآن الكريم) اثنا عشر مجلدا، ولم يكمله. انظر: الأعلام للزركلي (٦ / ١٢٦)، وكلامه عن المسيح الدجال مذكور في تفسير (تفسير المنار) (٩ / ٤٩٠).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: ألا إنه سيكون من بعدكم قوم يكذبون بالرجم وبالدجال وبالشفاعة وبعذاب القبر وبقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا»[(١)].

وقوله «يكذبون بالرجم» أي: ينكرون رجم الزاني المحصن.

قوله: «وبقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا»: أي ينكرون الشفاعة لقوم من الموحّدين دخلوا النار بأن يخرجوا منها.

وأختم الكلام عن الدجال بذكر خمس مسائل:

١ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟! الشرك الخفي؛ أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»[(٢)].

فالرياء أمره خطير، وهو أن يعمل الإنسان العمل الصالح يقصد به نظر الناس وثناءهم، وهو شرك خفي محبط للعمل، ويقال لأهل الرياء يوم القيامة: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون بأعمالكم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟"[(٣)].

٢ عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال: الأئمة المضلون»[(٤)].

(١) رواه أحمد في مسنده وفي سنده مقال.

(٢) رواه أحمد، وابن ماجة وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٧).

(٣) رواه أحمد وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٠٢) ورجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه أحمد وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (رقم ١٩٨٩).

وأئمة الضلال وقادته خطرهم على الأمة عظيم، فإذا كان رأس الناس المؤثر فيهم ضالاً ضلّ من تحته، وأئمة الضلال قد يكونون أئمة في الدنيا كالملوك والأمراء والوزراء، وقد يكونون في الدين كالعلماء والدعاة، فإذا تصدّر على الناس القادة الضالون فسد أمرهم جميعاً.

٣ عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوءهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»[١].

فظهر أن حركة الجهاد في هذه الأمة حركة متتابعة، وأن أولها وآخرها بعضها مع بعضها، ولا ينقطع الجهاد حتى يقاتل آخر الأمة الدجال.

٤ الثبات في الفتن أصل من أصول الشريعة؛ ولذلك قال ﷺ لما ذكر فتنة الدجال: «يا عباد الله فاثبتوا»[٢].

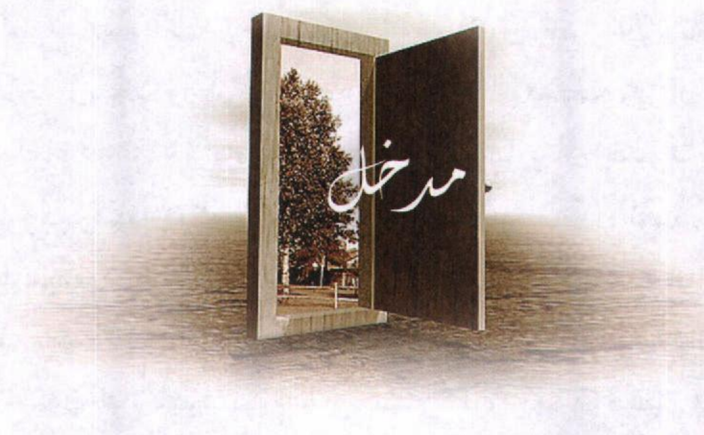
وألا نشعر بالتشاؤم وفقدان الثقة من أحاديث الفتن، بل نحرص على الازدياد من الإيمان والثبات.



٥ نلحظ من حديث الدجال وغيره أن قتال آخر الزمان يكون بالسلاح الأبيض، وهو السيوف والرماح والخيول[٣].

(١) رواه أحمد، وأبو داود، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(٢) رواه مسلم من حديث، النواس بن سمعان
(٣) وقد تقدم تفصيل ذلك في العلامة رقم (١٠٩).

نزول عيسى عليه السلام



عيسى عليه السلام نبي من أنبياء الله عز وجل من أولي العزم المقربين، اختصّه الله عز وجل بأن يولد من أم دون أب، وكانت مريم أم عيسى عليه السلام متميّزة بصلاحها، وتتعبّد في المحراب، والله عز وجل يرزقها.



محراب زكريا عليه السلام الذي طاله حريق الأقصى الشهير، أعيد ترميمه فيما بعد، وليس أكيدًا أنه المعني في القرآن الكريم.

قال الله عز وجل: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[1].

وكان زكريا عليه السلام قد جعل لها مكاناً شريفاً من المسجد لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله فيه ليلها ونهارها، وكان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، فيسألها "أَنَّى لَكِ هَذَا"، فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾،

(١) آل عمران: ٣٧

أي رزق رزقنيه الله ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. بشارة الملائكة لمريم: قال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٢) يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ (٤٣)﴾[١]. يذكر عز وجل أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء زمانها، بأن اختارها لإيجاد ولد منها من غير أب، وبُشرت بأن يكون نبياً شريفاً ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾[٢]، أي في صغره يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكذلك في حال كهولته، فدل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو إلى الله فيها، وأُمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع؛ لتكون أهلاً لهذه الكرامة وتشكر هذه النعمة، فيقال إنها كانت تقوم في الصلاة حتى تفطرت قدماها - رضي الله عنها - ورحمها ورحم أمها وأباها. عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين بأربع، مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»[٣].

■ قصة حمل مريم بعيسى عليه السلام

لما خاطبتها الملائكة بالبشارة باصطفاء الله لها، وبأنه سيهب لها ولداً زكياً يكون نبياً كريماً طاهراً مكرماً مؤيداً بالمعجزات، فتعجبت من وجود ولد من غير والد، لأنها لا زوج لها، فأخبرتها الملائكة بأن الله على كلّ شيءٍ قدير إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

فاستكانت لذلك وأنابت وسلمت لأمر الله، وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها، فإن الناس يتكلمون فيها بسببه، لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل.

(١) آل عمران: ٤٢-٤٣

(٢) آل عمران: ٤٦

(٣) رواه الترمذي، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (٢ / ٤٣٩)

وكانت تخرج من المسجد في زمن حيضها أو لحاجة ضرورة لابد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء.

فخرجت لبعض شئونها، ﴿فَانتَبَذَتْ﴾ أي انفردت وحدها شرقي المسجد الأقصى، إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾. فلما رأته ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ أي: إن كنت رجلاً تقياً تخاف الله، فاقبل استعاذتي بالله منك، وانصرف عني. ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾، فخاطبها الملك قائلاً: لست ببشر، ولكني ملك بعثني الله إليك لأهب لك ولدًا زكيًا. ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾، أي كيف يكون لي غلام أو يوجد لي ولد!! ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، أي لست ذات زوج وما أنا ممن يفعل الفاحشة!! ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾، فأجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها قائلاً: أنه وعد الله، أنه سيخلق منك غلامًا، ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي هذا سهل عليه يسير، فإنه على كل شيءٍ قدير. وقوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾، أي لنجعل خلقه دليلاً على كمال قدرتنا على أنواع الخلق، فإنه عز وجل:

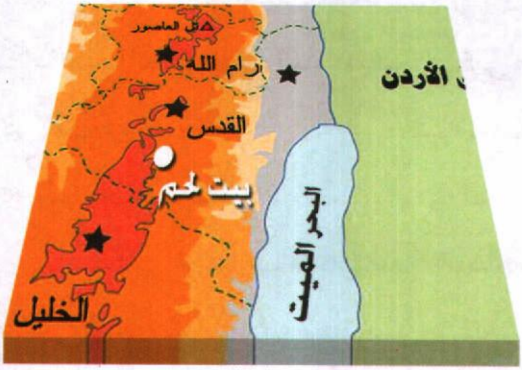
- خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى
- وخلق حواء من ذكر بلا أنثى
- وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر
- وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى

قال عز وجل: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[1]. أي أن جبريل نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها. ولما نفخ فيها الروح لم يواجه الملك الفرجَ بل نفخ في جيبها فنزلت النفخة إلى فرجها فانسلكت فيه، كما قال عز وجل:

(١) التحريم: ١٢

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾. قال عز وجل: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[1]. وذلك لأن مريم -عليها السلام- لما حملت ضاقت به ذرعاً، وعلمت أن الناس سيكون منهم كلام في حقها، فلما ظهرت عليها مظاهر الحمل توارت عن الناس واعتزلتهم وانتبذت مكاناً قصّياً.

■ ولادة عيسى عليه السلام



قال عز وجل: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾[2]. أي اضطرها شدة الطّلْق إلى جذع النخلة، ببيت لحم فتمنت الموت؛ لأنها علمت أن الناس يُكذبونها ولا يصدقونها، بل يتهمونها حين تأتيهم بغلام في يدها، وهي عندهم من العابدات في المسجد، ومن بيت النبوة والديانة، فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمنت أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو لم تخلق أبداً. ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا﴾، أي ناداها عيسى عليه السلام: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾، أي: جعل تحتك نهرًا يجري. ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾، أي كلي واشربي، ثم احملي طفلك واذهبي إلى قومك فإن رأيت أحداً من الناس فقولي له بلسان الحال والإشارة: إنى نذرت للرحمن صوماً، أي صمتاً.

---

(١) مريم: ٢٢

(٢) مريم: ٢٣

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ والفرية هي الفعلة المنكرة العظيمة.

■ عيسى عليه السلام يتكلم في المهد

فلما ضاق الحال بمريم واشتدّ عليها كلام قومها.. قال الله: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾، أي خاطِبوه وكلّموه.

فعند ذلك قالوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾، أي كيف تُحيلين الجواب لصبي رضيع في مهده لا يميز.

عندها أنطق الله عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾. هذا أول كلام تفوه به عيسى بن مريم: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، ولم يقل إني ابن الله!! لأن الله عز وجل واحد لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

فسبحان من خلق الخليقة وبراها وأعطى كل نفس هداها.

فهذه حقيقة عيسى عليه السلام: قال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾[١].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[٢].

(١) مريم: ٢٤-٢٥

(٢) آل عمران: ٥٩

وأنعم الله على عيسى عليه السلام: فقال عز وجل: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1]. **بشارة عيسى بمحمد -عليهما الصلاة والسلام-:** قال عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[2]، فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد بشّر قومه بخاتم الأنبياء جميعاً، ونوه باسمه، وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتابعوه إذا شاهدوه؛ إقامة للحجة عليهم وإحساناً من الله إليهم كما قال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[3].

وقد قال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك. قال: «دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام»[4].

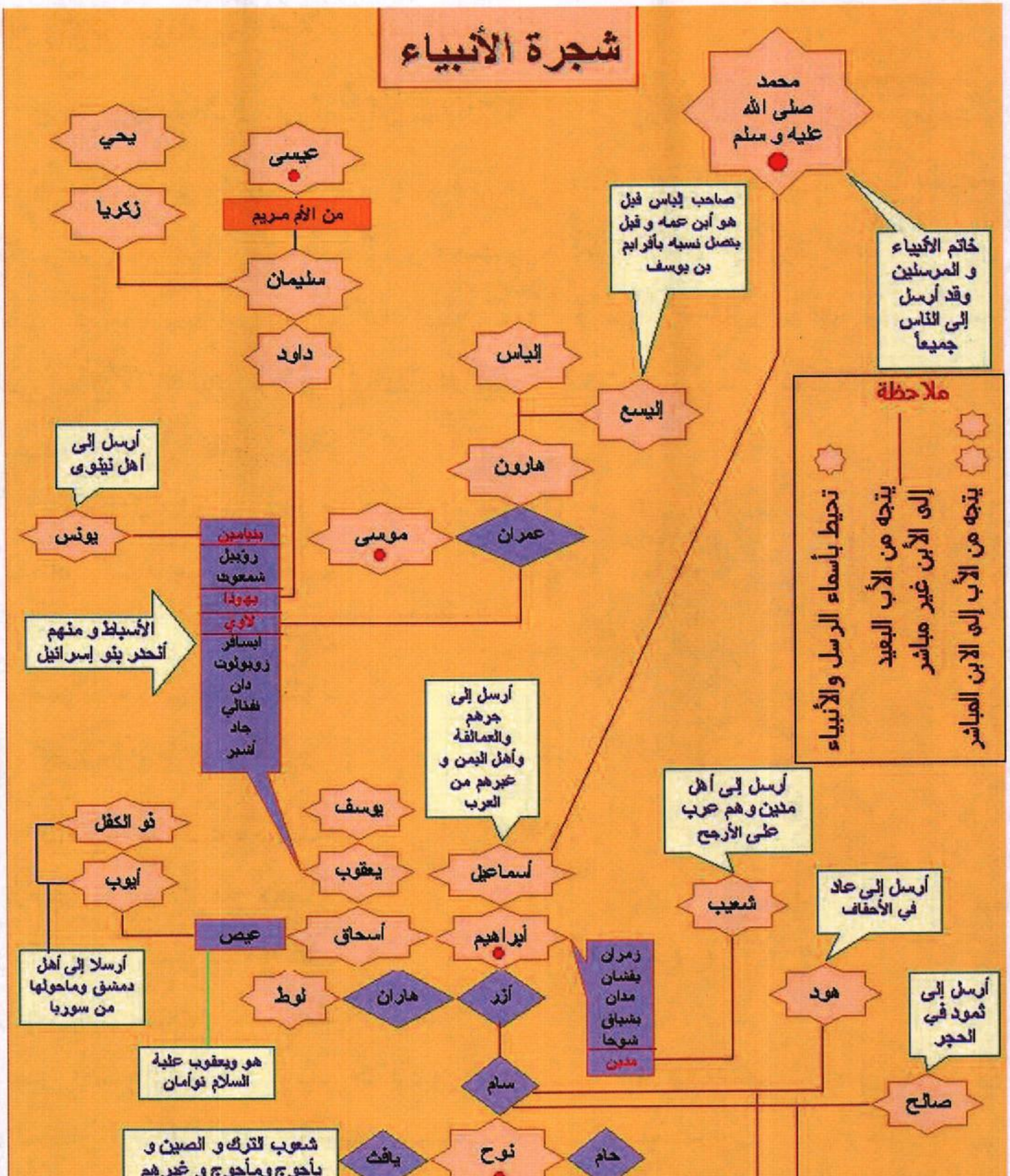
---

(١) المائدة: ١١٠-١١١

(٢) الصف: ٦

(٣) الأعراف: ١٥٧

(٤) رواه أحمد، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده حسن وله شواهد تقويه.


شجرة الأنبياء
محمد صلى الله عليه و سلم
خاتم الأنبياء و المرسلين وقد أرسل إلى الناس جميعاً
صاحب إلياس قيل هو ابن عمه و قيل يتصل نسبه بأفرايم بن يوسف
يحي
زكريا
عيسى
من الأم مريم
سليمان
داود
إلياس
اليسع
هارون
عمران
موسى
أرسل إلى أهل نينوى
يونس
بنيامين
رؤبيل
شمعون
يهوذا
لاوي
ايساقر
زوبولوت
دان
نفتالي
جاد
أشير
الأسباط و منهم أنحدر بنو إسرائيل
ملاحظة
يتجه من الأب إلى الابن المباشر
يتجه من الأب البعيد إلى الابن غير مباشر
تحيط بأسماء الرسل والأنبياء
أرسل إلى جرهم والعمالقة وأهل اليمن و غيرهم من العرب
أرسل إلى أهل مدين وهم عرب على الأرجح
يوسف
ذو الكفل
يعقوب
أسماعيل
أيوب
شعيب
أرسل إلى عاد في الأحقاف
عيص
أسحاق
أبراهيم
أرسلا إلى أهل دمشق وماحولها من سوريا
زمران
يقشان
مدان
يشباق
شوحا
مدين
هود
أرسل إلى ثمود في الحجر
لوط
هاران
أزر
هو ويعقوب عليه السلام توأمان
سام
صالح
شعوب الترك و الصين و يأجوج ومأجوج و غيرهم
يافث
نوح
حام
العرب البائدة
شعوب ما قبل الطوفان
أدريس
شعوب السودان و الهند و السند والقبط وغيرهم
ترمز إلى ألو العزم من الرسل
و هم خمسة: محمد وعيسى
و موسى وأبراهيم و نوح
يقول رسول الله
"...الناس من أدم، و أدم من تراب"
صححه الألباني في الطحاوية
أدم

رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

قال ﷻ: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[1]. وقال ﷻ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[2]. فأخبر ﷻ أنه رفعه إلى السماء بعد ما توفاه بالنوم وخلَّصه ممن أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى أحد الملوك الكفرة في ذلك الزمان.



فأمر بقتله وصلبه، فحصروه في دار ببيت المقدس، فلما دخلوا عليه ألقى الله شبهه على شاب من أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة - أي من فتحة في الجدار - من ذلك البيت إلى السماء، وأهل البيت ينظرون.

ودخل الشُّرَط فوجدوا الشاب الذي أُلقي عليه شَبَهُ عيسى فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له، وسلَّمَ لليهود عامةُ

(١) آل عمران: ٥٤-٥٥
(٢) النساء: ١٥٧-١٥٩

النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب، وضلوا بسبب ذلك ضلالاً مبيناً كثيراً فاحشًا بعيدًا. وأخبر الله عز وجل بقوله: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة، فإنه ينزل ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

تسميته عليه السلام بالمسيح

المسيح على وزن فعيل ويراد به الفاعل أحياناً أي: الماسح، والمفعول أحياناً أي: الممسوح

عيسى: المسيح أي الماسح سُمِّي بذلك لأنه:

- كان لا يمسح ذا عاهة إلا بَرِئَ، وهو الراجح في سبب التسمية.
- وقيل: بمعنى ممسوح؛ لأنه كان ممسوحًا بالدهن عند خروجه من بطن أمه.
- وقيل: لأن زكريا مسحه.
- وقيل: لأنه مسح الأرض أي طافها كلها بسياحته فيها.
- وقيل: لأن رجله كانت لا أخمص لها فكان أمسح الرجل[1].
- وقيل المسيح هو: الصِّدّيق.

(١) تاج العروس للزبيدي (١ / ١٧٥٠).

وما قتلوه

عيسى عليه السلام لم يمت، وإنما رفعه الله إليه، وهنا آيات يشتبه معناها على بعض الناس، منها قوله عز وجل:

١- ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾[١]، وقوله عز وجل ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾: التوفي هنا بمعنى: النوم، ليس بمعنى الموت، كما قال عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾[٢].

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾[٣].

والقول الثاني: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ يعني: حائزك وقابضك إلي.

تقول العرب: تَوَفّى فلان دينه من فلان إذا قبضه وحازه.

ولا مانع من جمع القولين.

٢- قوله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[٤].

قوله عز وجل: ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾، أي بعد نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به قبل أن يموت عيسى بعد نزوله؛ لأن عيسى لا يقبل إلا الإسلام؛ ولا يحل لكافر يجد نفسه إلاّ مات[٥].

---

(١) آل عمران: ٥٥

(٢) الزمر: ٤٢

(٣) الأنعام: ٦٠

(٤) النساء: ١٥٩

(٥) وسيأتي الكلام عن ذلك في الصفحات المُقبلة.

وقيل: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾، أي قبل موت الرجل من أهل الكتاب، فكل من حضره الموت من أهل الكتاب، تبين له عند الموت أن عيسى عبدٌ رسولٌ بشرٌ، وليس إلهاً، فيصدّق الرجل الكتابي بذلك قبل أن يموت، وإن كان هذا الإيمان لا ينفعه؛ لأن التوبة لا تصحّ بعد غرغرة الروح.

س	ما الفرق بين حياة عيسى وحياة الأنبياء؟ أليس الأنبياء أحياء كما قال صلى الله عليه وسلم «الأنبياء أحياء في قبورهم»[1]؟
ج	حياة عيسى عليه السلام الآن وهو مرفوع في السماء حياة حقيقة جسدًا وروحًا، وأما حياة الأنبياء فهي حياة برزخيه من نوع خاص، لكن عيسى لم يمت حتى يدخل البرزخ والقبر، وهو عند الله جسدًا وروحًا في السماء. وأما بقية الأنبياء -عليهم السلام- فقد عاينوا سكرات الموت وانفصلت أرواحهم عن أجسادهم، ولهم حياة خاصة بهم في القبور.

■ الأدلة على نزول عيسى عليه السلام

تقدم أن عيسى عليه السلام رفعه الله عز وجل إليه لما جاءه اليهود ليقتلوه، ودلت الأدلة الشرعية أنه سوف ينزل في آخر الزمان، ونزوله من علامات الساعة. والأدلة على نزوله في آخر الزمان كثيرة منها:

(١) قال الحافظ في الفتح (٤٨٧/٦): أخرجه البيهقي في كتاب حياة الأنبياء في قبورهم وصححه.

الأدلة من القرآن:

- قال عز وجل: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾[1].

فقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ يعني: عيسى عليه السلام عَلَمٌ من أعلام الساعة وفي قراءة (وإنه لَعَلَم للساعة) بفتح العين واللام، يعني علامة وآية للساعة، لاقترابها ودنو قيامها ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ - أي لا تشكّوا فيها - ﴿ وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: «وإنه لعلم للساعة أي خروج عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة»[2].

وقال الطبري: «معناه أن عيسى ظهوره عَلَم يعلمون به مجيء الساعة لأن ظهوره من أشراطها، ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا وإقبال الآخرة»[3].

- قول الله عز وجل: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[4].

---

(١) الزخرف: ٥٧-٦١

(٢) رواه أحمد في مسنده، وصححه أحمد شاكر.

(٣) تفسير الطبري (٢١ / ٦٣١).

(٤) النساء: ١٥٧-١٥٩

فقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾، وقوله: ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾:

قال أكثر المفسرين[1]: إن الضميران في (به)، و(موته) المقصود بهما عيسى ابن مريم عليه السلام.

قال أبو مالك في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ قال: «ذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن به»[2].

قال ابن كثير: «فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شُبِّه لهم، فقتلوا الشّبه وهم لا يتبينون ذلك، فأخبر الله أنه رفعه إليه، وأنه باق حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريبًا، فيقتل مسيحَ الضلالة، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعني: لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم»[3].

الأدلة من السنة:

- **عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «ما تذكرون؟» قلنا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترو قبلها عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف:**

(١) انظر تفسير الطبري (٩ / ٣٧٩)، وتفسير البغوي (٢ / ٣٠٧)، وتفسير ابن كثير (١ / ٤٨٧)، وأضواء البيان للشنقيطي (٧ / ٢٣١).

(٢) رواه الطبري في التفسير (٩ / ٣٨٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٥٤).

خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من قبل عدن - في اليمن - تطرد الناس إلى محشرهم»[١].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، لا يقبلها من كافر، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها»[٢]

وفي رواية: «والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلًا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص[٣] فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد»[٤].



بيان معنى الحديث:

«يكسر الصليب»: الصليب: معروف، وهو الذي يزعم النصارى أن عيسى عليه السلام صلب عليه وهو رمز للنصارى فيقضي عليه عيسى عليه السلام.

«ويقتل الخنزير»: الخنزير حيوان معروف[٥]، وهو محرم الأكل في الإسلام، فيأمر عيسى عليه السلام بإعدامه والقضاء على الخنازير مبالغة في تحريم أكلها.

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) القلاص: جمع قلُص، وهي الناقة الفتية الشابّة.

(٤) رواه مسلم.

(٥) الخنزير حيوان رمّام وكسول، ويأكل النبات والحيوان والجيَف والقِمامة، كما يأكل فضلاته وفضلات غيره من الحيوانات، وقتل عيسى عليه السلام للخنزير لا يعني أن الله تعالى خلق الخنزير لغير حكمة، وذلك أنه ليس كل حيوان



خلقه الله ليؤكل، فقد خلق الله تعالى الكلاب والذئاب، والبعوض والذباب، لا لتؤكل وإنما لحكم أخرى في الحياة.

وكذلك الخنزير خلقه الله تعالى لحكمة، لكنه حرم أكله في كل الأديان.

ففي الإسلام:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة:١٧٣].

وقال: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [النحل:١١٥].

وفي اليهودية:

في التوراة: «وَالخِنْزِيرَ لأَنَّهُ يَشُقُّ\الظِّلف لكِنَّهُ لا يَجْتَرُّ فَهُوَ نَجِسٌ لكُمْ. فَمِنْ لحْمِهَا لا تأْكُلُوا وجُثَثَهَا لا تَلمِسُوا» [Deuteronomy 14:8].

وفيها: «وَالخِنْزِيرَ لأَنَّهُ يَشُقُّ ظِلفًا ويَقسِمُهُ ظِلفَيْنِ لكِنَّهُ لا يَجْتَرُّ فَهُوَ نَجِسٌ لكُمْ. ٨ مِنْ لحْمِهَا لا تأْكُلُوا وجُثَثَهَا لا تَلمِسُوا. إِنَّهَا نَجِسَةٌ لكُمْ» [Leviticus 11:7-8].

وفي المسيحية:

في الإنجيل: «فَقَالَ بُطْرُسُ» كَلاَّ يَا رَبُّ لأَنِّي لَمْ آكُلْ قَطُّ شَيْئًا دَنِسًا أَوْ نَجِسًا» [Acts 10:14].

وفيه: «فَقُلْتُ: كَلاَّ يَا رَبُّ لأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فَمِي قَطُّ دَنِسٌ أَوْ نَجِسٌ» [Acts 11:8].

والنصارى المؤمنون بقدوم المسيح ثانية في اليوم السابع لا يأكلون لحم الخنزير.

وكذلك تمنع الهندوسية تناول لحم الخنزير، ويعتبره هنود الطائفة العاليا من العار أن يأكلوا لحم الخنزير. فقط الطوائف المنخفضة والمنبوذون يأكلون لحم الخنزير.

ويتحاشى الزرادتشيون تناول لحم الخنزير.

والبوذيون لا يلمسون الخنزير أبدًا.

وفي كتاب مناسك الحجّ الصينيّ مثل «الرجل المحترم لا يأكل لحم الخنزير أو الكلب».

والخنزير ينقل العديد من الأمراض للإنسان.

«يضع الجِزيَة»: الجزية: هي ما يؤخذ من أهل الكتاب الساكنين في بلدان المسلمين، لقاء حمايتهم، وتقديم خدمات البلد لهم، وهذا غاية العدل، كما يؤخذ من تجار المسلمين الزكاة، وبعد نزول عيسى عليه السلام وحكمه بين الناس لن يقبل إلا الإسلام، ولا يعني ذلك أن عيسى عليه السلام يكرههم إكراهًا على الإسلام، بل يدخلون طواعيه؛ وذلك لأن النصارى الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام، إذا رأوا عيسى نازلاً، وتحدث معهم، انزاح عن قلوبهم الاعتقاد بأن عيسى هو ابن الله، وآمنوا بالدّين الصحيح، كما قال عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾[1]، أي بعد نزول عيسى يؤمن به أهل الكتاب قبل موت عيسى عليه السلام بعد انقضاء حياته بعد نزوله، ومن لم يؤمن بعيسى قَاتَلَه.

يقوم الباحثون في الـ ٢٠ سنة الأخيرة بالربط بين تصرفات الإنسان وتفكيره وبين ما يأكُل، وقد توصلوا إلى أننا نغير التصرفات بتغيير وجبات الطعام، فوجدوا أن الذين يتناولون طعامًا غير صحي يرتكبون مخالفات قانونية أكثر ممن يتناولون طعامًا صحيًا، ووجدوا في مراكز رعاية الأحداث ان زيادة الفواكه والخضار تجعلهم أكثر استجابة للقوانين.

والخنزير يعيش ويتناول القاذورات، بالإضافة إلى أنه الحيوان الذي لا يهمه ما يفعله الذكور الآخرون من الخنازير بأنثاه، فهو معدوم الغيرة، عكس الحيوانات الأخرى التي تُدافع عن أنثاها، فيُؤثر أكل الخنزير في آكله، فيكون ضعيف الغيرة على نسائه ولا يتحرك له ساكن.

وقد وصف الله تعالى لحم الخنزير بأنه رِجس، والرجس هو الشيء القذِر، فالخنزير ينقل إلى الإنسان كثيرًا من من الكائنات الدقيقة الخطرة، حيث يُصاب الخنزير بعدد كبير من الأمراض الوبائية لا تقل عن ٤٥٠ مرضًا، ويقوم بدور الوسيط لنقل أكثر من ٧٥ مرضًا وبائيًا للإنسان، غير الأمراض العادية الأخرى التي يُسببها أكل لحمه مثل: تليف الكبد، وعسر الهضم، وتصلُب الشرايين، وتساقط الشعر، والعُقم، وضعف الذاكرة، علاوة على أن آكله يُصاب بالتبلُّد الشعوري وعدم الغيرة على محارمه - كما تقدم -.

وينتقل أكثر مكن ١٦ مرضًا من الخنزير إلى الإنسان عن طريق تناول لحمه ومنتجاته، اهم هذه الأمراض: الحويصلات الخنزيرية، والحمى المُتموجة، والدودة الكبدية، والسُل، وداء اليرقات الشريطية، وغيرها من الأمراض.

كما ينتق عن طريق المخالطة والتربية والتعامل مع منتجات مخلفات الخنزير ٣٢ مرضًا، أهم هذه الأمراض: الجمرة الخبيثة، والحمى القلاعية، والتسمم الدموي، والحمى اليابانية، والجرب الغائر، وغيرها من الأمراض.

كما ينتقل ٢٨ مرضًا عن طريق تلوث الطعام والشراب بمخلفات الخنزير.

(١) النساء: ١٥٩

وفي رواية: «وتكون الدعوة واحدة»[١]، يعني في عهد عيسى عليه السلام تكون الدعوة واحدة، يعنى الإسلام لا يبقى دين ولا ملة أخرى، لا هندوسي ولا بوذي ولا يهودي ولا نصراني ولا سيخي ولا مجوسي.. "

«تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها»: أي: أن الناس تعظم رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات لقصر آمالهم وزهدهم في الدنيا ويقينهم بقرب القيامة؛ ولأنه سيكون هناك رزق وفير فلا ينشغل المسلم عن عباداته بطلب المعاش.



«ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها»: القلاص هي الإبل الفتيه الشابة، وهذه مرغوبة جداً وهي أنفس أموال العرب، فيتركها الناس ويهملونها ولا يسعون في تربيتها ولا إطعامها والتجارة بها.

عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صَلِّ بنا. فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض؛ تكرمة الله هذه الأمة»[٢].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفَه»[٣].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، وحسنه الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

(٢) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بإسناد جيد، كما قال ابن القيم في المنار المنيف (ص ١٤٧-١٤٨) وله شواهد من الصحيح.

(٣) رواه أبو نعيم في كتاب المهدي، وذكره المناوي في فيض القدير (١٧/٦) بسنده صحيح.

الأدلة على نزول عيسى عليه السلام متواترة

قد تواترت الأخبار عن نبينا ﷺ في نزول عيسى عليه السلام، وذكر التواتر: الإمام أحمد بن حنبل[(١)]، وأبو الحسن الأشعري[(٢)]، والطبري[(٣)]، وابن كثير[(٤)]، والسفاريني[(٥)]، والشوكاني في التوضيح في ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح".

قال ابن كثير في أحاديث نزول عيسى عليه السلام: «فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ فيها دلالة على صفة نزوله ومكانه، وأنه بالشام، بل بدمشق عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند الإقامة لصلاة الصبح. فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام كما تقدم في الصحيحين. وهذا إخبار من النبي ﷺ بذلك، وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان، حيث تنزاح عللهم، وترتفع شبههم من أنفسهم. ولهذا كلهم يدخلون في دين الإسلام متابعة لعيسى عليه السلام وعلى يديه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[(٦)]. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[(٧)]، وقرئ " لَعَلَمًا، أي أمارة ودليل على اقتراب الساعة. وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال، فيقتله الله على يديه، ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج، فيهلكهم الله ببركة دعائه»[(٨)].

---

(١) انظر: طبقات الحنابلة (١ / ٢٤١ - ٢٤٣).
(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (١ / ٣٤٥).
(٣) تفسير الطبري ٣ / ٢٩١.
(٤) تفسير ابن كثير ٧ / ٢٢٣.
(٥) لوامع الأنوار البهية: (١ / ٩٤ - ٩٥)
(٦) النساء: ١٥٩
(٧) الزخرف: ٦١
(٨) البداية النهاية (٩ / ١٧٩).

وقد أجمعت الأمة على أن نزول عيسى عليه السلام علمُ من أعلام الساعة، ولم يخالف في ذلك إلا من شذ ممن لا يلتفت إليه ولا يعتد بخلافه.

مسألة ؟!

هل يحكم عيسى عليه السلام إذا نزل بشريعة محمد ﷺ؟

أم يأتي بشريعة جديدة؟

الجواب:

قال الإمام السفاريني عن نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان:

«أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفةُ والملاحدةُ، ممن لا يُعْتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت قائمة به وهو متصف بها»[(١)].

وقال صديق حسن خان:

«والأحاديث في نزوله عليه السلام كثيرة، ذكر الشوكاني منها تسعة وعشرين حديثًا ما بين صحيح وحسن وضعيف منجبر، منها ما هو مذكور في أحاديث الدجال... ومنها ما هو مذكور في أحاديث المنتظر، وتنضم إلى ذلك أيضًا الآثار الواردة عن الصحابة فلها حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد في ذلك، ثم ساقها وقال: جميع ما سقناه بالغٌ حدَّ التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع»[(٢)].

(١) لوامع الأنوار البهية: (١ / ٩٤ - ٩٥).

(٢) انظر كتاب الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، للصديق خان (ص ١٦٠).

وقال الشيخ أحمد شاكر:

«نـزول عيسـى عليه السلام في آخر الزمـان مما لم يختلف فيه المسـلمون؛ لورود الأخبار الصحـاح عن النبي ﷺ بذلك... وهذا معلوم مـن الدين بالضرورة لا يؤمن من أنكره»[1].

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:

«اعلم أن أحاديث الدجال، ونزول عيسـى عليه السلام متواترة، يجب الإيمان بها، ولا تغـتر بمن يدعـي فيها أنها أحاديث آحاد، فإنهم جهـال بهذا العلم، وليس فيهـم من تتبع طرقها ولو فعل لوجدها متواترة كما شـهد بذلك أئمة هذا العلم، كالحافظ ابن حجر وغيره، ومن المؤسـف حقا أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم، لا سيما والأمر دين وعقيدة»[2].

هل يعتبر عيسى عليه السلام من أمة محمد ﷺ؟

فائدة

عيسـى عليه السلام نبي من أولي العزم من الرسـل، وله عند الله تعالى مقام رفيع، وهو أيضًا له نصيب من الصحبة؛ فإنه لقي النبي ﷺ في المعراج، مؤمناً به، وسيموت على ذلك عليه السلام.

ففـي حديـث المعراج قال نبينـا محمد ﷺ: «ثم صَعد بي حتى أتى السـماء الثانية، فاستفتح - أي طلب جبريل من حرّاس السماء أن يفتحوا الباب -

- قيل: من هذا؟
- قال: جبريل.
- قال: ومن معك؟

(١) تفسير الطبري (٦ / ٤٦٠)، تعليق الشيخ احمد شاكر.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق الشيخ الألباني (ص ٥٦٥).

- قال: محمد.
- قيل: وقد أرسل إِليه؟
- قال: نعم.
- قيل: مرحبا به، ولنعم المجيء جاء.

ففتح، فلما خلصتُ، فإِذا يحيى، وعيسى وهما ابنا خالَة.

- قال: هذا يحيى وعيسى، فسلّم عليهما، فسلّمت فردّا.
- ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح، والنبي الصالح»[(١)].

■ عقيدة النصارى في نزول عيسى عليه السلام؟

النصارى يعتقدون أن عيســى عليه السلام هو ابــن الله – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – ويعتقدون أنه قتل وصُلِب، وأنه رفع إلى السماء بعد ثلاثة أيام من صَلْبِــه، وجلس بجانب أبيه – الرب – وأنه ســينزل في آخر الزمان، وقد تقدم ذكر رفعه عليه السلام وأنه لم يقتل ولم يصلب، ولكن شبّه لهم.

وأهل الكتاب متفقون على إثبات مسيحين:

١ مسيح هدى من ولد داود عليه السلام، وهو عيسى عليه السلام.

٢ ومسيح ضلال، يقول أهل الكتاب إنه من ولد يوسف عليه السلام[(٢)]. وهو المسيح الدجال.

---

(١) متفق عليه.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢ / ١٨٧).

وتختلف عقيدة النصارى عن عقيدة المسلمين في عيسى عليه السلام في أمور:

١ اعتقاد النصارى أن عيسى هو ابن الله، وهذا باطل، والصحيح أنه بشر عبد رسول.

٢ اعتقاد النصارى أن اليهود صلبوا عيسى عليه السلام وقتلوه، وهذا باطل، والصحيح أنهم ما قتلوه وما صلبوه.

٣ يعتقد النصارى أن عيسى عليه السلام رُفع بعد صَلْبه بثلاثة أيام إلى السماء، وهذا باطل، بل رفع السماء بدون صلب ولا قتل.

الأحوال التي ينزل فيها عيسى عليه السلام

سيكون المسلمون قد خرجوا لِتَوِّهم من معركة كبيرة مع النصارى.. وفتحوا مدينة القسطنطينية واستعادوها من حكم النصارى.. وقد تقدم بيان أن المسلمين يفتحونها بالتهليل والتكبير، لا بالسلاح، وينادي الشيطان أن قد خرج الدجال؛ فيرجع المسلمون من قسطنطينية إلى دمشق؛ لأن قاعدة فسطاط المسلمين في دمشق، ويخرج بعد ذلك مسيح الضلالة الدجال حقيقة، ويطوف الأرض وتحدث فِتْنَتُه الكبرى[1].

وفي رواية أخرى مُفَصِّلة: أن رسول الله ﷺ قال في معرض كلامه عن الدجال: «يأتي سباخ[2] المدينة، وهو محرم عليه أن يدخل نقابها؛ فتنتفض المدينة بأهلها نفضة أو نفضتين - وهي الزلزلة - فيخرج إليه منها كل منافق ومنافقة، ثم يولّي الدجال قبل الشام حتى يأتي بعض جبال الشام؛ فيحاصرهم وبقية

(١) تقدم الكلام عن فتنة الدجال بالتفصيل علامة رقم (١) من العلامات الكبرى.

(٢) سباخ: جمع سبخة، وهي الأرض غير ذات الزرع.

المسلمين بذروة جبل من جبال الشام؛ فيحاصرهم الدجال نازلاً بأصله، أي في أسفل الجبل حتى إذا طال عليهم البلاء. قال رجل من المسلمين: يا معشر المسلمين حتى متى أنتم هكذا؟! وعدو الله نازل بأرضكم هكذا؟! هل أنتم إلا بين

أرض سبخة



إحدى الحسنيين، بين أن يستشهدكم الله أو يظهركم؟! فيبايعون على الموت بيعة يعلم الله أنها الصدق من أنفسهم، ثم تأخذهم ظلمة لا يُبصِر امرؤ فيها كفه، فينزل ابن مريم، فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لأمته[١] يقولون من أنت يا عبد الله؟ فيقول: أنا عبد الله ورسوله وروحه وكلمته عيسى بن مريم، اختاروا بين إحدى ثلاث: بين أن يبعث الله على الدجال وجنوده عذابًا من السماء، أو يخسف بهم الأرض، أو يسلط عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم عنكم. فيقولون: هذه - يا رسول الله - أشفى لصدورنا ولأنفسنا. فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الأكول الشروب لا تُقِلُّ[٢] يده سيفه من الرعدة؛ فيقومون إليهم فيسلطون عليهم، ويذوب الدجال حين يرى ابن مريم كما يذوب الرصاص حتى يأتيه أو يدركه عيسى فيقتله»[٣]. وقد تقدم قصة قتل عيسى عليه السلام للدجال بالتفصيل[٤].

---

(١) المعنى: هؤلاء المؤمنون يعزمون على محاربة الدجال، فبينما هم كذلك قبيل صلاة الفجر إذ اتفقوا على قتال الدجال بعد صلاة الفجر، فتُقام الصلاة، ويتقدم إمامهم، وقبل التكبير يظلم عليهم مكانهم فجأة، ثم كُشفت هذه الظلمة، فإذا معهم في البيت عيسى بن مريم عليه السلام عليه لأَمَتُه - أي عليه لباس الحرب.

(٢) لا تُقِلُّ: أي لا تحمل.

(٣) أخرجه معمر في جامعه، وقال ابن كثير: قال شيخنا الذهبي هذا حديث قوي الإسناد.

(٤) انظر علامة رقم: (١) من علامات الساعة الكبرى.

■ كيف ينزل عيسى عليه السلام؟ وأين؟

يكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق عليه مهرودتان - أي يلبس ثوبين مصبوغين بورس[١] ثم زعفران واضعاً كفيه على أجنحة ملكين.





قال ابن كثير: «الأَشْهَرُ في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، ينزل وقد أُقيمت الصلاة فيقول له إمام المسلمين: يا روح الله، تقدم، فيقول: تقدم أنت فإنها أقيمت لك».

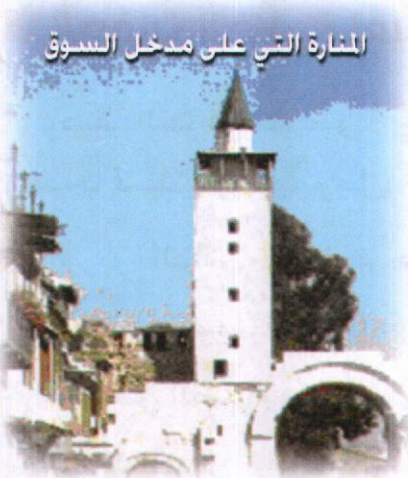
وفي رواية: «بعضكم على بعض أمراء، يكرم الله هذه الأمة».

قال ابن كثير: «وقد جُدّد بناء المنارة في زماننا في سنة ٧٤١هـ من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حَرَّقوا المنارة التي كانت مكانها. ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة؛ حيث قيَّضَ الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى حتى ينزل عيسى ابن مريم عليها، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية»[٢].

---

(١) الورس: نبت أصفر يُصبغ به.

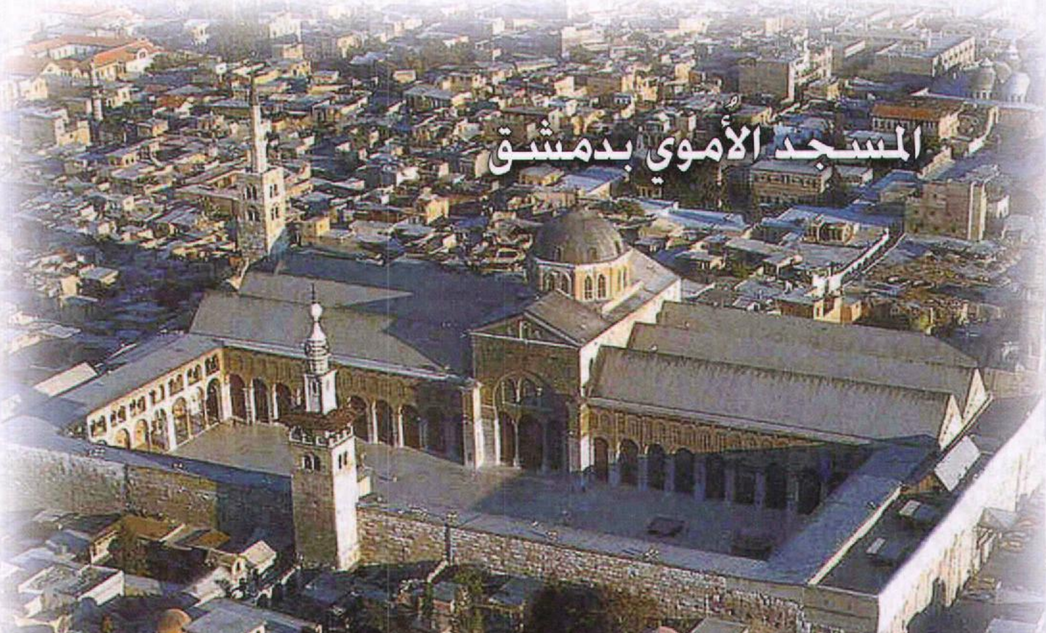
(٢) النهاية في الفتن والملاحم (١ / ١٩٢).



وقد زرت بنفسي في دمشق منارة بيضاء في شرقي دمشق[1] اشتُهِر عند الناس هناك أنها المنارة التي ينزل عليها عيسى عليه السلام، فصوّرتها، وهي على مدخل سوق لا على مسجد!! والحيّ الذي هي فيه أكثرُ سكانه نصارى، وقد وضعت صورتها هنا، فإن كانت هذه المنارة التي ينزل عليها عيسى، أو هي منارة أخرى فالله أعلم بها.

وقد قيل أن نزول عيسى عليه السلام يكون على إحدى منارات الجامع الأموي في دمشق، والله أعلى وأعلم.

وأنا هنا لا أجزم بشيء من ذلك



(١) وكان ذلك عام ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م

الصفات الخَلقية لعيسى عليه السلام

وصف النبي ﷺ عيسى عليه السلام، وبيّن الظروف التي ينزل فيها؛ ليكون أمره واضحاً لا يلتبس، فهو رجل:

- مربوع القامة - أي ليس بالطويل ولا بالقصير.
- لون بشرته يميل إلى الحُمْرة والبياض.
- عريض الصدر.
- سَبْط الشعر - أي مسترسل الشعر- كأن رأسه يَقْطُر ولم يُصِبه بلل.
- أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه:أن النبي ﷺ قال: «ليلة أسري بي لقيت موسى عليه السلام.. ولقيت عيسى، فنعته النبي ﷺ فقال: رَبْعَة أحمر[١]، كأنما خرج من ديماس- يعني: الحمام -..... »[٢].

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « رأيت عيسى، وموسى، وإبراهيم عليهم السلام، فأما عيسى: فأحمر جعد، عريض الصدر.... »[٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر[٤]، وقريش تسألني عن مسراي؟ فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كرب مثلها قط، قال: فرفعه الله لي، أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به. ولقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضَرْب جَعْد كأنه من رجال شنوءة[٥]. وإذا عيسى بن مريم

(١) الأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة.

(٢) متفق عليه

(٣) رواه البخاري.

(٤) يعني الحجر عند الكعبة، وذلك بعد حادثة الإسراء والمعراج.

(٥) قبيلة عربية تنسب إلى الأزد بن الغوث.

قائم يصلي، أقرب الناس به شَبَهًا عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي، أشبه الناس به: صاحبكم - يعني نفسه ﷺ - فحانت الصلاة فَأَمَمْتُهم، فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد هذا مالك خازن النار، فسلم عليه، فالتفت إليه، فبدأني بالسلام»[١].



وقال ﷺ: «أراني الليلة في المنام عند الكعبة، فإذا رجل آدم، كأحسن ما ترى من أدم[٢] الرجال، تضرب لِمّتُه بين منكبيه[٣]، رَجِلُ الشعر، يقطر رأسه ماءً، واضعًا بيديه على منكبي رجلين، هو بينهما، يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مريم، ورأيت وراءه رجلًا جعْدًا قططًا، أَعور عين اليمنى، كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن[٤]، واضعا يديه على منكبي رجلين، يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح الدجال»[٥].

إشكال

قد يستشكل البعض كيف يجتمع عيسى بن مريم عليه السلام مع الدّجال، والدّجال إذا رأى عيسى يذوب كما يذوب الرصاص؟ بل كيف يكون الدجال عند الكعبة، وهو مُحرّم عليه دخول مكة؟

والجواب: أن هذه رؤيا منام، رآها النبي ﷺ، وليست أمرا يحدث في الواقع.

(١) رواه مسلم.
(٢) أي فيه سمرة.
(٣) أي أن شعره يضرب كتفيه من طوله.
(٤) هو عبد العزى بن قطن بن عمرو الخزاعي.
(٥) متفق عليه

أعمال عيسى عليه السلام وما يقع في عصره

بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله الدّجال واستقرار أمور المؤمنين، يكون لعيسى عليه السلام عدّة مهام يقوم بها، ويقع في عهده أمور:

- تحكيم الإسلام وإخضاع الناس للشريعة والقضاء على الأديان المنحرفة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم بن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»[(١)].

- إعلاء كلمة الله، وإبطال دعوة اليهود والنصارى، وإلغاء الجزية.
- قتل المسيح الدجال.
- الحكم بين الناس ونشر العدل والسّلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لِعلّات؛ أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه رجلاً مربوعاً إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصّران[(٢)] كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية... ويدعو الناس إلى الإسلام؛ فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال؛ وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[(٣)].

---

(١) متفق عليه.

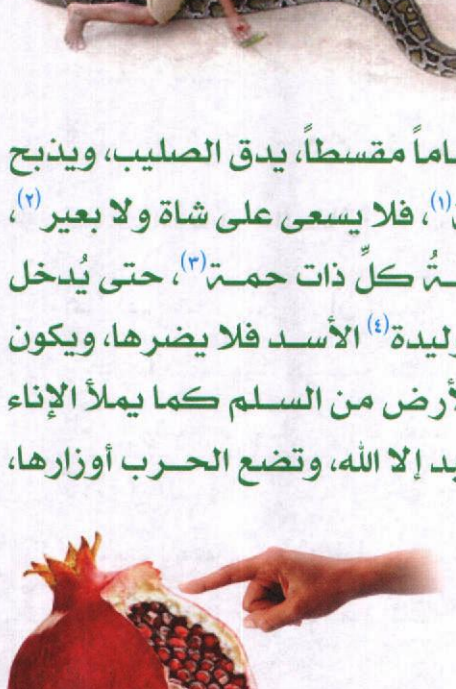
(٢) أي: في ثوبه صفرة خفيفة

(٣) رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.



- انتشار الرخاء والأمن.
- ذهاب ملك قريش.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزيه، ويترك الصدقة[١]، فلا يسعى على شاة ولا بعير[٢]، وتُرفع الشحناء والتباغض، وتُنزع حُمَةُ كلِّ ذات حمة[٣]، حتى يُدخل الوليد يده في الحية، فلا تضره، وتَفِرُ الوليدة[٤] الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء. وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور[٥] الفضة، تنبت نباتها بعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القِطْف من العنب فيشبعهم[٦]، ويجتمع النفر على الرمانه فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدريهمات»[٧].



(١) المعنى: أن المال كثر لدرجة أنه لا يحتاج أحد لأخذ الصدقة لأن الكل أغنياء.
(٢) المعنى: يترك الناس رعي الشياه والإبل لغناهم عنها.
(٣) أي ذات سم كالحية والعقرب، والمعنى: تصبح الحيات والعقارب غير سامة.
(٤) أي تلعب الصغيرة مع الأسد فلا يضرها.
(٥) أي وعاء أو إناء من فضة
(٦) النفر هو العدد من ٣ – ٩، وقطف العنب أي عنقود العنب، والمعنى: أنه لبركة ذلك الزمان يجتمع الرجال الكثير على عنقود واحد من العنب فيشبعهم جميعاً.
(٧) رواه ابن ماجة وابن خزيمة والضياء المقدسي، والحديث فيه مقال.

- **رفع البغضاء، وزوال الحسد والشحناء من قلوب الناس:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «طوبى لعيش بعد المسيح يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره، ولا تشاحن، ولا تحاسد، ولا تباغض»[١].

- **توقف الحرب والقتال:**

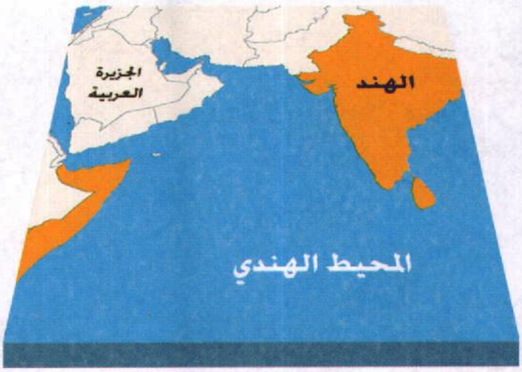
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ينزل عيسى بن مريم إمامًا عادلًا، وحكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويرجع السلم، ويتخذ السيوف مناجل[٢]، وتذهب حمة كل ذات حمة، وتنزل السماء رزقها، وتخرج الأرض بركتها، حتى يلعب الصبي بالثعبان... ويراعي الغنم الذئب فلا يضرها، ويراعي الأسد البقر فلا يضرها»[٣].

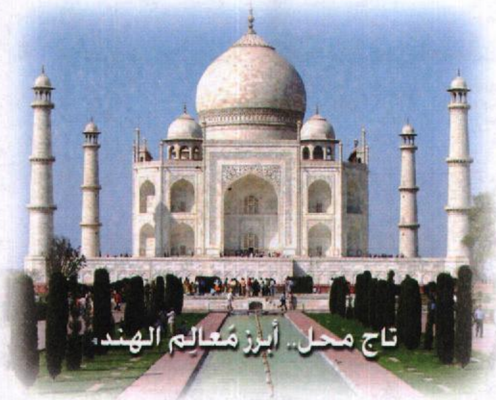

منجل

منزلة من يكون مع عيسى ابن مريم عليه السلام

عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار: عصابة تَغْزُو الهندَ، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم»[٤].

(١) أخرجة الديلمي في مسند الفردوس، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٤ / ٥٥٩.
(٢) المنجل: آلة مثل السكين يُقطع بها الزرع، والمعنى: أنه مع زوال الكفر وتوقف الحرب وشيوع الأمن والرخاء وسلامة الصدر لا يحتاج الناس السّيوف لقتال فيتخذونها مناجل لقطع الزرع.
(٣) رواه أحمد في مسنده وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح.
(٤) أخرجه النسائي وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٤ / ٥٧٠.




تاج محل.. أبرز مَعالِم الهند.

الحكمة من نزول عيسى عليه السلام دون غيره

لعلك تتساءل، عن اختيار عيسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء لينزل إلى الأرض آخر الزمان؟

ذكر بعض العلماء الحكمة من نزول عيسى عليه السلام دون غيره، ومن أقوالهم في ذلك:

- الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام، فبين الله عز وجل كذبهم، وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدجال، ورجح الحافظ ابن حجر هذا القول على غيره[(١)].

- أن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما في قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾[(٢)]. فدعا الله أن يجعله منهم؛ فاستجاب الله دعاءه، وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجدداً ما انمحى من دين الإسلام، الذي بُعث به محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) انظر فتح الباري (٦ / ٥٦٨).
(٢) الفتح: ٢٩

- أن نزول عيسى عليه السلام من السماء لدنو أجله ليدفن في الأرض؛ إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت إلا في الأرض، ويدفن فيها، فيوافق نزوله خروج الدجال فيقتله عيسى عليه السلام.



- أنه ينزل مكذبا للنصارى؛ فيظهر زيفهم في دعواهم أنه ابن الله، ويهلك الله الملَل كلها في زمنه إلا الإسلام فإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية.

- أن بين النبيين عيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - نوع ارتباط لقول نبينا محمد ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، ليس بيني وبينه نبي»[١]. فرسول الله ﷺ أخص الناس بعيسى وأقربهم إليه، فإن عيسى عليه السلام مبشر بأن محمداً رسول الله ﷺ يأتي من بعده، ودعا عيسى الناس إلى تصديق محمد ﷺ والإيمان به، كما في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾[٢]، وفي الحديث: قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك؟ قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى»[٣].

(١) رواه أحمد عن أبي هريرة قال المناوي: بإسناد حسن.

(٢) الصف: ٦

(٣) رواه أحمد في مسنده.

نبينا محمد ﷺ يطلب منّا أن نقرأ سلامه على عيسى عليه السلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يوشك المسيح عيسى بن مريم أن ينزل حكمًا قسطًا وإمامًا عدلًا، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، وتكون الدعوة واحدة فأَقرِئُوه، أو أَقرِئْه السلام من رسول الله وأحدثه فيصدقني». فلما حضرت أبا هريرة الوفاة قال: «أقرئوه مني السلام»(١).

وفي رواية أخرى: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى بن مريم فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام»(٢).

مدة مكوث عيسى عليه السلام في الأرض بعد نزوله

يمكث عيسى عليه السلام ٤٠ سنة، يعيش الناس فيها برخاء وسِلم وعدل، يدل عليه ما تقدم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي... إلى أن قال: فيمكث - أي عيسى - أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»(٣).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: «خروج عيسى، يمكث في الأرض أربعين سنة، تكون تلك الأربعون كأربع سنين، يحج ويعتمر»(٤).

---

(١) رواه أحمد وقال الهيثمي: في الصحيح بعضه رواه أحمد وفيه كثير بن زيد وثقه أحمد وجماعة وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه أحمد وقال الهيثمي: مرفوعاً وموقوفاً ورجالهما رجال الصحيح.

(٣) رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) رواه عبد بن حميد، وله حكم المرفوع لأن مثله لا يقال بالرأي.

حجّ عيسى عليه السلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لَيُهِلَّنَّ بن مريم بفج الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو ليثنيهما»[(١)].

أي أن عيسى عليه السلام سيهلّ بالحج من فج الروحاء وهو طريق بين مكة والمدينة، وسيكون إحرامه إما متمتعا بالعمرة إلى الحج فيفصل بين العمرة والحج بالتحلل بينهما، أو يثنيهما: أي يكون قارنًا بينهما.

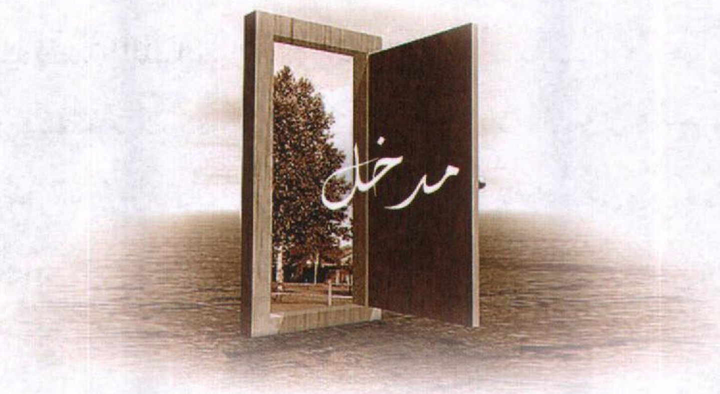
وفي رواية أخرى: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «ليهبطن عيسى بن مريم حكما عدلًا وإمامًا مقسطًا، وليسلكن فجًا حاجًا أو معتمرًا أو بنيتهما، وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه». قال أبو هريرة: «أي بني أخي إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام»[(٢)].



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

خروج يأجوج ومأجوج



يأجوج ومأجوج

قبيلتان عظيمتان، أو شَعْبان من بني آدم كما جاء في ذلك الحديث عن النبي ﷺ، وما ورد في بعض الكتب من أن منهم القصير جداً والصغير، ومنهم الكبير، ومنهم الذي يفترش أذناً من أذنيه، ويلتحف بالأخرى، وما أشبه ذلك فكل هذه لا أصل لها.

وإنما هم من بني آدم وعلى طبيعة بني آدم، لكنهم في وقت ذي القرنين كانوا قوماً مفسدين في الأرض، فطلب جيرانهم من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبينهم سداً؛ حتى يمنعهم من الوصول إليهم وإفسادهم في أرضهم؛ وفعل ذلك.

وقد أخبر النبي ﷺ أنه في آخر الزمان، بعد نزول عيسى عليه السلام يخرجون على الناس وينتشرون في الأرض ويحصُرون عيسى بن مريم والمؤمنين معه في جبل بيت المقدس، ويشتدّ الأمر على المؤمنين.

فيلقي الله عز وجل على يأجوج ومأجوج دودةً تأكل رقابهم، فيصبحون فرسى - يعني موتى - كلهم ميتة رجلٍ واحد، ويقي الله عز وجل عيسى وأصحابه شرهم، وفيما يلي تفصيل هذه الأحداث.

قصة بناء السد على يأجوج ومأجوج

قال ﷻ في قصة الملك الصالح ذي القرنين: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

أولاً: من ذو القرنين؟

هو ملك مؤمن صالح، ولم يكن نبياً على القول الراجح من أقوال أهل العلم، سمي بذي القرنين لأنه قد بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشيطان ويغرب، وهو غير الإسكندر المقدوني، فإن الإسكندر كان كافرًا، وزمنه متأخر عن ذي القرنين، وبينهما أكثر من ألفي سنة، والله أعلم.

وقد ذكر الله ﷻ قصته في سورة الكهف، وأنه طاف الأرض. وسنقف هنا مع الآيات المتعلقة بقصته مع يأجوج ومأجوج.

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أي: سلك طريقًا ثالثًا بين المشرق والمغرب، يوصله جهة الشمال حيث الجبال الشاهقة.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ أي: حتى إذا وصل بجنوده إلى منطقة بين جبلين عظيمين بمنقطع أرض الترك مما يلي أرمينية وأذربيجان.



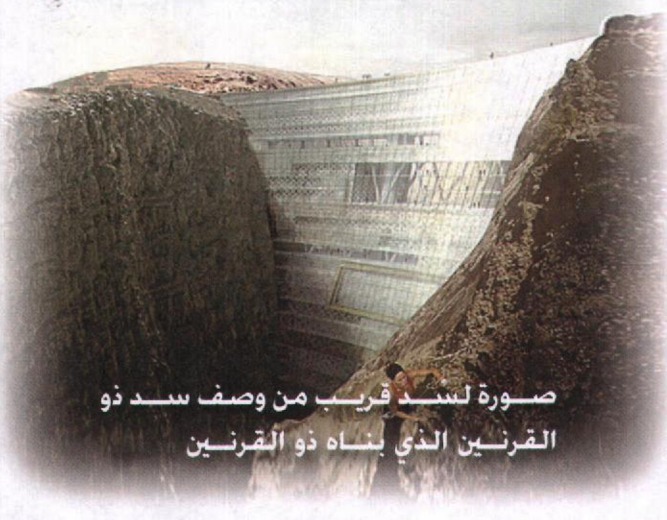
(١) الكهف: ٩٢-٩٧

والسدان: هما جبلان، بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، فيعيثون فيها فسادًا ويُهلكون الحرث والنسل[١].

فعندما رأى الترك في ذي القرنين قوة، وتوسموا فيه القدرة والصلاح، عرضوا عليه أن يقيم لهم سدًا في وجه يأجوج ومأجوج الذين يهاجمونهم من ذلك الممر، وذلك مقابل مال يجمعونه ويعطونه له جزاء عمله.

لكن ذا القرنين الملك الصالح تطوع بإقامة السد بدون مال، بل رجاء الثواب عند الله ﷻ، ورأى أن أيسر طريقة لإقامته هي ردم الممر بين الجبلين، فطلب إلى أولئك القوم، أن يعينوه ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾.

فصفّ قطع الحديد بين جانبي الجبلين ثم قال لهم: ﴿انفُخُوا﴾ أي: انفخوا بالمنافيخ عليه. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ أي: جعل ذلك الحديد المتراكم كالنار بشدة الإحماء. ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي: أعطوني أصب عليه النحاس المذاب، فالتصق بعضه ببعض، وصار جبلا صلدا، فلم يستطع المفسدون من يأجوج ومأجوج أن يعلوه ويتسوروه لِعُلُوِّه، ولم يستطيعوا أن ينقبوه من أسفله لصلابته وثخانته، وبهذا السد المنيع أغلق ذو القرنين الطريق على يأجوج ومأجوج.


صورة لسد قريب من وصف سد ذو القرنين الذي بناه ذو القرنين

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٣/٩٢).

من يأجوج ومأجوج؟

- قيل: يأجوج ومأجوج: اسمان أعجميان مثل طالوت وجالوت.
- وقيل: يأجوج ومأجوج مشتق من قولهم: أجّت النار، إذا التهبت، وذلك أنّهم أُمّة خبيثة تحرق وتُدمِّر في الأرض.
- وقيل: مشتق من الماء الأجاج وهو الشديد الملوحة.
- وقيل: من الأجّ، وهو شدة العَدْوِ والركض.

ما دين يأجوج ومأجوج؟ وهل بلغتهم رسالة النبي ﷺ؟

يأجوج ومأجوج من بني آدم..

والذي رجّحه الحافظ ابن حجر: أنهم قبيلتان من ولد يافث بن نوح[(١)].

فهما من ولد آدم وحواء ويدل عليه ما جاء عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في بعض أسفاره، فتفاوت بين أصحابه السير فرفع بهاتين الآيتين صوته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ٢﴾[(٢)] حتى بلغ آخر الآيتين، فلما سمع أصحابه بذلك حثوا المطي وعرفوا أنه عند قول يقوله،

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣ / ١٠٦).

(٢) الحج: ١-٢



فلما تأشبوا[١] حوله قال: «أتدرون أي يوم ذاك؟ ذاك يوم ينادى آدم فيناديه ربه تبارك وتعالى: يا آدم ابعث بعثاً إلى النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين في النار وواحد في الجنة». قال عمران: فأبلس[٢] أصحابه؛ حتى ما أوضحوا بضاحكة. فلما رأى ذلك قال: «اعملوا وأبشروا، فوالذي نفس محمد بيده إنكم لَمَعَ خليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه؛ يأجوج ومأجوج ومن هلك من بني آدم وبني إبليس». قال: فأُسرِيَ عنهم، ثم قال: «اعملوا وأبشروا، فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير[٣] أو الرقمة[٤] في ذراع الدابة»[٥].



صورة للرقمة (العلامة) التي توضع على الدواب

(١) تأبشوا: أي اجتمعوا إليه وأطافوا به

(٢) أبلس: أي سكتوا من شدة المفاجأة والفزع.

(٣) الشامة: العلامة السوداء.

(٤) الرقمة: الدائرة الصغيرة، وهو ﷺ يشير بذلك إلى قلة الأمة يوم القيامة بالنسبة لكثرة الأمم معهم.

(٥) رواه أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

كثرة عددهم

عـن عبد الله بن عمـرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معايشهم، ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا، وإن من ورائهم ثلاث أمم: تاول وتاريس ومسك»[1].

وعـن عبد الله بن عمـرو رضي الله عنه قـال: «إن الله عز وجل جزَّأ الخلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الملائكة وجزءًا سائر الخلق، وجزأ الملائكة عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وجزءًا لرسالته، وجزأ الخلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الجن، وجزءا بني آدم، وجزأ بني آدم عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء يأجوج ومأجوج، وجزءا سائر الناس»[2].

وهذا الأثر هو قول لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وليس حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وليس له حكم الرفع؛ لأن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عُرف عنه أنه الأخذ عن الإسرائيليات وتضمينها كلامه أحياناً، ولكني ذكرت الأثر استئناسًا به.

صفة خلقهم

عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته قالت: خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب رأسه من لدغة عقرب فقال: «إنكم تقولون لا عدو!، وإنكم لن تزالوا

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٦) ورجاله ثقات.، وحكم عليه الألباني بالنكارة كما في السلسة الضعيفة (٩ / ١٥٩).

(٢) أخرجه الحاكم وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

تقاتلون حتى يأتي يأجوج ومأجوج: عراضُ الوجوه، صغارُ العيون، صهبُ الشعاف، ومن كل حدب ينسلون. كأن وجوههم المجان المطرقة»[1].

«صهب الشغاف»: يعني لون شعرهم أسود فيه حمرة.



الترس
وهو الذي يمسكه المقاتل في يده ليتقي به ضربات السيوف والفؤوس

«كأن وجوههم المجان المطرقة» المجن الترس، شبه وجوههم بالترس؛ لبسطها وتدويرها. وبالمطرقة؛ لغلظها وكثرة لحمها.

«من كل حدب ينسلون»: أي من كل مكان مرتفع يخرجون سراعاً وينتشرون في الأرض.

كيف يخرقون السد؟

تقدم أن يأجوج وماجوج قبيلتان كان لهم أنواع من الإفساد، حتى بنى ذو القرنين السد، فصار السدُّ حائلا بينهم وبين الوصول إلى الناس، وهم داخل سدّهم بلا شك عندهم طعامهم وشرابهم، ولهم حياتهم ومعيشتهم الخاصة، ولا يزال يأجوج ومأجوج يجتهدون في سبيل هدم هذا السد، فهم يحفرون وينقبون ويجتهدون.

(١) قال الهيثمي (٨/٦) رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح، وقال البوصيري في اتحاف الخيرة المهرة في المسانيد العشرة: رجاله ثقات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في السد: «ثم يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا. فيعيده الله كأشد ما كان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا إن شاء الله، واستثنى[١]. قال: فيرجعون، فيجدونه كهيئته حين تركوه[٢]، فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه، ويفر الناس منهم فيرمون بسهامهم في السماء فترجع مخضبة بالدماء»[٣].

في الحديث ثلاث فوائد:

- الأولى: أن الله منعهم أن يواصلوا الحفر ليلًا ونهارًا، ولو فعلوا ربّما خرقوه.
- الثانية: منعهم أن يحاولوا الرقي على السد بسلم أو آلة، فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه، ولعلهم حاولوا ولم يقدروا لعلوّ السدّ وملاسته.
- الثالثة: لم يوفقهم القول: إن شاء الله حتى يجيء الوقت المحدود وتقرّب القيامة.

وفي الحديث: أن فيهم أهل صناعة، وأهل ولاية، وسلاطة، ورعية تطيع من فوقها، وإن فيهم من يعرف الله ويقر بقدرته ومشيئته.

ويحتمل أن تكون كلمة "إن شاء الله" تجري على لسان ذلك الوالي دون أن يعرف معناها، فيحصل المقصود ببركتها "[٤].

---

(١) أي قال: إن شاء الله، فجعل التصرّف والتحكم لله عز وجل لا لأنفسهم.

(٢) أي: لم يرجع كما كان من قبل، بل لا يزال مخروقاً.

(٣) رواه أحمد والترمذي والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٤) انظر فتح الباري (١٣/١٠٩).

■ النصوص الواردة في يأجوج ومأجوج

الآيات:

- **قال** ﷻ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾، **الآيات إلى قوله** ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾[1].

- **قولـه** ﷻ: ﴿ لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ **أي: لا يفهمـون كلام من يتكلم معهم إلا بشدة وبطئ كبير.**

- **وقال** ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[2].

- **قوله** ﷻ ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ **أي: من كل مكان مرتفع يخرجون سراعاً وينتشرون في الأرض.**

---

(١) الكهف: ٨٣-٩٩

(٢) الأنبياء: ٩٦

الأحاديث:

- عن أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب! فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه». وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها. فقالت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «نعم، إذا كثر الخبث»(١).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد بيده تسعين»(٢).

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد»، قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألف. ثم قال: والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»، فكبّرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة»، فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»، فكبرنا، فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود»(٣).

- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في بعض أسفاره فتفاوت بين أصحابه السير فرفع بهاتين الآيتين صوته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

(١) متفق عليه
(٢) رواه مسلم
(٣) متفق عليه.

اَتَّقُوا رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾[١] حتى بلغ آخر الآيتين، فلما سمع أصحابه بذلك حثوا المطي وعرفوا أنه عند قول يقوله، فلما تأشبوا[٢] حوله قال: «أتدرون أي يوم ذاك؟ ذاك يوم ينادى آدم فيناديه ربه تبارك وتعالى: يا آدم ابعث بعثاً إلى النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين في النار وواحد في الجنة». قال عمران: فأبلس[٣] أصحابه؛ حتى ما أوضحوا بضاحكة. فلما رأى ذلك قال: «اعملوا وأبشروا، فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه؛ يأجوج ومأجوج ومن هلك من بني آدم وبني إبليس». قال: فأُسرِيَ عنهم، ثم قال: «اعملوا وأبشروا، فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير[٤] أو الرقمة[٥] في ذراع الدابة»[٦].

- وقال ﷺ في معرض كلامه عن أشراط الساعة ونزول عيسى عليه السلام، وحكمه للناس: «فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي، لا يدان لأحد بقتالهم[٧]، فحرّز عبادي إلى الطور[٨]».

---

(١) الحج: ١-٢

(٢) تأبشوا: أي اجتمعوا إليه وأطافوا به

(٣) أبلس: أي سكتوا من شدة المفاجأة والفزع.

(٤) الشامة: أي العلامة السوداء.

(٥) الرقمة: أي الدائرة الصغيرة، وهو ﷺ يشير بذلك إلى قلة الأمة يوم القيامة بالنسبة لكثرة الأمم معهم.

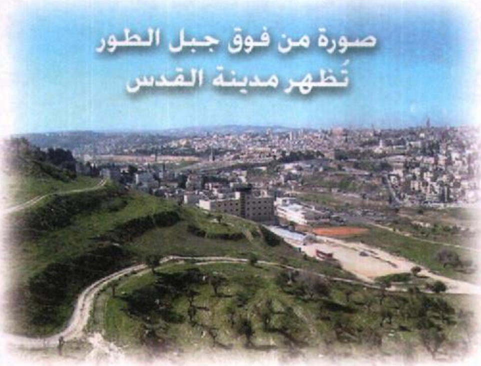
(٦) رواه أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٧) أي لا قدرة لأحد على قتالهم.

(٨) أي ضمهم واحفظهم إلى جبل الطور.



جبل الطور بفلسطين
يرتفع ٨٢٦ متر عن سطح البحر



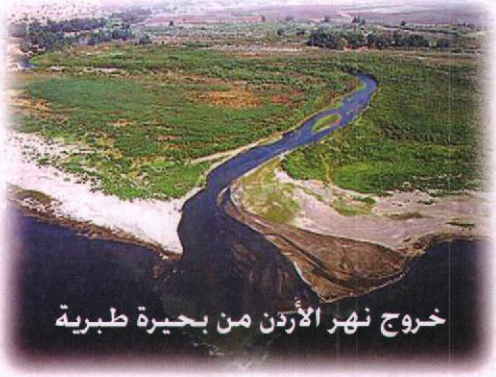
صورة من فوق جبل الطور
تُظهر مدينة القدس

- عـن النواس بـن سمعاس رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال: «ويبعـث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون[1]، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء»[2].

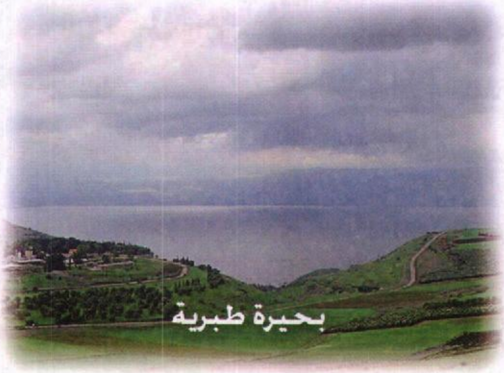


وبحيرة طبرية: تسـمى أحيانًا بحر الجليل، أو بحيرة الجليل، بحيرة صغيرة. تقع: في شمالي فلسطين المحتلة، يصب فيها نهـر الأردن، ويخـرج منها مسـتمرًا في جريانه وسط غور الأردن. حجمها: يبلغ طول بحيرة طبرية ٢٣كم، وأوسع عرض فيها ١٣كم، ولا يزيد عمقها على ٤٤م، وتنخفض عن مستوى سطح البحر بـ ٢١٠م.

(١) ينسلون: أي يمشون مسرعين.
(٢) رواه مسلم.



خروج نهر الأردن من بحيرة طبرية



بحيرة طبرية

ثـم قال ﷺ: «ثم يسـيرون حتى ينتهـوا إلى جبل الخَمَـر (الخَمَر: بالفتح الشـجر الملتـف)، وهو جبـل بيت المقـدس (أي فلسـطين)، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض. هلم فلنقتل من في السـماء فيرمون بنشـابهم[١] إلى السـماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما، ويحصر[٢] نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم[٣]، فيرغب نبي الله عيسـى وأصحابه[٤]، فيرسـل الله عليهم النغفة[٥] في رقابهم فيصبحون فرسـى[٦] كموت نفس واحدة[٧]، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم، ونتنهم[٨]، فيرغب نبي الله عيسـى وأصحابه إلى الله، فيرسـل الله طيرًا كأعناق البخت[٩]، فتحملهم فتطرحهم حيث شـاء الله، ثم يرسـل

(١) نشابهم: سهامهم.

(٢) يحصر: يكون محاصرا مع أصحابه.

(٣) أي يصيبهم شـدّة وحاجة وجوع شـديد ن حتى لو وجد أحدهم رأس ثور لكان فرحه به كفرح أحد الصحابة بمائة دينار

(٤) أي يرغبون إلى الله ويدعونه ليخلصهم.

(٥) النغفة: في الأصل دود يكون في أنوف الإبل والغنم فيقتلها، وسوف يرسله الله على رقاب يأجوج ومأجوج.

(٦) فرسى: أي قتلى

(٧) أي يموتون في لحظة واحدة.

(٨) زهمهم ونتنهم: دسمهم ورائحتهم الكريهة.

(٩) البخت: الإبل العظيمة ذات السّنامين.

الله مطـرًا لا يُكِنُّ منه بيت مدر ولا وبر[١]، فيغسـل الأرض حتى يتركها كالزلقة[٢]، ثـم يقال للأرض: أنبـتي ثمرتك وردي بركتـك، فيومئذ تأكل العصابة[٣] من الرمانة، ويستظلون بقحفها[٤]، ويبارك في الرِسل[٥]، حتـى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس[٦]، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[٧] من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون[٨] فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة»[٩].



وفي رواية: «.. فيرغب عيسـى إلى الله وأصحابه. قال: فيرسـل الله عليهم طـيرا كأعناق البخت. فتحملهـم فتطرحهـم بالمَهْبِـل[١٠]، ويسـتوقد المسلمون من قسيهم[١١] ونشابهم وجعابهم[١٢] سبع سنين»[١٣].

---

(١) أي يرسل الله مطراً يخترق البيوت المبنية من الطين الصلب والحارة، والمبنية من الصوف والشّعر.

(٢) الزلقة: أي كالمرآة شبهها بها في صفائها ونظافتها.

(٣) العصابة: الجماعة.

(٤) قحف الرمانة: هو مقعر قشرها تشبيها بقحف الرأس وهو الذي فوق الدماغ

(٥) الرسل: اللبن.

(٦) الفئام: أي الجماعة الكثيرة من الناس.

(٧) أي أن لبن الغنم يكفي الجماعة من الأقارب.

(٨) يتهارجون: أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك

(٩) رواه مسلم.

(١٠) المهبل: الحفرة العميقة.

(١١) قسيهم: جمع قوس والمراد به هنا القوس الذي يستخدم في رمي السهام.

(١٢) جعبة السهام: هي الشيء الذي يوضع فيه السهام.

(١٣) رواه الترمذي وهو صحيح.

- **عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لما كان ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم لقي إبراهيم وموسى وعيسى - عليهم السلام - فتذاكروا الساعة إلى أن قال: فردوا الحديث إلى عيسى، فذكر قتل الدجال ثم قال: يرجع الناس إلى بلادهم[(١)] فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، لا يمرون بماء إلا شربوه ولا بشيء إلا أفسدوه. يجأرون إلي[(٢)] فأدعو الله فيميتهم فتجوى الأرض من ريحهم، فيجأرون إلي، فأدعو الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم، فيقذف بأجسامهم في البحر»[(٣)].**

- **وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في معرض كلامه عن يأجوج ومأجوج: «ويخرجون على الناس فيستقون المياه، ويفر الناس منهم، فيرمون سهامهم في السماء، فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وغلبنا من في السماء قوة وعلواً! فيبعث الله عز وجل عليهم نغفا في أقفائهم، فيهلكهم، والذي نفس محمد بيده، إن دواب الأرض لتسمن وتبطر وتشكر شكرا[(٤)] من لحومهم»[(٥)].**

من الأحاديث الضعيفة الواردة فيهم:

ورد في يأجوج ومأجوج آيات وأحاديث كثيرة، واشتهر بين الناس بعض الأحاديث الضعيفة، وأذكر هنا بعضها بياناً لحالها:

---

(١) أي بعد هربهم من الدّجال في الجبال وغيرها، يقتل عيسى عليه السلام الدّجال، ويرجع الناس إلى بلاده وبيوتهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج.

(٢) يعني: يجأر الناس إلى عيسى عليه السلام ويطلبون منه أن يدعو الله لهم.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٤٨٨ - ٤٨٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٤ / ١٨٩ - ١٩٠) تحقيق أحمد شاكر وقال إسناده صحيح.

(٤) تبطر وتشكر: تسمن وتمتلئ لحمًا.

(٥) رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «سألت النبي ﷺ عن يأجوج ومأجوج؟ فقال: «يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت الرجل حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه كلٌ قد حمل السلاح».قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: «هم ثلاثة أصناف، فصنف منهم أمثال الأرز». قلت: وما الأرز؟ قال: «شجر بالشام، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء». فقال النبي ﷺ: «هؤلاء الذين لا يقوم لهم حيل ولا حديد، وصنف منهم يفترش بأذنه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام، وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية»»[(١)].

هلاكهم

يبقى يأجوج ومأجوج رجالاً ونساءً وصبياناً يعيثون في الأرض فساداً قتلاً للناس وهتكًا للحرمات، غروراً وفجوراً، حتى يبلغ من كفرهم أن يرموا السهام جهة السماء ليغلبوا من في السماء كما غلبوا من في الأرض، ولا ينجو منهم إلا من كان متحصنًا بالحصون، أو مختفياً.

ومن هؤلاء المتحصنين عيسى عليه السلام وقوم معه من المؤمنين، وقد أصابهم الجوع والحاجة والجهد الشيء العظيم.

عندها يلجأ عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله عز وجل كما تقدم في الأحاديث، فيرسل الله على يأجوج ومأجوج النغف في رقابهم، فيموتون، ويرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحمل أجساد يأجوج ومأجوج... فتطرحهم حيث شاء الله.

(١) قال الهيثمي (٨/ ٦) رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى بن سعيد العطار وهو ضعيف

ثم يرسل الله مطراً فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تفتح يأجوج ومأجوج؛ يخرجون على الناس كما قال الله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾؛ فيعيثون في الأرض، وينحاز المسلمون إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم - يعني يأجوج ومأجوج - ليمر بالنهر فيشربون ما فيه، حتى يتركوه يابساً حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: لقد كان هاهنا ماءٌ مرةً، ثم قال ﷺ: حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أخذ في حصن أو مدينة قال قائلهم - أي من يأجوج ومأجوج -: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء. ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء فترجع مخضبة دمًا، أي بلاء وفتنة من الله تعالى لهم، فبينما هم على ذلك بعث الله عليهم دوداً في أعناقهم كالنغف، فيخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجلٌ يشري لنا بنفسه فينظر ما فعل هذا العدو، قال: ثم يتجرد رجل منهم لذلك محتسبًا بنفسه قد وطنها على أنه مقتول، فينزل، فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين، أبشروا فإن الله قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم، فتَشْكَر عنه كأحسن ما شَكِرت عن شيء من نبات أصابته قط»[1].

«تشكر»: أي تسمن.

وفي رواية عن عطية العوفي عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فيُهلِكون من في الأرض إلا من تعلق بحصن، فلما فرغوا من أهل الأرض أقبل بعضهم على بعض فقالوا: إنما بقي من في الحصون ومن في السماء فيرمون بسهامهم

(١) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.



فخرّت منغمرة دمًا، فقالوا: قد استرحتم ممن في السماء وبقي من في الحصون، فحاصروهم حتى اشتد عليهم الحصار والبلاء، فبينما هم كذلك؛ إذ أرسل الله عليهم نغفاً في أعناقهم؛ فقصمت أعناقهم؛ فمال بعضهم على بعض موتى، فقال رجل منهم - أي من أصحاب عيسى عليه السلام المحصورين معه -: قتلهم الله رب الكعبة. قالوا: إنما يفعلون هذا مخادعة؛ فنخرج إليهم فيهلكونا كما أهلكوا إخواننا، فقال: افتحوا لي الباب، فقال أصحابه: لا نفتح، فقال: دَلُّوني بحبل، فلما نزل وجدهم موتى»[١].

لا قتال بعد يأجوج ومأجوج

بعد ما يُهلِك الله عز وجل يأجوج ومأجوج، لا يبقى إلا المؤمنون، وتنتشر البركات والخيرات، ونفوسهم صافية، ولا يبقى قتال ولا حروب.

عن سلمة بن نفيل رضي الله عنه قال: «بينا أنا جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل، فقال: يا رسول الله، إن الخيل قد سُيِّبت (أي تُرِكتْ)، ووضِع السلاح، وزعم أقوام أن لا قتال، وأن قد وضعت الحربُ أوزارها. فقال صلى الله عليه وسلم: «كذبوا؛ الآن جاء القتال، وإنه لا يزال من أمتي أمة يقاتلون في سبيل الله لا يضرهم من خالفهم، يزيغ الله قلوب قوم يرزقهم منهم، يقاتلون حتى تقوم الساعة، ولا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج»»[٢].

(١) الحديث من رواية أحمد بن منيع، وعطية العوفي ضعيف لكن للحديث شواهد كثيرة.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى، والطبراني في الكبير، ورواه أحمد والنسائي بلفظ قريب منه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٩٣٥).

يبقى الحج بعد يأجوج ومأجوج

عن أبي سـعيد الخـدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَيُحَجَّـن البيت ولَيُعْتَمَرن بعد خروج يأجوج ومأجوج»[١].





(١) رواه البخاري.

■ السدّ الذي بناه ذو القرنين على يأجوج ومأجوج. هل رآه أحد؟ أو يمكن لأحد رؤيته؟

رآه أحد الصحابة.. فقد ذكر البخاري مُعلّقًا بصيغة الجزم: «قال رجل للنبي ﷺ: رأيت السد مثل البرد المحبر[١]، فقال ﷺ مصدّقًا له صحة الصفة: «رأيته»».

قال ابن حجر: «الحديث وصله ابن أبي عمر من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. فقال ﷺ: «كيف رأيته»؟ قال: مثل البرد المحبر طريقة حمراء وطريقة سوداء. فقال ﷺ مقراً له: «قد رأيته»»[٢].

وذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - قصة عن السد ومحاولة بعض الملوك الوصول إليه فقال: «وقد بعث الخليفة الواثق[٣] في دولته بعض أمرائه وجهز معه جيشًا سَريَّة لينظروا إلى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا، فوصلوا من بلاد إلى بلاد، ومن ملك إلى ملك، حتى وصلوا إليه، ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس، وذكروا أنهم رأوا فيه باباً عظيما وعليه أقفال عظيمة، ورأوا بقية اللبن[٤] والعمل في برج هناك، وأن عنده حراسًا من الملوك المتاخمة له، وأنه عال منيف شاهق، لا يُستطاع، ولا ما حوله من



(١) أي مثل الثياب المخططة فيها خط أبيض وخط وأسود أو غير ذلك من الألوان.

(٢) فتح الباري (١٠ / ١٢٩).

(٣) حكم الواثق الدولة العباسية عام ٢٢٧ - ٢٣٢هـ / ٨٤٢-٨٤٧م، وترتيبه التاسع من الخلفاء العباسين.

(٤) اللبن: الطوب والحجارة التي استعملت في البناء.

الجبال، ثم رجعوا إلى بلادهم، وكانت غيبتهم أكثر من سنتين، وشاهدوا أهوالًا وعجائب»[(١)]. ولم يذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - سندًا لهذه القصة، ولم يتكلم عليها بشيء فالله أعلم بها.

هل لسدّ ذي القرنين علاقة بسور الصين العظيم[(٢)]؟

هناك فرق بين سد ذي القرنين وسور الصين من عدة أوجه:

١ أن السد بناه ذو القرنين لصد هجوم يأجوج ومأجوج، والسور بناه أباطرة الصينين لحماية مملكاتهم.

٢ أن مواد السد المذكورة في الآية الحديد والنحاس، وأما مادة سور الصين الحجارة والآجر.

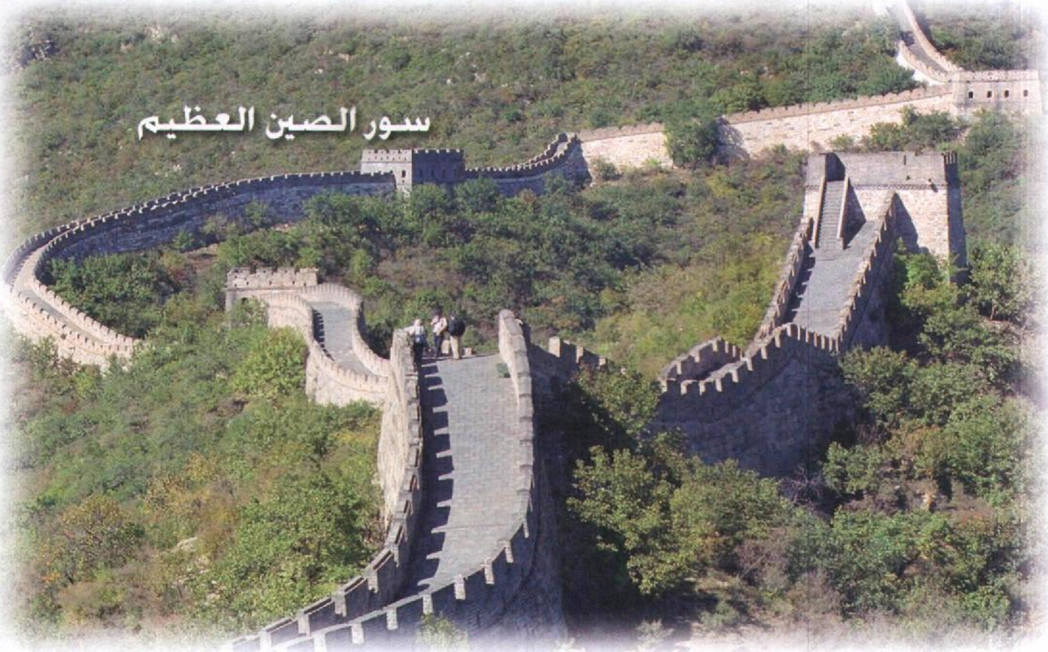
٣ سد يأجوج ومأجوج مبني بين جبلين يسد الفتحة بينهما، وهو الممر الوحيد، أما سور الصين فهو سدّ على قمم الجبال والممرات وممتد من شرق الصين إلى غربها آلاف الأميال.

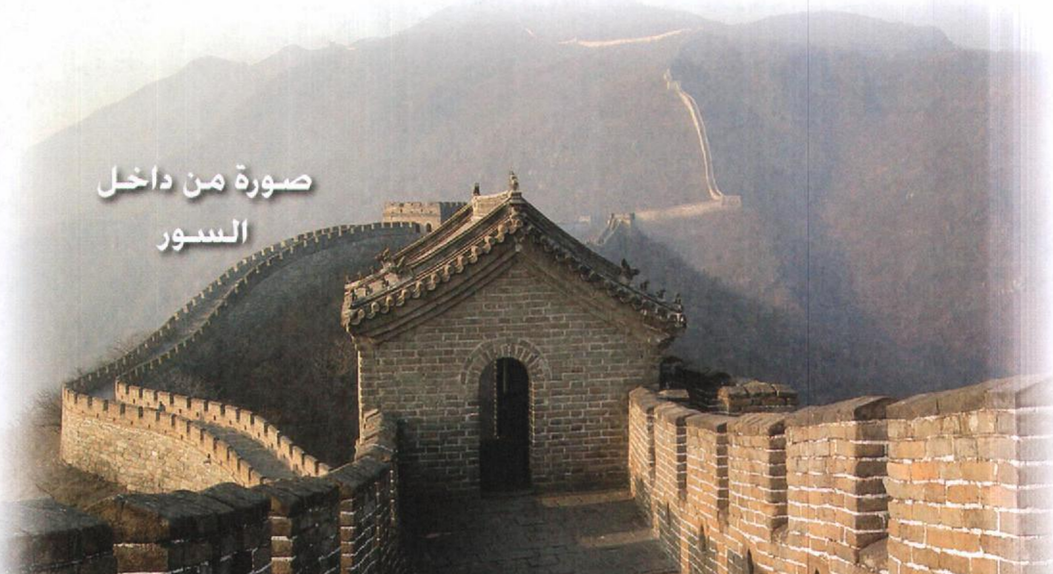
٤ سد يأجوج ومأجوج لا يمكن اختراقه إلا إذا شاء الله في آخر الزمان، أما سور الصين فقد تهاوى منه مواقع، والناس يدخلون منه ويخرجون، بل نقض الناس أجزاء مِنْه.

---

(١) انظر البداية والنهاية (٧ / ١٢٦).

(٢) سور الصين العظيم: أطول بناء في التاريخ يبلغ طوله ٦٤٠٠كم. بُني يدويًا بدا بناؤه القرن ٤ق.م واستمر حتى بداية القرن ١٧م وقد بنى الصينيون السور لحماية حدودهم الشمالية من الغزاة. ويمتد السور شمال الصين بين الساحل الشرقي وشمال وسط الصين انهدمت أجزاء منه عبر السنين وأصلحت والجزء الرئيسي من السور طوله ٣،٤٦٠كم وارتفاع السور ٧.٥ متر وعرضه من ٧٥ م في القاعدة ويضيق حتى ٤.٦م في القمة، وفيه أبراج مراقبة على مسافات ١٨٠ م على طول السور. وقد تدمرت أجزاء كبيرة من السور عبر القرون وأعاد الشيوعيون بناء ثلاثة أجزاء منه منذ سنة ١٩٤٩ م عندما حكموا البلاد ولم يعد الصينيون يستخدمون السور للدفاع.


سور الصين العظيم


صورة من داخل
السور

لماذا لم تكتشف الأقمار الصناعية سدَّ يأجوج ومأجوج؟

معرفة جميع بقاع الأرض والإحاطة بما فيهما من المخلوقات لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، الذي أحاط بكل شيء علمًا، ولا يلزم من عدم اكتشافنا لمكان سدّ يأجوج ومأجوج، أو مكان الدجال، أو غيرهم من المخلوقات أنهم غير موجودين؛ فقد يكون الله ﷻ صرف الناس عن رؤية يأجوج ومأجوج ورؤية السد، أو جعل بينهم وبين الناس أشياء تمنع من الوصول إليهم كما حصل لبني إسرائيل حين ضرب الله عليهم التيه[١] فضلوا أربعين سنة في فراسخ قليلة من الأرض، فلم يطلع عليهم الناس حتى انتهى أمدُ التيه، والله ﷻ على كل شيء قدير، جعل لكل شيء أجلًا ووقتًا، قال ﷻ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾[٢]. وما عجز الأوائل عن اكتشاف ما اكتشفه المتأخرون إلا لأن الله ﷻ جعل لكل شيء أجلًا.[٣]

وختامًا.. قال القاضي عياض: «الأحاديث الواردة في يأجوج ومأجوج: هذه الأخبار على حقيقتها يجب الإيمان بها؛ لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة، وقد ورد في خبرهم أنه لا قدرة لأحد على قتالهم من كثرتهم، وأنهم يَحْصُرون نبيَّ الله عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين الذين

---

(١) أي زمن الضياع فلا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وقصة تيهان بني إسرائيل أنه لما نجى الله موسى وقومه قال لهم موسى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ وهي أرض بيت المقدس فامتنعوا أن يدخلوها وقالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾، قالوا هم قوم جبارون يعني لهم قوة وجبروت، فلن ندخلها أبدا، ولما امتنعوا أن يدخلوا هذه الأرض التي كتب الله لهم قال الله ﷻ: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فبقوا أربعين سنة يتيهون يصبحون في مكان ثم يسيرون ثم إذا جاء الليل وإذا هم في مكانهم الذي باتوا فيه البارحة ولا يدرون أين يتوجهون يمشون طوال اليوم بدوابهم وعلى أرجلهم، ومع ذلك لا يقطعون مسافة بل يطوفون في مكان واحد في صحراء موحشة أربعين سنة، سلط الله ﷻ عليهم هذه العقوبة جزاء عتوهم لما قيل لهم ادخلوا الأرض المقدسة فامتنعوا وقالوا: " فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ ".

(٢) الأنعام: ٦٦-٦٧

(٣) وقد تقدم عند كلامنا عن الدجال أن مثلث برمودا لا يزال لُغزًا يُحيّر العلماء بالرغم من تطور وسائل الاكتشاف.

نجـوا من الدجال، فيدعو عليهم فيهلكهم الله ﷻ أجمعين بالنّغف - وهو دود في رقابهم - فيؤذون الأرض والمؤمنين بِنَتَنِهم، فيدعو عيسى وأصحابه ربهم فيرسل الله طيرًا فتحملهم حيث شاء الله»(١).

وأخيراً..

■ هل يجب على المسلمين قتالهم؟

الجواب: لا، لما تقدم من قصة عيسى عليه السلام وأن الله ﷻ قال لعيسى: «إني قد بعثت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرّز عبادي إلى الطور»(٢).

(١) نقله عنه القاري في مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح (١٦ / ٢).

(٢) رواه مسلم، وقد تقدم تفصيل ذلك قبل صفحات يسيرة.

الخسوف الثلاثة



من أشراط الساعة الكبرى التي أخبر عنها النبي ﷺ، وقوع ثلاثة خسوف كبرى يفزع الناس لها، ويكون لها تأثير عظيم.

ومعنى الخسف:

انشقاق الأرض وغياب ما فوقها في داخلها.

وقد وقع في الزمان الماضي والحاضر أنواع من الخسوف، تتفاوت في قوتها وحجمها.

لكن الخسوف المعنية في الأحاديث يكون لها شأن وينتشر خبرها وذكرها.

والخسوف الثلاثة الواردة في الأحاديث والتي هي من أشراط الساعة تكون آخر الزمان، دلت نصوص كثيرة.



صورة لخسف وقع في أحد شوارع الدنمرك وليس هو الخسف المقصود في أشراط الساعة





صور أخرى لنفس الخسف الموضح أعلاه

■ الأحاديث الواردة في الخسف

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: «اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون»؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»»[١].

أحاديث واردة في الخسف عمومًا:

جاء في بعض الروايات تحديد مكان وسبب أحد الخسوف الثلاثة الكبرى، هو خسف يكون في جزيرة العرب.



عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من قريش من أهل المدينة إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، فيبعثون إليه جيشا من أهل الشام، فإذا كانوا بالبيداء[٢] خُسِف بهم، فإذا بلغ الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصابة أهل العراق فيبايعونه»[٣].

---

(١) رواه مسلم

(٢) البيداء: الصحراء

(٣) رواه ابن حبان - صحيح، وتقدم في روايات أخرى عند الكلام عن المهدي العلامة (١٣١) من العلامات الصغرى، أن الخسف يكون في بيداء من الأرض بين مكة والمدينة.

أحاديث في خسوف أخرى تقع عقوبة على معاصٍ:

- عـن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشـراب ولهو؛ فيصبحون قد مُسِخوا خنازير، وليخسفن بقبائل فيها وفي دور فيها حتى يصبحوا فيقولوا: خسـف الليلة ببني فلان، خسـف الليلة بدار بني فلان، وأرسـلت عليهـم حصباء حجارة، وأرسـلت عليهم الريح العقيم فتنسـفهم، كما نسفت من كان قبلهم بشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات[1] وقطيعتهم الرحم. قال: وذكر خصلة أخرى فنسيتها»[2].

- وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «في أمتي خسف ومسخ وقذف»[3].

- وعـن ابن عمـر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قـال: «بينا رجل يجـر إزاره من الخيلاء خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»[4].

التجلجل: حركة مع صوت.

- وعن أنـس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «يا أنس، إن الناس يُمصِّرون أمصارًا، وإن مصرًا منها يقال له البصـرة أو البصيرة، فإن أنت مـررت بهـا أو دخلتها فإياك وسباخها وكلاءها وسـوقها وبـاب أمرائهـا،



(١) القينات: جمع قينة وهي المرأة المغنية.
(٢) أخرجه الحاكم وقال: حديث صحيح على شرط مسلم لجعفر فأما فرقد فإنهما لم يخرجاه.
(٣) أخرجه الحاكم وقال: إن كان أبو الزبير سمع من عبد الله بن عمر فإنه صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
(٤) رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنه، وكذلك رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعليك بضواحيها فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف، وقوم يبيتون يصبحون قردة وخنازير»[١].

فقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث: أن الناس يتخذون بلاداً منها مدينة يقال لها البصرة، فحذر أنسًا إن دخل هذا المدينة من سباخها - والسبخة هي الأرض المالحة - وكلائها وسوقها الذي يجتمع فيه الناس يتبايعون، وحذره من باب أمرائها الظلمة لما سيحصل في المدينة من الخسف والقذف والرجف والمسخ.

وأرشده إلى ضواحي البصرة أي أطرافها وحوليها، لبعدها عن الهلاك.

- وعن نافع أن رجلًا أتى بن عمر - رضي الله عنهما - فقال: إن فلانا يقرؤك السلام. قال: إنه بلغني أنه قد أحدث - يعني ابتدع بدعة- فإن كان قد أحدث فلا تقرئه مني السلام؛ فإني سمعت النبي ﷺ يقول: يكون في أمتي، أو في هذه الأمة مسخ وخسف وقذف وذلك في أهل القدر»[٢].

فهذه الأحاديث فيها وقوع أنواع من الخسف في هذه الأمة.

أما الخسوف الثلاثة الكبرى الواقعة في آخر الزمان، فقد تقدم في الحديث الأول بيان مكان أحد هذه الخسوف وسببه، أما الخسفان الآخران، فهما واقعان في آخر الزمان، لكني لم أقف على حديث يدل على مكان أو سبب الخسف لهما، والله تعالى أعلم.

---

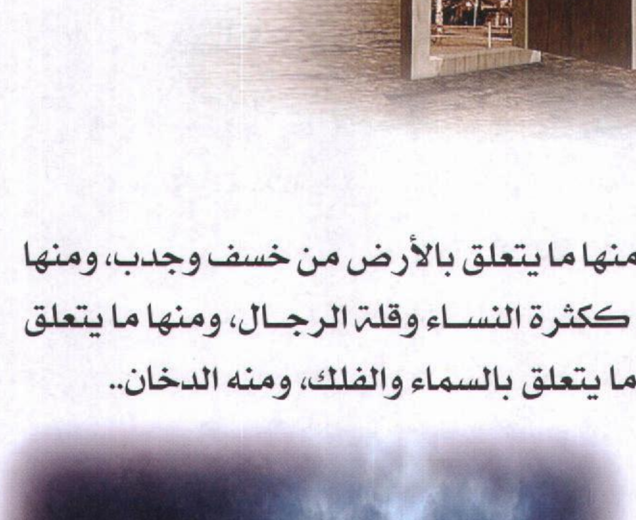
(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن ماجة والترمذي-صحيح.

الدخان



أشراط الساعة متنوعة، منها ما يتعلق بالأرض من خسف وجدب، ومنها ما يتعلق بالناس ككثرة النساء وقلة الرجال، ومنها ما يتعلق بالأخلاق كانتشار الزنا، ومنها ما يتعلق بالسماء والفلك، ومنه الدخان..


صورة رمزية لدخان يقبل على بلدة
وليس هو الدخان المقصود في الآية

- فما المقصود بالدخان؟
- وهل وقعت هذه العلامة؟
- وما الحكمة منها؟

الأصل في هذه العلامة من علامات الساعة، قوله عز وجل:
﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ
مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا
مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٣)﴾[1].

(١) الدخان: ١٠-١٣

اختلاف العلماء في المراد بالدخان الوارد في الآية على قولين

١ ذهب بعضهم إلى أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشاً من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلّا مثل الدخان من شدّة البلاء، وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وتبعه جماعة من السلف ورجحه ابن جرير الطبري رحمه الله[١].

فعن مسروق بن الأجدع قال: «كنا جلوسًا عند عبد الله بن مسعود فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن قاصًّا يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام، فجلس عبد الله وهو غضبان وقال: يا أيها الناس اتقوا الله، من علم منكم شيئا فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾، إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إدبارًا قال لهم: «اللهم سبع كسبع يوسف»[٢]، قال: فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع[٣]، وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهيئة الدخان»[٤].

---

(١) انظر تفسير الطبري (١١ / ٢٢٨).

(٢) ذكر أصحاب السير «لما رأى رسول الله ﷺ من الناس إدبارا قال اللهم «سبع كسبع يوسف» فأخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا: يا محمد أنك تزعم انك بعثت رحمة وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم، فدعا رسول الله ﷺ فسُقوا الغيث فأطبقت عليهم سبعاً فشكا الناس كثرة المطر فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا» فانحدرت السحابة عن رأسه فسقي الناس حولهم.

(٣) يعني دعا عليهم النبي ﷺ أن يصيبهم الله عز وجل بما أصاب أهل مصر في عهد يوسف عليه السلام، من سبع سنين مرت عليهم في جدب وجوع وقحط، وامتناع مطر، كما قال عز وجل: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يوسف:٤٧-٤٨].

(٤) متفق عليه

وقال ابن مسعود أيضا: «خمس قد مضين: اللِّزَام[١]، والروم[٢]، والبطشة[٣]، والقمر[٤]، والدخان»[٥].

٢ وذهب كثير من العلماء إلى أن الدخان من الآيات المنتظرة التي لم تأت بعد، وسيقع قرب يوم القيامة، وإلى هذا ذهب علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم.

وقد رجح الحافظ ابن كثير - رحمه الله - هذا، مُستدلًا بالأحاديث التي سبق ذكرها عند الاستدلال على هذه الآية.

وقد ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين هذه الآثار، بأن قالوا هما دخانان ظهر أحدهما وبقي الآخر الذي سيقع في آخر الزمان، فأما الآية الأولى التي ظهرت فهي ما كانت قريش تراه كهيئة الدخان، وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات، التي هي من أشراط الساعة.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «هما دخانان قد مضى أحدهما[٦]، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن إلا كالزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه»[٧].

والراجح أن الدخان من الآيات المنتظرة التي لم تقع بعد، وهذا هو المفهوم من القرآن، قال الله عز وجل: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ أي: يظهر في السماء دخان بين واضح، يراه كل أحد.

---

(١) اللزام: هو ما جاء في قوله عز وجل: ﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾ [الفرقان:٧٧] أي أن العذاب ملازم لا يتأخر عنهم بحال من الأحوال.

(٢) إشارة إلى قوله عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم:١-٣].

(٣) إشارة إلى قوله عز وجل: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝١٦﴾ [الدخان:١٦]، والمقصود بالبطشة الكبرى غزوة بدر.

(٤) إشارة إلى قوله عز وجل: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر:١]، وتقدم الكلام عن انشقاق القمر في العلامة رقم (٣) من العلامات الصغرى.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) يعني ما رأته قريش.

(٧) انظر: التذكرة (ص: ٦٥٥).

أما ما ذكر ابن مسعود رضي الله عنه فيما أصاب قريشًا، فإنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد. وهكذا قوله عز وجل: ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ أي: يغطيهم حقيقة، وقوله عز وجل: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: يقال للناس والدخان قد أفزعهم: هذا عذاب أليم.

الأحاديث الواردة في الدخان

- عن حذيفة رضي الله عنه قال: «اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر. فقال «ما تذاكرون»؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر: الدخان والدجال.. الحديث»[(١)].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم[(٢)]، أو أمر العامة[(٣)]»[(٤)].

- وعن عبد الله بن أبي مليكة قال: «غدوت على ابن عباس رضي الله عنه ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت»[(٥)].

والشاهد من الأثر خوف ابن عباس من الدخان؛ على أنه علامة من علامات الساعة.

---

(١) رواه أحمد والترمذي وهو صحيح.

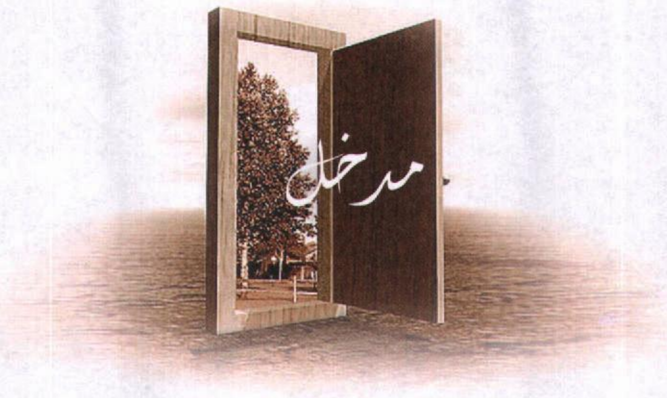
(٢) المراد به: الموت.

(٣) أي يوم القيامة.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، قال ابن كثير: إسناده صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنه.

الدابة



في آخر الزمان مع انتشار الفساد، وظهور المنكرات، واعتياد الناس عليها، يختلط الحابل بالنابل، والمؤمن بالمنافق، بل المسلم بالكافر، عندها يأذن الله تعالى بخروج الدابة.

- فما الدابة؟
- وأين ومتى تخرج؟
- وما مهامها؟

الآيات الواردة في ذكر الدابة

قال عز وجل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾[1].

معنى قوله عز وجل ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾: قيل: تخاطبهم، وقيل: تجرحهم.. ومنه قراءة سعيد بن جبير وعاصم الجحدري وأبو رجاء العطاردي: (تَكْلِمُهُم) أي: تجرحهم.

ولم يثبت في صفة هذه الدابة حديث صحيح.

وقد ذكر الماوردي والثعلبي في صفتها أعاجيب، لم يدلّ عليها دليل مثل: أن رأسها رأس ثور، وأذنها أذن فيل.. الخ.

لكن نعلم من صفاتها:

- أنها دابة حقيقية..
- أنها تكلّم مع الناس..
- أنها تخرج من الأرض..



من أين تخرج؟

- قيل من جبل الصفا بمكة..
- وقيل من أسفل الكعبة..

(١) النمل: ٨٢

- وقيل من البادية أي الصحراء..



ولم يثبت في موضع خروجها حديث صحيح..

فنقــول: نؤمــن بأنها ســتخرج كمــا أخــبر الله عَزَّ وَجَلَّ، لكن لا نعلــم من أين ستخرج.

■ ما هي حقيقة الدابة؟

- قيل: رجل يحاج الناس.. وهذا باطل
- وقيل هي ناقة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ..
- وقيل: فصيل (ولد) ناقة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ..

■ ماذا تفعل الدابة؟

تقـول للنـاس: (أن النـاس كانـوا بآياتنـا لا يوقنون)، كمـا في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

تَسِمُ الناس (الوسم هو الكي بالنار):

عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «تخرج الدابة تَسِمُ الناس على خراطيمهم - جمع خرطـوم وهو الأنف - ثم يغمرون فيكم - أي يختلطون بالناس - حتى يشـتري الرجل البعير فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطّمين[1]»[2].

- كيفية الوسم، وهل يستمر؟
- هل تكون الأجيال المتتابعة فيها الوسم؟
- بعدما تسِم الدابة الناس، ويستبين الحق من الباطل، والمؤمن من الكافر، مالذي يحدث؟





نماذج للوسم الذي تفعله العرب. أما كيفية وسم الدابة للناس فالله أعلم به.

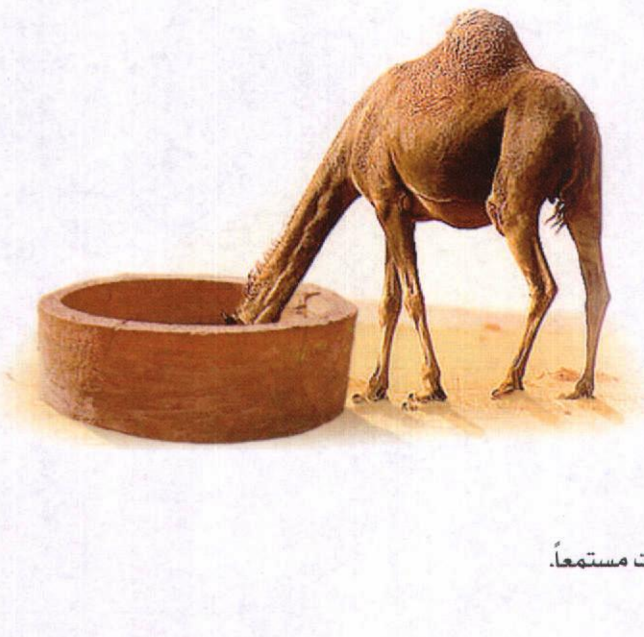
(١) المخطم: الذى به الخطام وهو خط يكوى من الأنف إلى أحد الخدين.

(٢) قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال عمر بن عبدالرحمن بن عطية وهو ثقة.

يستمر الناس زمانًا على هذا الحال، حتى إن الرجل لينادي الآخر يا مؤمن.. أو يا كافر.

حتى إذا أراد الله عز وجل أن تقوم الساعة بعث ريحًا طيبة تقبض أرواح المؤمنين؛ لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق.. والمؤمنون لا يحزنهم الفزع الأكبر.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج الدجال في أمتي، فيمكث أربعين، لا أدري أربعين يوما، أو أربعين شهرًا، أو أربعين عاما، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه. ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام؛ فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون؟! فيقولون: فما تأمرنا؟! فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌّ رزقهم، حسنٌ عيشهم، ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى لَيتًا[1] ورفع لَيتًا، وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله[2] فيصعق ويصعق الناس»[3].



(١) ليتاً: جانب العنق، أي مال برأسه ينصت مستمعاً.

(٢) أي يصلح الحوض المعدّ لإبله.

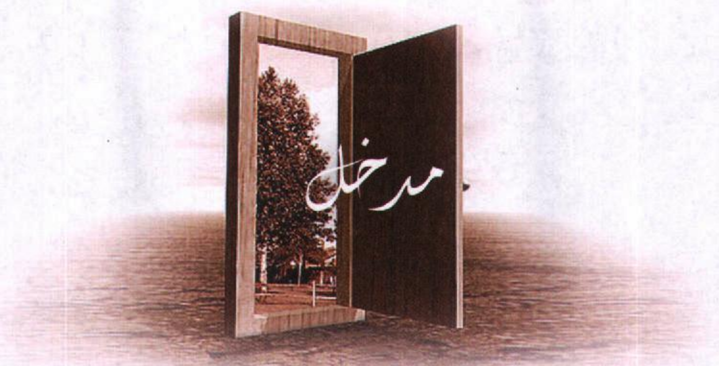
(٣) رواه مسلم

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير، فلا تدع أحدًا في قلبه مثقال حبة - أو قال - مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته»[1].

بعد هذه الريح ويبقى شرار الخلق.. وعليهم تقوم الساعة..

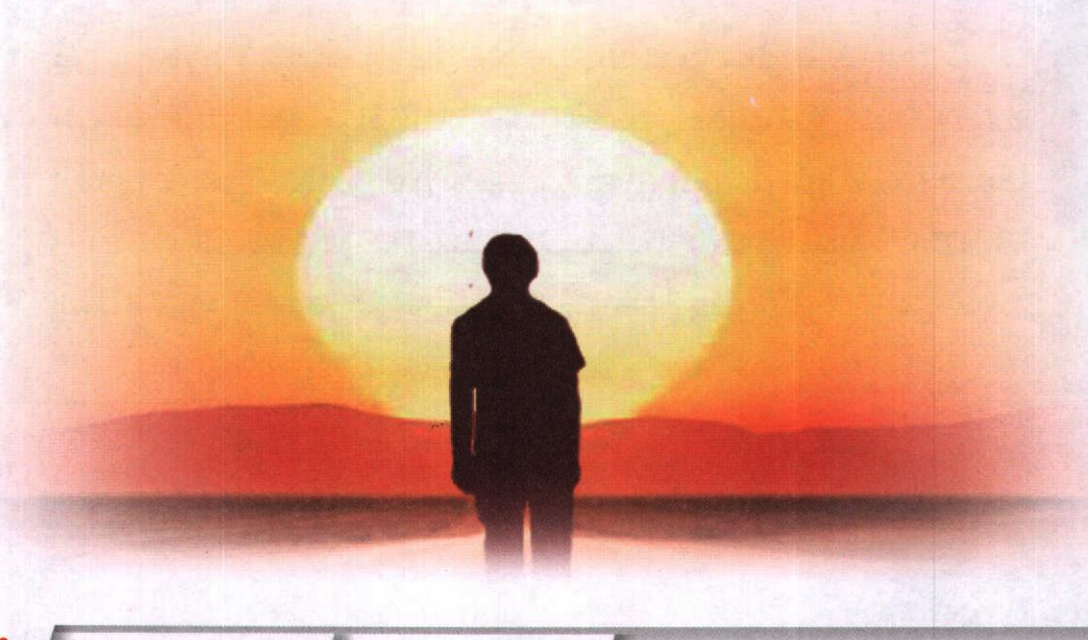
(١) رواه مسلم

طلوع الشمس من مغربها



من علامات الساعة التي يشاهدها الكبير والصغير، تغيّر مفاجئ في نظام حركة الأفلاك:

وذلك أن الناس في صباح يوم بينما ينتظرون إشراق الشمس وطلوعها من مكانها المعتاد من الشرق كما هو حالها منذ خلقها الله، فإذا بالشمس تطلع من الغرب، تطلع من مغربها.. عندها يقفل باب التوبة..



الآيات في طلوع الشمس من مغربها

قال ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[(١)].

الأحاديث الواردة في طلوع الشمس من مغربها

- **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أنه** ﷺ **قال:** «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[(٢)].

والحكمة من قفل باب التوبة: أن الإيمان يقوم في كثير من جوانبه على الإيمان بالغيب، فإذا طلعت الشمس من مغربها صار الإيمان مشاهدًا بالأبصار ظاهرا للعيان، وليس بالغيب، فيكون كإيمان فرعون لما أدركه الغرق.

- **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أنه** ﷺ **قال:** «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه[(٣)]، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه[(٤)]، ولتقومن الساعة

(١) الأنعام: ١٥٨

(٢) رواه مسلم

(٣) يتساوم البائع والمشتري في الثوب فلا يتم بينهما ذلك من بغتة قيام الساعة.

(٤) أي يحلب ناقته.

وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه[١]، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها[٢]».

- وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: «إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت؛ فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري، لا يستنكر الناس منها شيئًا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها: ارتفعي، أصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها، فقال ﷺ: أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا»[٣].

- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى. وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا»[٤].

إشكال

قد يستشكل البعض كيف يخبر النبي ﷺ في هذا الحديث بأن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة، بينما ورد في أحاديث أخرى أن أول الآيات هو الدجال أو المهدي ونحو ذلك.

فكيف نوفق بين الأحاديث؟

(١) أي أن الرجل يصلح حوضه بالطين فيسد شقوقه ليملأه ويسقي منه دوابه، فلا يسقى الدواب لقيام الساعة.

(٢) أي تقوم الساعة من قبل أن يضع لقمته في فمه، أو قبل أن يمضغها أو يبتلعها.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

قال ابن حجر: «فالذي يترجح من مجموع الأخبار: أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب، وقد أخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو: أول الآيات طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيهما خرجت قبل الأخرى فالأخرى منها قريب»[(١)] .ا.هـ

الأمر بالمبادرة بالأعمال

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم أو أمر العامة»[(٢)].

وقد تقدم بيان شيء من المعاني المتضمنة في هذا الحديث.





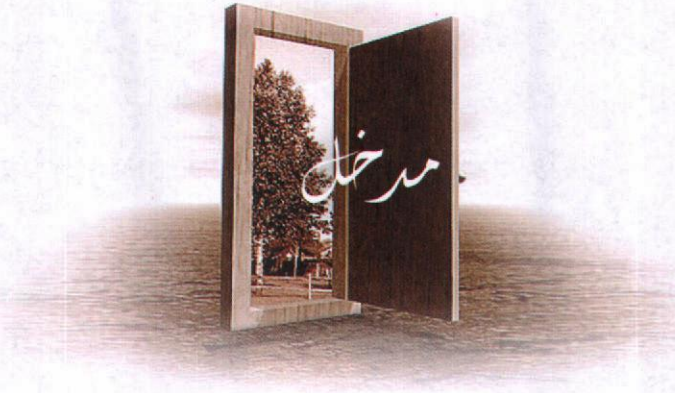


(١) انظر الفتح (١١ / ٣٥٣)..

(٢) رواه مسلم..

نار

تسوق الناس إلى محشرهم



آخر علامات الساعة.. وختام أمارتها وأشراطها.. نار تخرج من اليمن تسـوق الناس إلى أرض المحشر وتجمعهم فيها.. وأرض المحشر هي أرض بيضاء مستوية كِقُرصة النّقي ليس فيها معلم لأحد[1]..

- فما صفة هذه النار؟
- وكيف تخرج؟
- ومن أين تخرج؟
- وماذا يحدث بعدها؟



(١) أي ليس فيها أي علامة أو شيء ظاهر بارز لأي أحد من الناس.

■ الأحاديث الواردة في هذه النار

- عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: «أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون»؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[١].

وفي رواية: «نار تخرج من قُعْرة[٢] عدن ترحل الناس»[٣].

- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ستخرج نار قبل يوم القيامة من بحر حضرموت، أو من حضرموت تحشر الناس» قالوا: فبم تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالشام»[٤].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «بلغ عبد الله بن سلام مَقْدِمُ رسول الله ﷺ المدينة؛ فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال ﷺ: «أخبرني بهن آنفا جبريل»، فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة[٥]، فقال ﷺ: «أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر

(١) رواه مسلم.

(٢) معناه من أقصى قعر أرض عدن.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد-صحيح.

(٥) قال اليهود للنبي ﷺ إنه ليس من نبي إلا له من يأتيه بالخبر فأخبرنا عن صاحبك؟

قال ﷺ: جبريل عليه السلام.

قالوا: جبريل ذلك الذي ينزل بالعذاب والحرب والقتال وهو عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان فأنزل الله عز وجل ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٧-٩٨].

الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة، فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها». قال: أشهد أنك رسول الله..»[١].

إشكال

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أول الآيات طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيهما خرجت قبل الأخرى فالأخرى منها قريب»[٢].

كيف التوفيق بين ما سبق من أشراط الساعة، وبين خبر هذا الحديث أن النار هي أول الأشراط؟

الجواب:

أن المقصود هنا أشراط قيام الساعة، وليس أشراط قرب الساعة، ويؤيده قوله في رواية أخرى عند البخاري: «ما أول أمر الساعة؟» أي قيام الساعة.

تنبيه

هذه النار التي تحشر الناس، هي غير النار التي تكون في أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى، فهذه النار خرجت في القرن السابع وهي من أشراط الساعة الصغرى[٣]

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) وقد تقدمت في العلامة رقم (١٣).

كيفية حشرها للناس

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «يُحْشـر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشـرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تَقِيلُ معهم حيث قَالُوا[١]، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا»[٢].

والمعنـى: أن هذه النار ليس المقصود مِنْها إحراق الناس، وإنما سـوقهم إلى أرض المحشر في الشام، فإذا مشى الناس وتعبوا ونزلوا للقيلولة والنوم، وقفت النار، فإذا اسـتيقظوا من قيلولتهم انطلقت إليهم تسوقهم، وكذلك إذا باتوا ليلاً باتت معهم، فإذا أصبحوا وارتحلوا ارتحلت معهم تسـوقهم.. حتى تنتهي بهم إلى الشام.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إن الناس يحشـرون يوم القيامة على ثلاثة أفـواج: طاعِميْن كاسِـيْن راكِبين، فوج يمشـون ويسـعون، وفوج تسـحبهم الملائكة علـى وجوههم». فقال قائل منهم: هذان قد عرفناهما فما بال الذين يمشون ويسعون؟ قال ﷺ: «يُلْقى الله الآفة على الظهر حتى لا يبقى ظهر[٣]، حتى إن الرجل ليكون له الحديقة المُعْجِبة فيعطيها بالشـارف[٤] ذات القتب[٥] فلا يقدر عليها»[٦].

❁ ❁ ❁

(١) القيلولة: النوم وسط النهار.

(٢) رواه البخاري.

(٣) الظهر: معناه هنا كل ما يُركب من الدوابّ من إبل وخيل وغيرها.

(٤) الشارف: الناقة المسنة الضعيفة.

(٥) القتب: رحل صغير على قدر السنام كالسَّرج للخيل.

(٦) رواه أحمد والنسائي وهو حديث صحيح.

خَاتِمَة



خاتمة

أحمد الله تعالى على ما يسَّر وأعان من إتمام هذا الكتاب، وأسأل الله تعالى أن ينفع به ويجعل النيّة فيه خالصة لوجهه تعالى.

وقد حرصت أن يكون طرحي لأشراط الساعة بأسلوب جديد، جذاب، حتى يجمع القارئ بين الفائدة الممتعة، والمتعة المفيدة، فأرجو أن أكون وُفّقت لما أمَّلته، وهُديتُ لما أردته.

وما أجمل أن يقرأ قارئ أو قارئة هذا الكتاب، فيمتشق سنان قلمه، ويُسطّر لي رأيه، أو ملاحظته، أو وجهة نظره في الكتاب، ويرسله لي على البريد الإلكتروني، وأو عبر رسالة هاتفية (SMS)، فأكون لفضله شاكرًا، وبظهر الغيب له داعياً.

أسأل الله تعالى للجميع التوفيق.. آمين

كتبه

د/ محمد بن عبد الرحمن العريفي

أستاذ العقيدة والأديان والمذاهب المعاصرة بجامعة الملك سعود بالرياض

عضو الهيئة العليا للإعلام الإسلامي - arefe5@yahoo.com

داخل السعودية: ٠٠٩٦٦٥٠٥٨٤٥١٤٠ - خارج السعودية: ٠٠٩٦٦٥٠٥٨٤٥١٤٠

فهرس

تم بحمد الله

هذا الكتاب برعاية

تصميم وإخراج فني